

جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

العودة إلى الذات بعد النجاح أو الفشل في ضوء القرآن الكريم

إعداد

وليد خالد العلي

إشراف

أ. د. عودة عبد الله

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين (عام)
بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

2021م

العودة إلى الذات بعد النجاح أو الفشل في ضوء القرآن الكريم

إعداد

وليد خالد العلي

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2021/06/07م، وأجيزت.

التوقيع

.....
.....

.....
.....

.....
.....

أعضاء لجنة المناقشة

1. أ. د. عودة عبد الله / مشرفاً ورئيساً

2. د. ناصر عبد الجواد/ ممتحناً خارجياً

3. د. محمد الجيطان/ ممتحناً داخلياً

الإهداء

إلى نبي الرحمة الذي رباه ربه عز وجل بالقرآن

فرتبى الأمة بالقرآن حين رأوا أن خلقه القرآن

صلى الله عليه وسلم

وإلى مرتبى الذين ربوني على موائد القرآن، وعلموني حمل راية القرآن

وإلى أمي وأبي، وصية القرآن

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل إلى:

❖ أستاذي المشرف الدكتور عودة حفظه الله على جهوده وتشجيعه، وأشكر له روحه المبدعة حين كان يراني أتهيب القول بفهم للآية لم يُلنِّتْ إليه من قبل، فيشجعني ويحتني - ما دام ضمن ضوابط الفهم - ويقول لي: هذا الذي نريده. ولم يكن يعلم كم كان لتشجيعه الكريم أكبر الأثر في تلميذه، فجزاه الله كل خير. ولا يفوتني شكره على عينه الخبيرة الناقدة التي تصوّب وتقوم وتعلم بأدب جم، وتواضع يغبط عليه، وأسلوب تعلمت منه الكثير. فله مني خالص الدعاء.

❖ أساتذتي في كلية الشريعة الذين تعلمت منهم الكثير، وأخص منهم الأساتذة الدكتور محسن الخالدي الذي تعب معي وصبر حتى أُغَيِّرَ أسلوبِي في الكتابة بما يناسب لغة البحث، والدكتور سعيد دويكات الذي زاد علاقتي بلغة القرآن وبلاغة القرآن، ولا أوفي الدكتور محمد الجيطان حقه من الشكر بما علمني إياه من منهج رصين في التعامل مع الحديث الشريف، كان له وما زال أكبر الأثر في إعادة صياغة منهجي في التفكير. فجزاهم الله كل خير.

❖ زوجتي المؤمنة الصابرة التي كان انشغالي بالعلم على حساب الكثير من حقوقها وحقوق الأولاد، فصبرت وشجعت، وكانت لي خير معين. ولأولادي الذين انشغلت عنهم كثيرا.

فلهم جميعا بالغ الشكر، وخالص الدعاء.

الإقرار

أنا الموقع أدناه، مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

العودة إلى الذات بعد النجاح أو الفشل في ضوء القرآن الكريم

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه
حيثما ورد، وأن هذه الرسالة كاملة، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أي درجة علمية أو بحث
علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is
the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any
other degree or qualification.

Student's name:

اسم الطالب: وليد خالد العلي

Signature:

التوقيع:

Date:

التاريخ: 2021/06/07م

فهرس المحتويات

الصفحة	المحتوى
ج	الإهداء
د	شكر وتقدير
هـ	الإقرار
و	قائمة المحتويات
ط	الملخص
1	مقدمة
7	الفصل الأول: مفهوم العودة إلى الذات ودلالاته في القرآن الكريم
8	المبحث الأول: مفهوم العودة إلى الذات بعد النجاح والفشل
8	المطلب الأول: المقصود بالعودة إلى الذات
10	المطلب الثاني: المقصود بالنجاح أو الفشل
11	المطلب الثالث: المقصود بالعودة إلى الذات بعد النجاح أو الفشل
13	المبحث الثاني: الألفاظ والتراكيب القرآنية ذات الصلة بالعودة إلى الذات
13	المطلب الأول: الألفاظ القرآنية ذات الصلة بالعودة إلى الذات
21	المطلب الثاني: التراكيب القرآنية ذات الصلة بالعودة إلى الذات
25	المبحث الثالث: مفهوم العودة إلى الذات في ظل الإيمان بالقدر وتأثير العوامل الخارجية
25	المطلب الأول: مفهوم العودة إلى الذات في ظل الإيمان بالقدر
32	المطلب الثاني: مفهوم العودة إلى الذات في ظل تأثير العوامل الخارجية
37	الفصل الثاني: أهمية العودة إلى الذات في القرآن الكريم
38	المبحث الأول: تطور الإنسان ونهوضه نحو التقدم والنجاح
38	المطلب الأول: اهتمام القرآن بتنشئة الإنسان وتطوره
42	المطلب الثاني: اهتمام القرآن بعلاج القصور البشري وتنمية المواهب
58	المبحث الثاني: الوقاية من الجمود والقعود
58	المطلب الأول: الدعوة القرآنية للعمل
64	المطلب الثاني: الدعوة القرآنية للمسارعة والسبق
65	المطلب الثالث: الدعوة إلى الإصلاح في مواجهة الإفساد
66	المطلب الرابع: السعي إلى التقدم وعدم التأخر

71	الفصل الثالث: معالم العودة إلى الذات في القرآن الكريم
72	المبحث الأول: الفرق بين منهج الأنبياء عليهم السلام ومنهج إبليس في العودة إلى الذات
72	المطلب الأول: العودة إلى الذات نهج الأنبياء عليهم السلام
75	المطلب الثاني: تبرئة الذات وإلقاء اللوم على الآخرين، نهج إبليس
77	المبحث الثاني: العودة الحقيقية للذات بعيدا عن الشكلية، وعن جلد الذات
77	المطلب الأول: الابتعاد عن المظاهر الشكلية في العودة إلى الذات
80	المطلب الثاني: الابتعاد عن جلد الذات
84	المبحث الثالث: العودة الفردية والعودة الجماعية إلى الذات في القرآن الكريم
84	المطلب الأول: العودة الفردية إلى الذات في القرآن الكريم
94	المطلب الثاني: العودة الجماعية إلى الذات في القرآن الكريم
104	الفصل الرابع: محفزات العودة إلى الذات ومعيقاتها في القرآن الكريم
105	المبحث الأول: محفزات العودة إلى الذات في القرآن الكريم
105	المطلب الأول: التقوى
106	المطلب الثاني: الإحسان في العمل وإتقانه
107	المطلب الثالث: الأثر الذي تتركه المراجعات القرآنية للنبي صلى الله عليه وسلم والصحابة بعد الأحداث
109	المطلب الرابع: بيان الأجر العظيم للعودة إلى الذات
111	المطلب الخامس: ضرب المثل الأعلى للسابقين بمراجعاتهم لأخطائهم
113	المبحث الثاني: معيقات العودة إلى الذات وعلاجها في القرآن الكريم
113	المطلب الأول: العجب والكبر
115	المطلب الثاني: الهوى
119	المطلب الثالث: ثقل الموروث وصنمية الآباء
122	المطلب الرابع: تعطيل الحواس
124	المطلب الخامس: الغفلة واللهو واللعب
128	الفصل الخامس: دراسة تطبيقية على موضوع العودة إلى الذات في القرآن الكريم
130	المبحث الأول: العودة إلى الذات، بعد النجاح، دراسة تطبيقية في ضوء آيات سورة الأنفال التي تحدثت عن غزوة بدر
130	المطلب الأول: غزوة بدر من خلال آيات سورة الأنفال

133	المطلب الثاني: الخطوط العريضة في العودة إلى الذات بعد النجاح في غزوة بدر
137	المطلب الثالث: التوجيهات التربوية في العودة إلى الذات بعد النجاح كما في غزوة بدر
146	المبحث الثاني: العودة إلى الذات بعد الفشل، دراسة تطبيقية في ضوء آيات سورة آل عمران التي تحدثت عن غزوة أحد
146	المطلب الأول: غزوة أحد من خلال آيات سورة آل عمران
149	المطلب الثاني: الخطوط العريضة في العودة إلى الذات بعد الفشل في غزوة أحد
154	المطلب الثالث: التوجيهات التربوية في العودة إلى الذات بعد الفشل كما في غزوة أحد
166	المطلب الرابع: استصحاب المنهج التربوي القرآني
168	الخاتمة
173	قائمة المصادر والمراجع
214	الملاحق
B	Abstract

العودة إلى الذات بعد النجاح أو الفشل

في ضوء القرآن الكريم

إعداد

وليد خالد العلي

إشراف

أ. د. عودة عبد الله

الملخص

تقوم هذه الدراسة ووفق نظرية التفسير الموضوعي للقرآن الكريم على دراسة بعض معالم المنهج التربوي القرآني الذي محوره الإنسان تزكية وتنمية، والتي تهدف إلى محاولة التعرف على إحدى أهم الوسائل التربوية القرآنية في إعداد إنسان التربية الإسلامية ليكون قادراً على النجاح في مهمة الاستخلاف، حيث بينت الدراسة أن القرآن الكريم يربي الإنسان على خلق الرجوع إلى نفسه بعد كل محطة، وبعد كل حدث، مقوماً أداءه الذي تحتم بشريته الناقصة ألا تجعله كاملاً-مهما بلغ نجاحه-؛ ومن خلال هذه المراجعة يكتشف أخطاءه فيصححها، ويبصر كوامن قوته فيراكمها.

كما تهدف الدراسة إلى تبيان أن هناك عودة جماعية للذات تمارسها الأمة بمجموعها، إضافة إلى عودة فردية يمارسها الفرد بكليته في حالتي النجاح والفشل، من أجل توجيه أنظار التربويين لاستصحاب المنهج التربوي القرآني والافتداء بإرشاداته في معالجة مواقف النجاح أو الفشل.

ولتحقيق هذا الهدف استخدم الباحث المنهجين الاستقرائي والتحليلي، وحدد مجال الاستقراء التطبيقي على آيات سورة الأنفال التي نزلت بعد انتصار بدر، وآيات سورة آل عمران التي نزلت تعقياً على هزيمة أحد.

ومن أهم النتائج التي خلص إليها الباحث، أن العودة إلى الذات، منهج تربوي أصيل له ملامحه القرآنية الواضحة في تهيئة الأساس والأرضية الممهدة لجعله سلوكاً متأصلاً في النفس، عبر توضيح أهميته، والتحفيز عليه والتحبیب فيه. كما أن القرآن الكريم يجلي معالم هذه العودة إلى الذات، ويبين معيقاتها بهدف المساعدة في التغلب عليها. وتبين أيضاً أن العودة إلى الذات بعد

النجاح ركزت على تسليط الضوء على الخطأ في ظل النجاح، ورد فضل النجاح إلى الله عز وجل. أما العودة إلى الذات بعد الفشل فتميزت بالمصارحة بالحقيقة رغم ألمها، والتحذير من نفاذ الفشل إلى النفس والروح.

مقدمة

الحمد لله الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:

فإن الله عز وجل أنزل القرآن الكريم وغايته هذا الإنسان الخليفة، تزكيةً وتنميةً، أو تربيةً وتعليماً. وبث سبحانه في كتابه المبين من هداياته التي لا ينضب عطاها مهما اغترف من بحر تعاليمها المغترفون، بث تعاليمه التي يهديه بها للتي هي أقوم. أنزل الله عز وجل القرآن هدىً للناس وهدىً للمسلمين وهدىً للمؤمنين وهدىً للمحسنين في هدايات متوالية يزداد انبلاج أنوارها بازدياد ارتقاء المرء في مدارج القرب من الله عز وجل تقوى وطاعات.

ولما كان الذي خلق الإنسان، هو سبحانه الذي أنزل عليه وإليه القرآن، فهو العليم الخبير اللطيف به خلقا وعليه تنزيلا، يعلم ضعفه ونقصه، وقصوره وحاجته، فقد جعل في كتابه المنزل إصلاحا لحاله، وتصويبا لخطئه، وترميما لضعفه، وشفاء لأمرضه.

ولأن الله العليم الذي خلق الإنسان ضعيفا كما في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:28]. يعلم سبحانه أنه بحاجة دائمة لمراقبة قصوره لإصلاح ضعفه، ورتق ما انفتق من روحه ونفسه، تماما كحاجة الصنعة التي لا بد لها من صيانة مستمرة، فعلمه سبحانه في كتابه الهادي كيفية العودة الدائمة لنفسه وذاته، باحثا عن نقاط ضعفها ليصلحها ويرممها، وعن نقاط قوتها فيراكمها ويبني عليها. وفي وقت يستسهل فيه أفراد وجماعات إلقاء تبعة الإخفاق أو عدم تحقيق الأهداف على الآخر (ظروفاً أو خصوماً أو عاملاً خارجياً) في مقابل تبرئة الذات وأنها فعلت كل ما يلزم لكن الظروف كانت أكبر! يجد المتدبر لكتاب ربه الكريم أن القرآن يرده دوماً إلى ذاته بعد كل محطة يفتش عن عوامل الضعف وكوامن القوة: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران:165]. وتأتي هذه الدراسة لتبحث في هذه العودة إلى الذات في القرآن الكريم، وكيف اعتنى القرآن الكريم بهذا المعنى التربوي العميق وأسس بنيانه وأرسى دعائمه. ومن

خلال عرض الباحث لقسم كبير من الآيات الكريمة¹ سيدد المتدبر لها نفسه أمام دعوة قرآنية واضحة حول ضرورة وقوف الإنسان مع نفسه في محطات مستمرة يراجع فيها أداءه في مختلف الممارسات والسلوكيات، معالجاً سلبياته ومطوراً إيجابياته.

ولأن الإنسان في مسيرة حياته يمر بمحطات من الإخفاق والفشل، كما يصنع نجاحات وإنجازات، فإن هذه الدراسة ستجعل من محطتي الفشل والنجاح نموذجها القرآني التطبيقي باستقراء الآيات التي تحدثت عن كلتا المحطتين، ثم تحليلها للوقوف على كيفية توجيه القرآن وتربيته للمسلم في كليهما، وذلك من خلال دراسة تطبيقية على آيات سورة آل عمران² التي عالجت هزيمة المسلمين في غزوة أحد ومحاولة اكتشاف ملامح العودة إلى الذات بعد الفشل كما يشير إليه القرآن الكريم من خلال هذه الآيات. وعلى آيات سورة الأنفال³ التي تنزلت بعد نصر غزوة بدر، ومعرفة الطريقة القرآنية في تربية المسلم على العودة إلى ذاته بعد النجاح والإنجاز .

¹ لم يستخدم القرآن الكريم مصطلح (العودة إلى الذات)، وهو مصطلح معاصر شاع اليوم لم يستخدمه الأقدمون بهذا اللفظ. لكن القرآن الكريم عبر عن مدلول المصطلح بمفردات كثيرة تؤدي معناه، منها: التوبة، والرجوع، والحساب، ولوم النفس، والاعتراف بظلمها، وغير ذلك من الألفاظ التي تعبر عن المضمون ذاته.

² وهي الآيات: [121-179] آل عمران.

³ وهي الآيات: [5-51] الأنفال.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية الدراسة من كونها:

1. تبرز المنهج التربوي القرآني في تحديد الخطوات والملاحم التي على المرء أن يلتفت إليها في نفسه بعد كل محطة نجاح أو فشل، وهل حياة الإنسان إلا تقلب بين إنجاز يحفزه، أو إخفاق يثبطه؟

2. تقدم للتربويين إضاءات هادية في كيفية التعامل مع من يربون بعد محطتي النجاح والفشل وضرورة مراعاة اختلاف الوسائل والخطوات المتبعة نظرا لاختلاف الحالتين، وذلك حسب توجيه الخلاق العليم: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:14].

إضافة إلى عدم وجود دراسة تناولت هذا الموضوع بمثل الشكل الذي فصل فيه الباحث.

مشكلة الدراسة

1. ما مفهوم العودة إلى الذات في القرآن الكريم؟
2. ما أهمية العودة إلى الذات وما معالمه كما حددها القرآن الكريم؟
3. ما محفزات العودة إلى الذات وما معيقاته كما بينها القرآن الكريم؟
4. ما الخطوط العريضة للعودة إلى الذات بعد النجاح أو الفشل، وما ملامحها، من خلال غزوتي بدر وأحد؟

أهداف الدراسة:

1. تعريف مفهوم العودة إلى الذات والألفاظ ذات الصلة به في القرآن الكريم.
2. توضيح أهمية العودة إلى الذات ومعالمها كما بينها القرآن الكريم.
3. بيان محفزات العودة إلى الذات، والوقوف على أهم معيقاتها التي أشار إليها القرآن الكريم.

4. توضيح الخطوط العريضة وملامح العودة إلى الذات بعد محطتي النجاح والفشل ورصد الفرق بين العودتين كما بينها القرآن الكريم.

منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة المنهج الاستقرائي¹ والتحليلي والاستنباطي انطلاقاً من النقاط الآتية:

(1) جمع الآيات التي تحدثت عن مفهوم العودة إلى الذات، وتحليلها، واستنباط المعاني المطلوبة منها.

(2) تقسيم الدراسة إلى عناوين مترابطة.

(3) الرجوع إلى كتب اللغة والتفسير لاستخراج الدلالات اللازمة.

(4) الوقوف على دلالات آيات الأنفال عن غزوة بدر، وآيات آل عمران عن غزوة أحد، والفرق بينهما.

(5) تسجيل اللطائف القرآنية المتعلقة بالموضوع.

محددات الدراسة:

تحدد هذه الدراسة ببيان موضوع العودة إلى الذات في القرآن الكريم بشكل عام، لكنها ستركز على سورتَي آل عمران والأنفال والآيات المتعلقة بغزوتي بدر وأحد فيهما، كنموذج على العودة إلى الذات بعد محطتي النجاح أو الفشل.

الدراسات السابقة:

لم يقع بين يدي الباحث دراسات سابقة تتناول هذا الموضوع، لكنه وجد بعض الدراسات التي تتناول موضوعات وعناوين تضمنتها هذه الدراسة بشكل أو بآخر ومنها:

¹ اجتهد الباحث في جمع كثير من الآيات التي تحدثت عن الموضوع، لكن الاستقراء ظل ناقصاً فلم يجمع كل الآيات.

1. التربية بالتوبة في ضوء القرآن الكريم¹، وهو بحث محكم، تحدث فيه الباحث عن التوبة كمفهوم تربوي في القرآن الكريم وبيان أهميتها والطرق التي سلكها القرآن للترغيب فيها، وتحدث عن آثارها الإيجابية وبين كيف يمكن الاستفادة من التربية بأسلوب التوبة في البيت والمسجد والمدرسة ووسائل الإعلام. وكما هو واضح فالبحث متعلق بموضوعه فقط وهو التوبة، بل بالجانب التربوي فيه، في حين هذه الدراسة تتحدث عن معنى شامل لمراجعة النفس تشمل التوبة وغيرها، وتطبيقات ذلك في محطتي النجاح والفشل.

2. النصر والهزيمة دراسة قرآنية²، رسالة ماجستير، حيث تحدث الباحث عن سنة التدافع بين الحق والباطل، ثم عن مفهوم النصر في القرآن وعلاقته بالتدافع والابتلاء والجهد البشري، ومبشرات النصر وموانعه، ثم عن الهزيمة ومفهومها وأنواعها، كما تحدث عن عوامل النصر والهزيمة. والنصر والهزيمة جزء من النجاح والفشل. أما هذه الدراسة فتتحدث عن جانب خاص ومركز في الموضوع وهو كيفية العودة إلى النفس بعد محطتي النجاح والفشل. فثمة تميز عن موضوع النصر والهزيمة بشكل عام.

3. المضامين التربوية المستنبطة من غزوة أحد وتطبيقاتها التربوية³، رسالة ماجستير. وهي تتحدث عن المضامين التربوية الإيمانية والأخلاقية والقيادية بشكل عام والمستفادة من الغزوة. أما هذه الدراسة هنا فتركز على جانب خاص في الغزوة مرتبط بكيفية العودة إلى النفس بعد الفشل حسب التوجيه القرآني في هذه الغزوة. وعن هذه الكيفية بعد النجاح كذلك.

4. أسباب النصر في سورة الأنفال⁴، تحدث الكاتب عن أسباب النصر المباشرة وغير المباشرة، وعن التحذير من أسباب الهزيمة. بينما هذه الدراسة هنا تتحدث عن الجوانب التي يجب أن

¹ الضليمي، أحمد عبد الفتاح، التربية بالتوبة في ضوء القرآن الكريم، مجلة الجامعة الإسلامية للعلوم الشرعية، المدينة المنورة، مج42، ع149، 2009م.

² مرشود، عبد اللطيف حسن، النصر والهزيمة دراسة قرآنية، إشراف د. محسن الخالدي، (2007م).

³ العمودي، أبو بكر بن عبد الرحمن، المضامين التربوية المستنبطة من غزوة أحد، إشراف د محمد خياط، (1431هـ).

⁴ طهماز، عبد الحميد محمود، أسباب النصر في سورة الأنفال، دار القلم، دمشق، الدار الشامية بيروت، (ط1)، (1421هـ-1992م).

يركز عليها المرء في نفسه بعد كل محطة نجاح وذلك من خلال آيات سورة الأنفال المتعلقة
ببدر. وبعد الفشل كذلك.

ومن مجموع ما وقع بين يدي الباحث من دراسات كهذه وغيرها، فإنه لا توجد دراسة تعالج
الموضوع بالشكل الذي تعالجه فيه هذه الدراسة، وهذا مما يميزها، ويدعو للكتابة فيها.

الفصل الأول

مفهوم العودة إلى الذات ودلالته في القرآن الكريم

الفصل الأول

مفهوم العودة إلى الذات ودلالاته في القرآن الكريم

مصطلح العودة إلى الذات، مصطلح حديث، لم يعرفه الأقدمون بالشكل المتعارف عليه الآن، وسيحاول الباحث في هذا الفصل توضيح هذا المفهوم ودلالاته في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول

مفهوم العودة إلى الذات بعد النجاح أو الفشل

المطلب الأول: المقصود بالعودة إلى الذات

أولاً: معنى العودة

العودة من العود، حيث يدور المفهوم اللغوي للعود حول عدة معانٍ منها: التثنية والتكرار والرجوع، حيث نقل ابن فارس في المقاييس عن الخليل قوله عن العود إنه: "تثنية الأمر عوداً بعد بدء". تقول بدأ ثم عاد¹. وفي مفردات الراغب هو: "الرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه... بالذات، أو بالقول والعزيمة"². وقريباً من ذلك نقل ابن منظور عن سيبويه قوله: "وتقول رجع عوده على بدئه، تريد أنه لم يقطع ذهابه حتى وصله برجوعه... فالمجيء موصول به الرجوع، فهو بدء والرجوع عود"³. غير أن العسكري في الفروق فرق بين التكرار والإعادة، فالتكرار عنده عدة مرات، أما الإعادة فمرة واحدة⁴. غير أن العادة التي هي من مشتقات (عود) لا تكون عادة إلا بالتكرار أكثر من مرة حتى تصبح طبعاً للإنسان⁵. ومثل ذلك العيد الذي رجح ابن فارس أن يكون سمي بذلك لكونه يعود كل عام⁶. ودلالات العادة والعيد على التكرار يضعفان الاحتمال الذي قاله العسكري في الفروق من كون اقتصار الإعادة على مرة واحدة بخلاف التكرار.

¹ ابن فارس، أحمد ت: 395هـ، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر (1399هـ-1979م)، (181/4).

² الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد ت: 502هـ، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان الداودي، دار القلم، الدار الشامية-دمشق، بيروت (ط1)، (1412هـ)، (593).

³ ابن منظور، محمد بن مكرم ت: 711هـ، لسان العرب، دار صادر-بيروت، (ط3)، (1414هـ)، (316-315/3).

⁴ ينظر: العسكري، الحسن بن عبد الله ت: 395هـ، الفروق اللغوية، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع -القاهرة (39).

⁵ ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (594)، وينظر تأكيد ذلك في عاود فهو معاود في: ابن منظور، لسان العرب، (317/3).

⁶ ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (183/4). وينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (594).

تبين من المعاني اللغوية السابقة أن المعنى المحوري للعود هو: "استمرار الشيء امتداداً أو تكراراً وتجديداً"¹. والتكرار رجوع مرة بعد مرة. والرجوع رجوع ذات كقوله سبحانه: ﴿أَمْ أَمْنُكُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى﴾ [الإسراء:69]. أو هو رجوع حال كقوله سبحانه وتعالى: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ [طه:21]².

وهكذا يمكن إجمال المعنى الاصطلاحي للعودة بالقول إنها: الرجوع مادياً أو معنوياً، لذات أو لحال، مرة أو أكثر من مرة.

ثانياً: معنى الذات

يرى الجرجاني أن ذات الشيء: "نفسه وعينه... (و) الذات أعم من الشخص، لأن الذات تطلق على الجسم وغيره، والشخص لا يطلق إلا على الجسم"³. وهكذا فإطلاق لفظ الذات يعبر عن الماهية والكيان والحقيقة.

وعند إطلاق اللفظ يراد به معان عدة منها: الحقيقة، وما قام بذاته، أو بمعنى النفس والشيء، وغير ذلك، أما عند إضافته فيختلف المعنى بحسب الإضافة، فذات الصدور خفاياها، وذات اليمين جهته، وهكذا⁴. وفي معجم اللغة العربية المعاصرة، ذات بمعنى نفس⁵، لذلك فقد لفت انتباه الباحث أن بعض المعاجم حين أرادت تعريف النفس قالت إنها تستعمل بمعنى الذات؛ أي الفرد من الناس⁶. ومنه ذاتي بمعنى شخصي أي راجع لنفسه وشخصه⁷. وكأن معنى الذات أوضح من معنى النفس حتى عُرفت النفس بالذات.

¹ جبل: محمد حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، (ط1)، (2010م)، (1418/3).

² ينظر: جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، (1418/3).

³ الجرجاني، علي بن محمد ت: 816هـ، التعريفات، تحقيق وضبط وتصحيح جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية-بيروت، (ط1)، (1403هـ، 1983م)، (107).

⁴ ينظر: أبو البقاء، أيوب بن موسى ت: 1094هـ، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، (454-455).

⁵ ينظر: عمر، أحمد مختار ت: 1424هـ، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم النشر (ط1)، (1429هـ-2008م)، (800/1).

⁶ ينظر: جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، (2238/4).

⁷ ينظر: عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، (801/1).

فالذات (على الانفراد لا الإضافة) إذًا: هي الكيان الكامل والحقيقي الذي يعبر عن الماهية التامة للشيء، وقد تكون شخصا واحدا فهي عندئذ كيانه الكلي بما يحويه من عقل وقلب ونفس. وقد تكون الذات جماعة أو حركة أو دولة، فهي ذات اعتبارية تشمل كل هذا المجموع بأفراده ومؤسساته ونُظُمِهِ. وهي عين وحقيقة ما تطلق عليه.

المطلب الثاني: المقصود بالنجاح أو الفشل

أولاً: معنى النجاح

من معاني النجاح في اللغة الظفر بالمطلوب، وإدراك ما يطلبه المرء ويستهدفه.¹ وهذا هو المعنى الغالب والشائع الذي تُستخدم فيه المفردة، غير أن هذا اللفظ لم يرد في القرآن الكريم. وقد استخدم القرآن الكريم لمعنى الظفر بالمطلوب لفظ (الفلاح)² ولفظ (الربح) ومشتقاتهما³. والذي يبدو للباحث أن الفلاح يشمل الظفر بالمطلوب في الدنيا والآخرة⁴، بينما النجاح مرتبط بالظفر بالمطلوب في أمر الدنيا فقط، حيث لم يستخدمه القرآن إطلاقاً. وفي لغة العرب لم يكن للآخرة محل عندما بدأت تتشكل، بخلاف الفلاح الذي نقله الاستعمال القرآني ليشمل مساحة الآخرة، أما النجاح فظل بمعناه الدنيوي، والله أعلم.

¹ ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (390/5)، وينظر: ابن منظور، لسان العرب، (611/2)، وينظر: الزبيدي، محمد بن محمد ت: 1205هـ، تاج العروس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، (164/7).

² قال تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 5].

³ قال تعالى: ﴿فَمَا رِيحَتِ تَجِدُ رُحْمَهُمْ﴾ [البقرة: 16].

⁴ لتأكيد أن معنى الفلاح في القرآن يشمل الظفر بالمطلوب في الآخرة، ينظر: الطبري، محمد بن جرير ت: 310هـ، جامع البيان في تأويل أحكام القرآن، تحقيق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة (ط1)، (1420هـ-2000م)، (250/1)، وينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (644). وينظر: الرازي، محمد بن عمر ت: 606هـ، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت (ط3)، (1420هـ)، (279/2). وينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر ت: 1393هـ، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس (1984م)، (247/1).

ثانياً: معنى الفشل

من معاني الفشل في اللغة: الكسل، والتراخي، والضعف مع الجبن¹. والفشل إخفاق في بلوغ المراد "وفشل في تحقيق أهدافه: أخفق، عكسه نجح"². ولما كانت المفردة معاصرة الاستعمال بمعناها الشائع الذي نعرفه اليوم، فإن معجم اللغة المعاصرة في تبيانه أن الفشل يعني الإخفاق في تحقيق الأهداف وأنه عكس النجاح، هو الأقرب إلى مراد الباحث في عنوان البحث. فيكون معنى الفشل: الإخفاق في تحقيق الهدف المنشود، والغاية المرجوة، في أي شأن من شؤون الدنيا، وأمورها المادية أو المعنوية، وهو عكس النجاح.

ولم يستخدم القرآن الكريم الفشل بمعنى الخسارة الأخروية بل استخدم لفظ (الخسران) ومشتقاته لبيان الرسوب في امتحان الآخرة بدخول النار، وذلك كقوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: 15]

المطلب الثالث: المقصود بالعودة إلى الذات بعد النجاح أو الفشل

انطلاقاً من غاية الباحث من بحثه، والعنوان الذي اختاره له، واستناداً إلى الجذور اللغوية والاصطلاحية لمفردات هذا العنوان، فإنه يمكن بيان المقصود بالعودة إلى الذات بعد النجاح أو الفشل في جانبين:

الأول: جانب الفرد، والذي يعني: رجوع الشخص إلى نفسه بكل مكوناتها: العقلية (كمناهج التفكير، وطرق التخطيط والتدبير، وإحكام الأهداف والوسائل، وما إلى ذلك من أعمال الجوارح)، والقلبية المتمثلة بأعمال القلب من نية وإخلاص ورضاً ويقين وتوكل، إضافة إلى مراقبة أمراض القلب من رياء وكبر وحسد... الخ.

¹ ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (637). وينظر: ابن منظور، لسان العرب، (520/11)، وينظر: الزبيدي، تاج العروس، (159/30).

² عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، (0/)، (3786).

والثاني: جانب الأمة، والذي يعني: رجوع الأمة إلى نفسها بما تمثله من حكام ومحكومين، ومؤسسات، ونُظم. وذلك بعد كل إنجاز يتم فيه تحقيق الأهداف المنشودة، وبعد كل إخفاق يعجز فيه الشخص أو الأمة عن تحقيق الأهداف المنشودة. ويكون هذا الرجوع للنفس بهدف ملاحظة مكان القوة لتطويرها والبناء عليها، واكتشاف نقاط الضعف والخلل والقصور لمعالجتها وتصحيحها.

المبحث الثاني

الألفاظ والتراكيب القرآنية ذات الصلة بالعودة إلى الذات

بالنظر إلى مفهوم المصطلح، وكونه محدثاً، فإن التدبر في الآيات القرآنية يميّن الباحث من ملاحظة عدة ألفاظ وتراكيب قرآنية تحمل دلالة مصطلح العودة إلى الذات، وقد وجد الباحث منها ثمانية ألفاظ وتراكيب، سيعرضها مبيناً مفهومها ووجه الصلة بينها وبين عنوان البحث، وذلك كما يأتي:

المطلب الأول: الألفاظ القرآنية ذات الصلة بالعودة إلى الذات

أولاً: التوبة

يُعدّ لفظ (التوبة) بمشتقاته المختلفة التي جاءت في القرآن، من أقرب الألفاظ الدالة على مفهوم العودة إلى الذات، ففي حين أن المعنى اللغوي للتوب يعني الرجوع¹، فإن المعنى الاصطلاحي للتوبة يؤكد على ذلك، فهي تعني "الرجوع عن الأعمال المذمومة إلى الممدوحة"². وقال العلماء إن شروط التوبة ثلاثة هي: الإقلاع عن الذنب، والندم على فعله، والعزيمة على عدم العودة إليه.³ وعند ابن القيم أن التوبة: "رجوعه (أي العبد) مما يكرهه الله ظاهراً وباطناً إلى ما يحبه ظاهراً وباطناً"⁴ ولا يكون الرجوع إلا بعد معرفة الذنب، بمعنى اكتشاف الخطأ وملاحظته، وهذا لا يكون إلا بعد الرجوع للنفس والتدقيق في العمل ظاهراً وباطناً، ثم الاعتراف بهذا الذنب، فكثير من الناس يرى الخطأ ويدركه، لكن يمنعه من الاعتراف به موانع عدة، ثم طلب التخلص من سوء عواقبه أولاً وأخيراً⁵، وهذا هو هدف العودة إلى الذات: تصحيح الأخطاء.

¹ ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (357/1).

² الجرجاني، التعريفات، (70).

³ ينظر: النووي، يحيى بن شرف ت: 676هـ، رياض الصالحين، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط3)، (1419هـ-1998م)، (33).

⁴ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر ت: 751هـ، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، (ط3)، (1416هـ-1996م)، (313/1).

⁵ ينظر: ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، (197/1).

وقد وردت التوبة في القرآن الكريم بمشتقاتها المختلفة منسوبة إلى الله سبحانه صفة أو فعلا، ومنسوبة إلى عباده حثا أو توصيفا لهم، في أكثر من ثمانين مرة في القرآن الكريم¹. ومن آيات التوبة ذات الصلة بمعنى العودة إلى الذات:

- قوله سبحانه: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:160]. حيث الآية السابقة تتحدث عن ذنب عظيم تمثل بكتمان آيات الكتاب، واستحقاق من يفعل ذلك لعنة الله. غير أن الذين يعودون إلى الذات ويرجعون إلى أنفسهم رجوعا يكتشفون عبره موطن الخلل، فيتوبون: إقلاعاً عن الذنب وندما عليه وعزما على عدم العودة إليه. فأولئك يقبل الله عز وجل رجوعهم هذا وتوبتهم من الذنب الذي ارتكبه، فيعفو عنهم.

- وقوله عز من قائل: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:143]. وهنا يرى سيدنا موسى عليه السلام أنه طلب من ربه سبحانه ما لا ينبغي طلبه، فعَدَّ ذلك تجاوزاً وذنبا يستلزم الرجوع عنه، فتاب إقلاعا وندما وعزما على ألا يعود. على أنه من المعروف أن أخطاء الناس مرتبطة بمنازل قربهم من الله، بمعنى أن ما يعدّه المقربون والأنبياء خطأ وذنبا فهو في حق سواهم ليس كذلك. كما يعد الطالب المتفوق الذي اعتاد إحراز العلامة الكاملة، إحرازه للتسعين ذنبا لا يغتفر بحقه، في حين تعدّ هذه العلامة إنجازا لغيره، لكنه لا يقبلها من نفسه كما لا يقبلها أستاذه منه.

- وقوله جل في علاه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التحریم:8]. يرى الفيروزآبادي أن التوبة في القرآن على ثلاثة أوجه: فهي إما مقيدة بإلى فتعني الرجوع والإنابة، أو مقيدة

¹ ينظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مطبعة دار الكتب المصرية، (1364هـ، 1945م)، (156-158)، وعملية العد قام بها الباحث استنادا إلى المعجم.

بعلى فتعني التجاوز والعفو، أو مطلقة فتعني الندم على الخطأ.¹ والباحث لا يرى هذا التفريق بين تقييدها بإلى وبين إطلاقها، فكلاهما يعني الرجوع والإنابة، وهو ما يتضمن الندم على الزلة، غير أن التقييد بإلى يشير إلى الغاية النهائية من هذا الرجوع، فالمذنب مبتعد عن الله سبحانه، وحين يرجع لنفسه فيحاسبها نادما مقلعا عن ذنبه، فإن هذا سيرجعه إلى الله سبحانه.

وقد أخبرنا القرآن الكريم أن التوبة هي دأب الأنبياء عليهم السلام.² وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة".³ وهو ما يؤكد على مركزية التوبة في حياة المسلم وأهميتها، وهو ما ينطبق على مفهوم العودة إلى الذات بشكل أو بآخر.

وهكذا بدت واضحة العلاقة بين مفهوم العودة إلى الذات وبين التوبة، فكلاهما فيه رجوع للنفس وتلقيب عن نقاط الخلل والضعف بهدف تصحيحه.

ثانيا: الاستغفار

يدور المعنى اللغوي للاستغفار حول طلب الستر⁴، والمغفرة: "هي أن يستر القادر القبيح الصادر ممن تحت قدرته"⁵. والاستغفار طلب المغفرة من الذنب، وهو جزء من عملية التوبة⁶، فيأتي بعد

¹ ينظر: الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب ت: 817هـ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية-لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (1416هـ-1996م)، (308/2).

² مثل سينا آدم، وسيدنا موسى، وسيدنا داوود، وسيدنا يونس عليهم السلام، حيث أخبر القرآن عن توبتهم بلفظ التوبة أو بما يفيد معناها، وينظر لذلك: [البقرة: 37]، [طه: 121، 122]، [الأعراف: 143]، [ص: 24]، [الأنبياء: 87].

³ متفق عليه، واللفظ للبخاري، محمد بن إسماعيل ت: 256هـ، صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير، دار طوق النجاة، (ط1)، (1422هـ)، كتاب: الدعوات، باب: استغفار النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم والليلة، (67/8)، (6307)، وينظر: مسلم، ابن الحجاج النيسابوري ت: 261هـ، صحيح مسلم، تحقيق: محمد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت. كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: استحباب الاستغفار والاستكثار منه، (2075/4)، (2702).

⁴ ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (385/4).

⁵ الجرجاني، التعريفات، (223).

⁶ يرى ابن القيم أن الاستغفار نوعان: نوع مفرد، وآخر مقرون بالتوبة، ويدل على كل منهما بأدلة من القرآن الكريم. وعنده أن الاستغفار المفرد كالتوبة، بل هو عينها مع تضمينه طلب محو الذنب...ينظر: ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، (314/1).

الإقلاع عن الذنب والندم عليه¹. والاستغفار على هذا مرحلة من مراحل العودة إلى الذات، لكنه أشمل وأعم من مجرد النطق الاعتيادي البارد باللسان، إذ يلزم أن يصحبه حضور القلب من ندم وعزم، ثم ترجمة ذلك بما يكون أدعى لقبول طلب المغفرة، وذلك بحسنةٍ تتبع السيئة فتمحوها.

وقد ورد لفظ المغفرة بمشتقاته المختلفة منسوبا إلى الله عز وجل صفة وفعلا، وإلى خلقه أمرا وصفة، في القرآن الكريم أكثر من: مائتي مرة². غير أن الإشارة الإضافية في لفظ الاستغفار، ذكره في مواطن الطاعات، مما جعل العلماء يتحدثون عن الاستغفار بعد الطاعات، حيث يدرك العبد أن حق الله سبحانه وجلاله أعظم من أن يقوم به عبد مهما بلغ، فينهي العبد طاعته بالاستغفار والتوبة عن كل قصور رافقها في النية أو في الأداء. واستدل ابن القيم بعدة استدلالات من القرآن الكريم والسنة النبوية تؤيد ذلك منها، سورة النصر التي فهمها ابن عباس وعمر بن الخطاب أنها أجل النبي - صلى الله عليه وسلم -، فهو - صلى الله عليه وسلم - وهو ينهي حياته وقد أدى أعظم طاعة أداها بشر لخالقه، من حمل رسالته والجهاد في سبيلها، فإن الله عز وجل يأمره أن ينهي هذه الطاعة بالاستغفار، ومثل ذلك طلب الله عز وجل من عباده أن يختموا ركن الحج الذي هو من أعظم الطاعات ويرجعون منه مغفورة ذنوبهم كيوم ولدوا، ومع ذلك فإن الله سبحانه يأمرهم بختم هذه الطاعة الجليلة بالاستغفار: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِّن قَبْلِهِ لَمَنِ الصَّالِينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: 198-199]، وغير ذلك من الاستدلالات³.

وعلاقة الاستغفار بعد الطاعة بموضوع البحث مرتبطة بكون العودة إلى الذات إنما تكون بعد النجاح أيضا (يمثلها الاستغفار بعد الطاعة)، لا العودة بعد الفشل فحسب كما يمثلها الاستغفار بعد الذنب أو التوبة منه.

¹ ينظر: الغزالي، محمد بن محمد ت: 505هـ، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، (313/1).

² ينظر: عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (499-503).

³ ينظر: ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، (402/3-404).

ثالثاً: الإنابة

يدور المعنى اللغوي ل(نوب) "على اعتياد مكان ورجوع إليه"¹. ولا يبعد المعنى الاصطلاحي عن ذلك فمن معاني الإنابة في الاصطلاح: "الرجوع من الغفلة إلى الذكر"².

وقد وردت مادة (نوب) بمختلف مشتقاتها اسماً أو فعلاً منسوبين للإنسان أكثر من خمس عشرة مرة في القرآن الكريم³، ومن الآيات التي وردت ولها صلة بمفهوم العودة إلى الذات:

- قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادَ﴾ [الزمر:17]. وفي هذه الآية يبشر الله عباده الذين اجتنبوا عبادة الطاغوت ورجعوا إلى الله سبحانه بالعبادة معرضين عما سواه⁴ والرجوع إلى الله سبحانه يعني أن هناك ابتعاداً مسبقاً عنه سبحانه لزمه هذا الرجوع، الذي لا بد أن يسبقه رجوع للنفس ونظر في سيرها، لتكتشف أنها ابتعدت عن الله سبحانه فترجع إليه.

- وقوله عز من قائل: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَحَلِيمٌ أَوْهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود:75]. وهنا يصف الله عز وجل نبيه وخليته بأنه منيب، أي أن رجوعه إلى الله سبحانه صفة لازمة فيه، فلكثرة ممارسته هذا الرجوع فقد تمثل فيه حتى صار طبعه وصفته. وهذا يذهب بنا إلى معنى العودة إلى الذات بعد النجاح، فلا يتصور نبي الله عز وجل وخليته -عليه السلام-، والذي وصفه ربه بعد أشق الامتحانات التي تعرض لها بأنه أحرز العلامة التامة فيه، فاستحق الإمامة للناس، بقوله عنه: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة:124]. فلا يُتَصَوَّرُ إلا أن رجوعه لذاته ونفسه إنما كان بعد هذه النجاحات، مستشعراً -كما هو شأن العارفين بالله وحقه العظيم- أن حق الله سبحانه أجل من أن يؤديه كما يليق بجلاله الكريم إنساناً مهما بلغ واجتهد.

¹ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (367/5).

² الجرجاني، التعريفات، (37).

³ ينظر: عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (722).

⁴ ينظر: الشوكاني، محمد بن علي ت: 1250هـ، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب-دمشق، بيروت، (ط1)،

(1414هـ)، (523/4).

- وقوله سبحانه: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ [غافر:13]. وما في الآية من إشارة إلى أن التذكر الذي هو عكس الغفلة إنما هو شأن المنيبين، الذين اعتادوا الرجوع إلى أنفسهم رجوعاً يقودهم إلى الرجوع إلى الله سبحانه، الأمر الذي يعني أنهم كلما ابتعدوا أو غفلوا سهل عليهم الرجوع، ذلك أنهم سرعان ما يتذكرون فيرجعون.

رابعاً: النظر

"النظر: تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص، وهو الرؤية"¹. والنظر إلى الشيء مد الطرف إليه، أما النظر فيه فهو تدبره.²

وقد جاء النظر في القرآن الكريم بالمعنيين؛ بمعنى النظر بالبصر، والنظر بالبصيرة. وهذا الأخير هو صاحب العلاقة بموضوع البحث.

وإذ جاءت الدعوة القرآنية للنظر متعددة ومتنوعة، فإن الشاهد محل العلاقة بمضمون البحث هو قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر:18].

وفي الدعوة القرآنية للنفس أن تنظر لما قدمت لغد، يقول صاحب الظلال: "وهو تعبير كذلك ذو ظلال وإيحاءات أوسع من ألفاظه.. ومجرد خطوره على القلب يفتح أمامه صفحة أعماله بل صفحة حياته، ويمد ببصره في سطورها كلها يتأملها وينظر رصيده حساباً بمفرداته وتفصيلاته. لينظر ماذا قدم لغده في هذه الصفحة.. وهذا التأمل كفيل بأن يوقظه إلى مواضع ضعف ومواضع نقص ومواضع تقصير، مهما يكن قد أسلف من خير وبذل من جهد. فكيف إذا كان رصيده من الخير قليلاً، ونصيبه من البر ضئيلاً؟ إنها لمسة لا ينام بعدها القلب أبداً، ولا يكف عن النظر والتقليب!"³.

¹ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (812).

² ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (812).

³ قطب، سيدت: 1386هـ، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، (ط25)، (1417هـ-1996م)، (3531/6).

عندما تبدأ الآية بالأمر الإلهي بالتقوى، التي تعني العلم اليقيني باطلاع الله عز وجل على سر عبده وعلنه، وعلى خطرات نفسه وفكره، ثم يكون الأمر بالنظر في عمل الإنسان الذي سيلاقي به ربه العليم الخبير الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، والعالم بما توسوس به نفس عبده فهو أقرب إليه من حبل الوريد، مع ملاحظة تذييل الآية بأن الله سبحانه خبير بما يعمل عباده وعبيده، فإن كل ذلك يدفع المسلم للرجوع إلى نفسه للنظر بعين بصيرته وفكره وتأمله فيما يقدمه من عمل، وفيما إذا كان يليق بجلال الخبير العليم الذي سيلاقيه غدا بهذا العمل، فهل يليق بجلاله الكريم وعظمته ملاقاته بالمعاصي والكنود؟ وبالمقابل فإن العبد يزن طاعته (نجاحاته) وينقدها نقد العليم بنفسه وضعفها وقصورها، فيسأل نفسه عن هذه الطاعة التي سيقدمها غداً لمولاه وبين يديه، هل تليق بجلاله وعظمته. وكما يقول ابن القيم: "فأمر سبحانه العبد أن ينظر ما قدم لغداً، وذلك يتضمن محاسبة نفسه على ذلك، والنظر هل يصلح ما قدمه أن يلقى الله به أو لا يصلح"¹. فإذا تمت ملاحظة السياق كله والانتباه للآية التالية وهي قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفٰلِسِقُونَ﴾ [الحشر: 19]. حيث التحذير من حال من نسي ربه وأمره بمحاسبة نفسه والنظر في أعماله حسناتها وسيئها على حد سواء، فإن مصيره مصير السائبة الهائمة على وجهها في صحراء الضياع لا تدري أين تتجه وتذهب. ونسيان النفس يذكر المرء بمرضى فقد الذاكرة الذين لا يعرفون ماذا يريدون، ولا أين يتجهون. وحال الغافل عن الرجوع لنفسه لمحاسبتها بالنظر فيما تقدمه وتقدم به على مولاه غداً، حال الضائع التائه الذي لا يهتدي إلى غاية أو سبيل أبداً.

ومن خلال ما تقدم من عرض، يستبين وجه العلاقة والصلة بين نظر الإنسان في عمله الحسن والسيء، والعودة إلى الذات بعد النجاح والفشل. وما النظر في العمل، والعودة إلى الذات إلا تفتيش في كل العمل نجاحاً وإخفاقاً، وتدقيق فيه، وتجويد له لكي يليق بأن يلاقي المرء به ربه جل في علاه يوم الدين.

¹ ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، (187/1).

خامسا: التغيير

التغيير انتقال من حال إلى أخرى. قال ابن منظور: "تغير الشيء عن حاله: تحول. وغيره: حوله وبدله كأنه جعله غير ما كان"¹.

والآية المتعلقة بالتغيير، والتي لها صلة بمفهوم العودة إلى الذات هي قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11].

معظم التفاسير القديمة والحديثة التي اطلع عليها الباحث ترى أن التغيير الإلهي المقصود في الآية: التغيير للأسوأ فقط، بمعنى أن الله سبحانه لا يغير ما عليه عباده من الإنعام فيعاقبهم إلا إذا غيروا ما بأنفسهم بارتكاب المعاصي ومخالفة أمر الله سبحانه². وهو ما يفسره قوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: 53]. غير أن الباحث وجد بعض المعاصرين يفسر التغيير على إطلاقه، فهو تغيير من الله سبحانه نحو الأفضل أو الأسوأ، بحسب تغيير ما بالأنفس، فمن أراد أن يغير الله حاله نحو الأفضل، عليه أن يغير ما بنفسه نحو الأفضل أولا، وهكذا³.

ويميل الباحث مع الرأي القليل القائل بأن التغيير المقصود في ثورة الرعد هو التغيير على إطلاقه، فمن أراد أن يتغير حاله نحو الأفضل، فإن عليه أن يغير ما بنفسه نحو الأفضل؛ فالطالب الذي رسب في دروسه بسبب تقصيره في الدراسة وإهماله وتضييع وقته، لا يتغير حاله الخارجي، فينتقل

¹ ابن منظور، لسان العرب، (40/5)

² ينظر: الطبري، جامع البيان، (382/16، 383)، وينظر: الزمخشري، الكشاف، (517/2). وينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (20/19). وينظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر ت: 774هـ، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي سلامة، دار الطيبة للنشر والتوزيع، (ط2)، (1420هـ-1999م)، (440/4). وينظر: الشوكاني، فتح القدير، (84/3). ومن المعاصرين ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (101/13، 102). وينظر: الشنقيطي، محمد الأمين ت: 1393هـ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (1415هـ-1995م)، (236/2-237). وينظر: الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، (ط2)، (1418هـ)، (124/13).

³ ينظر: الخطيب، عبد الكريم يونس ت: بعد 1390هـ، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، (81/7). وينظر: أبو زهرة، محمد بن أحمد ت: 1394هـ، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، (3911/7).

إلى النجاح والتفوق إلا إن غير ما بنفسه تغييراً يمكنه من تحقيق النجاح، وذلك بالذاكرة والاجتهاد.

ولكن، كيف يغير المرء ما بنفسه نحو الأفضل؟ إنه يفترض أن تسبق عملية التغيير هذه، عودة إلى الذات، يفتش المرء فيها عن مكامن الضعف، وأسباب الخلل والقصور، حتى إذا اكتشفه قام بعلاجه، وهذه هي عملية تغيير ما بالذات: البحث عن سبب الخلل الذي أدى إلى الفشل والإخفاق، ثم العمل على إصلاحه، حتى يتغير حاله من الرسوب والإخفاق، إلى النجاح والإنجاز. وبهذا تتضح العلاقة والصلة بين مصطلح التغيير، ومفهوم العودة إلى الذات، بكون العودة إلى الذات السبيل الإجباري الذي يستلزم العبور منه نحو تغيير ما بالذات، كي يغير الله الحال نحو الأفضل.

المطلب الثاني: التراكم القرآنية ذات الصلة بالعودة إلى الذات

أولاً: الرجوع إلى النفس

يقول الله عز وجل واصفاً قوم إبراهيم عليه السلام، وقد دمغتهم حجته المبهرة، عبر خطته الذكية التي أثبت فيها عجز آلهتهم عن جلب النفع أو دفع الضر عن نفسها فكيف تفعله لسواها، حيث يصور لنا القرآن الكريم ذلك في عرض مشهدهم وهم يرون أصنامهم المحطمة، فإذا بإبراهيم عليه السلام يقول لهم وقد سأله: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى آعِينِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَاءَ لَوْهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ [الأنبياء: 58-64]. لقد استطاع إبراهيم عليه السلام أن يزيل عن أعينهم -حين- غشاوتها. لقد هزتهم حجته، وأفاقهم من سكرتهم برهانه ومنطقه، فكأنما شعروا مقدار الغفلة التي كانوا فيها، فرجعوا إلى أنفسهم: فرادى وجماعات. فلما أن كل واحد منهم بدأ يراجع أفكاره ومعتقداته على حدة، أو أن هذه المراجعة كانت جماعية، بحيث دار النقاش فيما بينهم.

لتكون نتيجة هذه المراجعة المنطقية اكتشافهم جهلهم وخطأهم وحمق تفكيرهم في عبادة آلهة لا تملك لنفسها ضرا أو نفعاً بله أن تملكه للآخرين، وكانت نتيجة هذا الرجوع الأولي للنفس اكتشاف الخطأ والاعتراف به: ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنبياء: 64]. لكن هذا الاعتراف بالخطأ والذي كان يفترض أن يقودهم إلى تصحيحه، لم يدم طويلاً إذ ران على قلوبهم كل ما ألقوه من خرافة المعتقد، وكل ما اعتادوه من رتابة التقليد الأعمى، ويصوّر القرآن الكريم هذه الردة العقلية بأبلغ تصوير في الآية التالية، إذ يقول سبحانه: ﴿ثُمَّ نَكَّسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: 65]. يقول صاحب الكشاف: "نكسته: قلبته فجعلت أسفله أعلاه، وانتكس: انقلب، أى: استقاموا حين رجعوا إلى أنفسهم وجاءوا بالفكرة الصالحة، ثم انتكسوا وانقلبوا عن تلك الحالة، فأخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة"¹. وهنا نجد العودة إلى الذات فردياً أو جماعياً، أو كلاهما، كيف تقود إلى اكتشاف الخطأ، لكن موروثات وموانع كثيرة² تحول دون تصحيحه لتكون الانتكاسة والبقاء في مستنقع الخطأ والخسران.

ثانياً: النفس اللوامة

أقسم الله عز وجل في سورة القيامة بالنفس اللوامة قائلاً سبحانه: ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۗ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: 1-2].

وسميت هذه النفس باللوامة، لأنها تلوم صاحبها كلما قصر في العبادة، أو قام بمعصية³، فتبدأ بتقريعه حتى تدفعه للتوبة. وذكر القرطبي عن الحسن قوله إن المؤمن لا يرى إلا لائماً لنفسه: لم فعلت كذا، ولم لم أفعل كذا؟ وماذا أردت بكذا؟ فهي لائمة نفسها على خير لم تستكثر منه، أو شر فعلته⁴. "ووصف اللوامة مبالغة، لأنها تكثر لوم صاحبها على التقصير في التقوى والطاعة. وهذا اللوم هو المعبر عنه في الاصطلاح بالمحاسبة، ولومها يكون بتفكيرها وحديثها النفسي"⁵.

¹ الزمخشري، محمود بن عمرو ت: 538هـ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت (ط3)، (1407هـ)، (125/3).

² سيتطرق البحث في فصوله اللاحقة إن شاء الله إلى هذه الموانع بالتفصيل.

³ ينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، (4/3)، و(44/4).

⁴ ينظر: القرطبي، محمد بن أحمد ت: 671هـ، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، (ط2)، (1384هـ، 1964م)، (92/19).

⁵ ابن عاشور، التحرير والتنوير، (338/29).

ومن هنا تتضح الصلة بين مصطلح (النفس اللوامة) و (العودة إلى الذات بعد النجاح أو الفشل)، إذ يرجع المرء لنفسه يفتش في كسبها القلبي والمادي، فيجد إخفاقا تلومه نفسه عليه، أو نجاحا لا يخلو من اللوم أيضاً أن لم يكن أتم وأكمل.

ثالثاً: الاعتراف بظلم النفس

خلق الله الإنسان محباً لنفسه، يسعى لنفعها، ويجاهد لدفع الضر عنها. لذلك توجه له خالقه العليم به سبحانه، والعليم بما فطره عليه، حاثاً إياه على الطاعة منفراً له من المعصية، محرّكاً فيه هذه الغريزة التي فطرها فيه، وجبله عليها، كما في قوله سبحانه:

- ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ^ط وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا^ق وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت:46].

- وقال سبحانه: ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ^ط وَمَنْ ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الإسراء:15].

فالقرآن يحرك في الإنسان دافعية حبه جلب الخير لنفسه، ودفع الضر عنها، فإن طاعتك لله عزو وجل إنما هي لنفسك أنت. أنت المستفيد منها، وأنت من سيجني ثمرها، كما أن معصيتك ستجلب لك الضرر أنت أولاً، فلو لم يكن هذا الأمر (حب النفس بجلب الخير لها ودفع الضر عنها) مغروزا ومغروسا في فطرة الإنسان لما خاطبه ربه سبحانه محرّكاً فيه هذا الدافع¹.

والاعتراف بظلم النفس هو نتاج عملية مراجعة يقوم بها المرء مع نفسه، فيكتشف حالاً أو عملاً لا يرضاه لنفسه ولا يقبله منها، إذ عاقبته الخسران والأذى لهذه النفس في المحصلة. وإذ يدرك أنه -في النهاية سيوردها المهالك- فإنه يستشعر مدى الظلم الذي ظلمه لها، من حيث يريد لها الخير والسعادة. ويظلم المرء نفسه بتقديمه العاجل الزائل على الباقي الآجل، واستبداله الخبيث بالطيب، وفعله ما لا يليق بمثله من الصالحين والسابقين فعله، وغير ذلك.

¹ ينظر: النتشة، جواد بحر، عالم الأنفس: حركة العلاقة بين النفس والقلب والسلوك، مطبعة بابل الفنية، لحول -فلسطين، (1427هـ-2006م)، (139-156).

وورد تعبير الاعتراف بظلم النفس في القرآن الكريم ثلاث مرات، كما يأتي:

- قوله سبحانه على لسان أبونا عليهما السلام في الجنة: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف:23]. حيث أدرك أبوانا عليهما السلام مدى الخسارة التي حلت بهما بنسيانهما أمر الله عز وجل، وانخداعهما بإغراءات إبليس، فبادرا إلى التوبة وطلب المغفرة مباشرة.¹

- وقوله سبحانه على لسان موسى عليه السلام عندما وكز الرجل فقضى عليه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص:16]. وعلى الرغم من أن موسى عليه السلام تحرك دفاعا عن مظلوم معتدى عليه -كما رأى الأمر- بخلفية ظلم الفراعنة- بشكل عام- لبني إسرائيل، فضلا عن استغاثة هذا المظلوم به. وعلى الرغم أن ما قام به كان مجرد الوكز. لكنه لما رأى النتيجة المترتبة على ذلك -بغير قصد منه- وهي إزهاق روح، وقتل نفس، لام نفسه وأدرك الخطأ الذي ارتكبه، فاعترف بظلمه لنفسه عليه السلام تائبا مستغفرا.²

- وقوله سبحانه على لسان ملكة سبأ: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسَأَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل:44]. وظلمها لنفسها كان بكفرها أولا، ثم بظنها أن سليمان عليه السلام يريد إغراقها في اللجة.³ وربما باعتقادها أنه ملك يبحث عن السيطرة فعلمت أنه نبي مرسل، وغير ذلك مما قد تكون لامت نفسها فيه.

وهكذا تتضح العلاقة الواضحة بين الاعتراف بظلم النفس، ومفهوم العودة إلى الذات، ففي كليهما رجوع للنفس، وتفتيش عن إخفاقاتها وأخطائها، مصحوبا بالندم واللوم اللذان يولدان الدافعية لتصحيح الخطأ.

¹ ينظر: الطبري، جامع البيان، (356/12)

² ينظر: الأوسى، محمود بن عبد الله ت:1270هـ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، (1415هـ)، (264/10).

³ ينظر: الشعراوي، محمد متولي ت:1418هـ، تفسير الشعراوي-الخواطر، مطابع أخبار اليوم، مصر، (10792/17).

المبحث الثالث

العودة إلى الذات في ضلال الإيمان بالقدر وتأثير العوامل الخارجية

يحاول هذا المبحث أن يجيب على ما قد يبدو إشكالاً في العلاقة بين الإيمان بالقدر، والأخذ بالأسباب، ثم البحث في العلاقة بين الظرف الذاتي والموضوعي؛ فما دامت العودة إلى الذات هي الطريق الإلزامي للعبور نحو تصحيح الأخطاء، وتطوير الإيجابيات، مما يعني أن الإنسان هو من يحدد نجاحه وفشله، وهو من يصنع إنجازاته وإخفاقاته، فأين القدر الرباني الغلاب من ذلك؟ وما هو موقع الظروف الموضوعية الخارجة عن إرادة الإنسان، وما هو دورها في رسم مستقبله؟ ولترسيخ مفهوم العودة إلى الذات وفهمه في إطار أوسع يضم عوامل ومؤثرات ومحددات قد يُظنُّ أنها يمكن أن تلغي أثر هذه العودة وفاعليتها، فإن هذا المبحث سيناقد هذه المسألة ضمن مطلبين اثنين هما:

المطلب الأول: العودة إلى الذات في ظل الإيمان بالقدر

نحن -المسلمين- أمة: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة:3]. والإيمان بالقدر خيره وشره جزء من عقيدتنا وركن أساس من أركان الإيمان لا يستقيم إلا به. فما هو القدر؟ وما دور الأسباب فيه؟ وهل من تأثير لأحدهما في الآخر؟ وكيف؟ وهل يلغي الإيمان بالقدر فاعلية الأسباب، بالتالي لا قيمة لأية مراجعة للنفس، إذ كل شيء مقدر ومكتوب، وما كان لم يكن إلا ليكون، ففيم المراجعة والعودة إلى الذات؟ ولعل الأسطر القادمة تحمل في طياتها الإجابة المطلوبة.

أولاً: مفهوم الإيمان القدر؟

القدر: علم الله السابق بالأشياء قبل حدوثها وخلقها، وكتابته لها، وإيقاعه لها وفق مشيئته سبحانه¹. وقدّر الله سبحانه ما تكون عليه الأشياء، زماناً ومكاناً ومقداراً وشكلاً وخصائص وصفات، وأحوالاً، وسجّل كل ذلك في إمام مبين، فالخلق والأمور والأشياء والأحداث كلها تقع وفق إرادته وقدرته وكما قدرها جل في علاه². يقول الله عز وجل: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ﴾

¹ ينظر: ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر ت: 751هـ، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، دار المعرفة، بيروت، (1398هـ-1978م)، (29).

² ينظر: القرضاوي، يوسف، الإيمان بالقدر، مكتبة وهبة، القاهرة، (ط2)، (1430هـ-2009م).

تَقْدِيرًا ﴿[الفرقان:2]﴾. "أي قدر كل شيء مما خلق بحكمته على ما أراد، لا عن سهوة وغفلة، بل جرت المقادير على ما خلق الله"¹.

ويقول سبحانه: **﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾** [الأحزاب:38]. "أي أن ما حدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان مقدرًا أزلًا، ولا شيء يخرج عن تقدير الله"².

فهذه الآيات ومثيلاتها تؤكد أن تحكم الله سبحانه بالأمر والأحداث يتجاوز الزمان والمكان؛ فالأحداث تمضي وفق مشيئة الله المطلقة، في الزمان الذي حددته القدرة الحكيمة³، وفي المكان الذي رسمته يد القدر الغلاب⁴، وفي الكيفية التي تخترق القلوب فتقذف فيها الرعب⁵، أو تربط عليها وتثبتها⁶، وبطلاقة قدرة تخرج الشيء من ضده⁷.

وهكذا تمضي آيات القرآن الكريم بأسلوبها الأخاذ، لتري المسلم قدرة الله الفاعلة في كل شيء، وحكمته المبسوطة في كل أمر؛ فالله سبحانه هو الذي: يحيي ويميت، ويؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، ويرزق من يشاء، ويعطي من يشاء ويمنع من يشاء، ولا راد لحكمه وقضائه: **﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾** [هود: 107].

فأين فعل الإنسان ودوره إذا؟

¹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (3/13).

² الشعراوي، تفسير الشعراوي، (12055/19).

³ كدخول موسى والخضر عليهما السلام، القرية في الوقت الذي يريد فيه الجدار أن ينقض لا قبل ذلك ولا بعده، وكدخول موسى عليه السلام المدينة على حين غفلة أهلها ليمت أمر الله، ولو تأخر أو تقدم قليلا لما وكز فقتل فخرج خائفا يترقب... وهكذا.

⁴ قال تعالى: **﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاحْتَالْتُمْ فِي الْمِيعَدِ وَالْكَفَى لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** [الأنفال:42].

⁵ قال تعالى: **﴿فَأَنزَلْنَا إِلَهُكَ مِنَ السَّمَاءِ فِي سُدْرِكَ لِيُنزِلَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يٰأُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾** [الحشر:2].

⁶ قال تعالى: **﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾** [الأنفال:11].

⁷ فأم موسى يوحى إليها أن تهزبه من موت مظنون بعثور جنود فرعون عليه، إلى موت محقق بإلقائه في اليم. ثم تكون نجاته بأن يترقى في بيت الطاغية الذي قتل كل الأطفال بحثا عنه!!

ثانياً: فاعلية الأسباب

وردت نصوص عديدة في القرآن تظهر فاعلية الأسباب، ومركزية الفعل البشري في صناعة الأحداث، وسيعرض الباحث ذلك في محورين:

❖ المحور الأول: السنن والقوانين:

السُّنَّةُ: "هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل بنظيره الأول"¹. فهي: "أمر أو تَصَرُّفٌ يُهَيِّئُ أو يُقَصِّدُ به (أو يَصْلُحُ) للاستمرار عليه والعمل به"².

وتقسم السنن إلى سنن كونية حاكمة لنظام الكون ومجرياته، وتتعلق بقوانين المادة والطبيعة، كقانون الإحراق للنار، وجليان الماء أو تجمده عند درجة كذا وكذا، وقوانين الجاذبية وغير ذلك. وسنن اجتماعية تتعلق بحركة الإنسان والمجتمع، وقوانين النصر والهزيمة، وصعود الحضارات وفنائها، وما إلى ذلك من قوانين الاجتماع البشري، وال عمران.³ فالسنة هي: "القانون الضابط المهيم والفعل النافذ الحاكم الذي يجري باطراد وثبات وعموم وشمول مرتبا على سلوك البشر"⁴.

قال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: 23]. و: "إن إرشاد الله إيانا إلى أن له في خلقه سننا يوجب علينا أن نجعل هذه السنن علما من العلوم المدونة لنستديم ما فيها من الهداية والموعظة على أكمل وجه...، وإنني لا أشك في كون الصحابة كانوا مهتدين بهذه السنن وعالمين بمراد الله من ذكرها...، كانوا يفهمون المراد من سنن الله -تعالى- ويهتدون بها في حروبهم وفتوحاتهم وسياساتهم للأمم التي استولوا عليها...، ومعنى الجملة: انظروا

¹ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم ت: 728هـ، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، (1416هـ-1995م)، (20/13).

² جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، (2/1079).

³ ينظر: زيدان، عبد الكريم، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، (1ط)، (1413هـ-1993م)، (23-25).

⁴ زكي، رمضان خميس، مفهوم السنن الربانية: دراسة في ضوء القرآن الكريم، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بال القاهرة، جامعة الأزهر، (ع23، ج1)، (2005م)، (350).

إلى من تقدمكم من الصالحين والمكذبين؛ فإذا أنتم سلكتم سبيل الصالحين فعاقبتكم كعاقبتهم، وإن سلكتم سبل المكذبين فعاقبتكم كعاقبتهم...¹.

إن العرض القرآني لما أسماه "السنن"، طالبا من المسلمين النظر المعترف في أحوال السابقين الذين سلكوا مقدمات أوصلتهم لنتائج محسومة، يفيد أن سلوك المقدمات ذاتها سيوصل إلى النتيجة ذاتها، فهو قانون لا يتغير، ويخضع له كل الناس بمعزل عن معتقداتهم وأديانهم. إن هذا كله ليؤكد أمرا واضحا لا لبس فيه، وهو فاعلية الأسباب وأثرها الواضح والأكيد في صناعة الأحداث. "فليس في الدنيا والآخرة شيء إلا بسبب والله خالق الأسباب والمسببات"².

وإذ قد استبان دور الأسباب وأهميتها، فهذا يعني صواب منهج العودة إلى الذات، والعمل على دراسة الأسباب التي قام بها المرء، من حيث الصواب والخطأ، أو من حيث القوة والضعف، بحيث يقوم بتعزيز ما هو صواب وعلاج ما هو خطأ، مما يعني ضرورة العودة إلى الذات للنظر في عمله ومقدماته التي ستصنع نتائجها مستقبلاً، وتحدد مصيره.

❖ المحور الثاني: التطبيق النبوي الكريم

سيدنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أعرف الناس بالله، وأعبد الناس لله، فمن أشد منه توكلًا وثقة بالله؟ لا أحد. غير أن الناظر في سيرته -صلى الله عليه وسلم- في مكة والمدينة، يدهشه هذا التدبير والتخطيط والحساب المحكم لكل صغيرة وكبيرة، وهو أمر لا تخطئه عين في حربه وسلمه، وحله وترحاله، وفي إدارته وقيادته، وفي تحالفاته وعقوده. وكان يعدّ لكل شيء عدته. ولعلّ من أوضح هذا التدبير البشري، هجرته -صلى الله عليه وسلم- وكيف خطط لها ونفذ³.

¹ رضا، محمد رشيد ت: 1354هـ، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (1990م)، (115-114/4).

² ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (70/8).

³ ينظر: ابن هشام، عبد الملك ت: 213هـ، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا والأبياري والشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، (ط2)، (1375هـ-1955م)، (492-482/1).

ولسائلٍ أن يسأل: إذا كان كل هذا التدبير، حتى لم يترك وسيلة يمكن أن تخطر ببال بشر إلا وقام بها لإنجاح هجرته -صلى الله عليه وسلم- فأين الإيمان والتوكل والثقة بالله؟

وهذه التساؤلات تشكل المدخل للنقطة التالية.

ثالثاً: العلاقة بين القدر والأخذ بالأسباب، لأجل العودة إلى الذات

ما دام المسلم يؤمن إيماناً عميقاً بقدر الله، ويرى يد الله الفاعلة في كل شيء، فلا يكون في ملك الله إلا ما أراد الله وقدر الله، ثم إنه بالمقابل يدرك أنه مسئول مسئولية تامة عن فعله، فلا يجبره أحد على اختياراته وقراراته، فله أن يذاكر فينجح، أو يكسل فيرسب، فهو يصنع شخصيته ومستقبله ومصيره. ولكل إنسان أن يؤمن فيدخل الجنة، أو يكفر فيدخل النار، قال تعالى:

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف:29].

يبدو للباحث أن ثمة خيطاً رفيعاً من الفهم يحسم كثيراً من اللبس؛ فإذ يدرك المرء يقيناً أنه المسئول عن أفعاله، فيعاقب ولده -على سبيل المثال- إن هو أخطأ أو رسب ولا يرضى منه احتجاجه بالقدر لو قال له: لا ذنب لي فإله قدر علي ذلك قبل أن أولد! وبالمثل فإنه يكافئه حين ينجز أو يتفوق، ولا يقول: إنه لا فضل له بهذا النجاح لأنه مكتوب في صحيفته منذ الأزل! وهكذا يتعامل الناس جميعاً أفراداً ودولاً، فيعاقبون المسيء، ويكافئون المحسن، لأن البشر جميعاً موقنون أن الإنسان مسئول عن فعله بشكل كامل ودون إجبار أحد.

إن خيط الفهم الدقيق الناظم للمسألة، مرتبط بتوجيه فكر الإنسان وعقله نحو آلية فعل القدر، وهو أمر فوق إدراك العقل البشري. حيث يمكن القول إن في هذه المسألة طرفان اثنان: طرفاً متعلقاً بفعل الإنسان يفهمه تماماً، وتتطرق كل ذرة في كيانه باستيعابه، وأنه يستطيع فعل ما يشاء وترك ما يشاء، فهو يتحمل نتيجة أفعاله وقراراته. وطرفاً آخر للمعادلة، وهو فوق كيف يقدر الله سبحانه منذ الأزل كل ما كان ويكون وسيكون فلا يحدث شيء إلا وفق ما كان الله سبحانه قد قدره، لكن الله سبحانه -بالمقابل- لا يجبر أحداً على فعل، فحاشا لعدل الله سبحانه أن يجبر الكافر على الكفر ثم يحاسبه عليه، بل الإنسان مختار لما يريد بكل حرية مطلقة، لكنه في كل ما يختار لا

يخرج عن قدر الله. فكيف يكون ذلك؟ إنه أمر فوق إدراك العقول، فلا مجال للبحث فيه، ولن تصل معه إلى نتيجة. ولعل هذا ما نهى النبي -صلى الله عليه وسلم- الصحابة عن الخوض فيه؛¹ فإضافة أنه لا يوصل إلى نتيجة، وهو فوق إدراك العقول، فإنه لا ينبغي عليه أي أمر عملي، فالإنسان مطالب بالاهتمام بما يعنيه ويحدد مصيره، وهو عمله وسلوكه، وهو يدرك أنه مسئول عنه بشكل مباشر وكامل. وهذا حسبه.

إذاً ببساطة ودون تعقيد، فإن المسلم مطالب بترك التفكير في طرف المعادلة الآخر لأنه فوق إدراكه وقدراته، وتركيز تفكيره فيما يملكه ويترتب عليه مستقبله ومصيره.

ولكن إن كان لعالم الأسباب هذا الدور الفاعل في تحديد مصير الإنسان، فما الحكمة من هذا الحشد الكبير من الآيات القرآنية التي تتحدث عن قدر الله وتصرفه في ملكه كيف يشاء؟ ولم كان الإيمان بالقدر ركناً من أركان الإيمان لا يستقيم إيمان المرء إلا به؟ أو كيف نوازن بين الإيمان بالقدر وفاعلية الأسباب؟ ولعل الباحث يجمل الإجابة في النقاط الآتية:

(1) يمكن القول إن القرآن هو كتاب الحقيقة، وهل من حقيقة أكبر من أن الله سبحانه هو مالك الملك وخالقه والمتصرف بخلقه كما تشاء حكمته العليمة؟

(2) إن الإيمان بالقدر يسكب في قلب المؤمن شعوراً بالأنس والطمأنينة أنه مع القوة التي لا تغلب، ومع قدر الله الذي لا راد له. ومن وجد الله ماذا فقد؟

(3) إن فهم الحياة -كما خلقها الله عز وجل- وأنه سبحانه خلق أسبابها ومسبباتها، وجعل الأسباب ناظماً لشؤونها، إن هذا الفهم جزء من العبادة، فنحن نعبد الله كما أراد الله سبحانه.

¹ روى الإمام أحمد في مسنده، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم والناس يتكلمون في القدر فكأنما تفتأ في وجهه حب الرمان من الغضب، فقال لهم: مالكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلكم. ابن حنبل، أحمد بن محمد ت: 241هـ، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد وآخرين، مؤسسة الرسالة، (ط1)، (1421هـ-2001م). (11/250) (6668). وقال المحقق: حديث صحيح وإسناده حسن. وروى الترمذي قريباً منه. ينظر: الترمذي، محمد بن عيسى ت: 279هـ، سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، ومحمد عبد الباقي وآخرين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي، مصر، (ط2)، (1395هـ-1975م)، أبواب القدر، باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر، (4/443)(2133). وحسنه الألباني.

4) إن الله سبحانه الذي أمرنا أن نؤمن بالقدر، هو سبحانه الذي أخبرنا أن الحياة الدنيا منتظمة بعالم الأسباب، وأن علينا الأخذ بها، فالإنسان هو المسئول عن اختياراته، إن خيرا فخير، أو شرا فشر: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ^٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 7-8]، وإنه: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: 123].

5) التكامل بين الإيمان بالقدر، وضرورة الأخذ بالأسباب، هو التكامل بين عمل القلب وعمل الجوارح. فبعد أن أخذ النبي -صلى الله عليه وسلم- كامل الأسباب في الهجرة، وعندما وصل المشركون باب الغار وأبو بكر يقول له: لو نظر أحدهم إلى موضع قدميه لرآنا-خوفا عليه وإشفاقا أن يصيبه منهم مكروه- ما اهتز يقينه صلى الله عليه وسلم ولا تلعث قلبه وهو يطمئنه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: 40]. "ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما"¹. هذا التكامل الذي يصوره مثل قول الله سبحانه: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَا كِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 17]. هو الفهم الدقيق للمسألة.

6) وهو الفهم العمري الواضح والعميق، عندما أجاب أبا عبيدة، في مسألة عدم دخل الشام بسبب الطاعون، فسأله: أنفر من قدر الله؟ فقال عمر: "نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله"².

7) في كتابه: منهج القرآن في القضاء والقدر، قسم محمود غريب القضاء والقدر إلى ثلاثة أنواع: نوع يستوجب الصبر، ونوع يستوجب المعالجة، ونوع للإنسان فيه الحرية.³ والحقيقة أنهما نوعان: نوع لا إرادة للإنسان فيه، كالموت، والزلازل والبراكين وما إلى ذلك. ونوع تحت تصرف

¹ متفق عليه واللفظ للبخاري، صحيح البخاري، كتاب: أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب: مناقب المهاجرين وفضلهم، (4/5)، (3653). وينظر: صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب: من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، (4/1854)، (2381).

² متفق عليه واللفظ للبخاري، صحيح البخاري، كتاب: الطب، باب: ما يذكر في الطاعون، (7/130)، (5729)، وينظر: صحيح مسلم، كتاب: السلام، باب: الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، (4/1740)، (2219).

³ ينظر: غريب، محمود، منهج القرآن في القضاء والقدر، دار القلم للتراث، القاهرة، (ط2)، (1419هـ-1998م)، (11-17).

الإنسان وقدرته، كسائر أعماله واختياراته، وهذا النوع هو مناط تكليف الإنسان، وهو المسئول عنه والمحاسب عليه.

وهذا النوع الثاني الذي يخضع لإرادة الإنسان، ويقع تحت مسؤوليته، هو المرتبط بموضوع البحث. فالإنسان مسئول عن جوارحه في عالم الأسباب تخطيطاً وتدبيراً وعملاً وسلوكاً، في كل شئون الحياة، كما أنه مسئول عن قلبه في عالم اليقين والرضا والتسليم والتوكل والثقة بالله. وإذ إنه في قضية الإيمان بالقدر يتكامل عمل القلب مع عمل الجوارح، فإن العودة إلى الذات عودة يراجع فيها المرء قلبه وجوارحه، فهو يبحث في عالم الأسباب عن إخفاقاته ونجاحاته المادية، كما يبحث في عالم القلب عن نيته ويقينه وثقته وتوكله وتسليمه ورضاه. موقناً أنه المسئول عن تحديد مصيره في الدنيا والآخرة، فلا يكون إيمانه بالقدر عامل تثبيط وتيئيس واستسلام مُقْعِدٍ عن العمل، بل عامل سكونية وطمأنينة لا تخيفه حين يفرغ الناس، ولا تبطره حين يفرحون، إنما يعطيه الدافعية الإيجابية على الدوام.

فالقدر إذاً متعلق بعلم الله وقدرته ومشيبته، ولا دخل للإنسان فيه، فحتى الأسباب مقدره، يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: 30]. فنحن نؤمن بقدر الله كله، ونأخذ بالأسباب لأننا مأمورون بها، لا أنها فاعلة بنفسها، والعودة إلى الذات جزء من هذه الأسباب.

المطلب الثاني: مفهوم العودة إلى الذات في ظل تأثير العوامل الخارجية

"الذاتي اسم منسوب إلى ذات".¹ أما الموضوعي فهو مرتبط بالشيء الخارجي مستقلاً عن ذات الإنسان. وهكذا فالعامل الذاتي: كل ما له علاقة بذات الإنسان وجوهره، والمقصود به كل ما يقع تحت إمكانات فعله وتصرفه فهو مسئول عنه. أما الظرف الموضوعي فهو الخارج عن إرادة الإنسان² وبالتالي فلا مسؤولية عليه بسببه، لأنه ليس صانعه.

¹ عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، (801/1)، ولتعريف الذات يرجع إلى صفحة: (11، 12)، من البحث.

² ينظر: المسيري، عبد الوهاب، الموضوعية والذاتية، مقال منشور في موقع إسلام أون لاين،

<https://islamonline.net/31734>

وما دام أن القدر -كما تقدم- نوعان: نوع يقع تحت مسؤولية الإنسان فهو ذاتي، ونوع خارج عن مسؤوليته فهو موضوعي، فإن الباحث سيتناول هذا المطلب عبر الإشارة القرآنية لأثر العوامل الخارجية، في مقابل التشديد على ضرورة التحصين الداخلي الذي يستلزم العودة إلى الذات لدوام المتابعة.

أولاً: أثر العوامل الخارجية:

1. عوامل خارجية تمثل تحديات على المسلم مواجهتها

في أكثر من أية في كتاب الله عز وجل، يصور القرآن للمسلمين طبيعة حلف الباطل من شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض، في شبكة من العلاقات والمصالح الدنيوية يلتقي عليها ملوهم، وهدفها المكر بالحق، والنيل من الإسلام القادم بسيف العدالة والحرية يرد للناس ما اغتصبه منهم قيصر، وما سرقه منهم كسرى، وينقذهم من ظلم فرعون وملئه. ومن هذه الآيات القرآنية التي تصور هذا المكر:

- قوله سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّأ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة:32].

- وقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال:30].

- وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِيَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [إبراهيم:46].

هذه الآيات ومثيلاتها، تقرر بما لا يدع مجالاً للشك أن هناك عاملاً خارجياً فاعلاً ومؤثراً في الأحداث، وهو -هنا- المكر والكيد. إضافة إلى عوامل وظروف خارجية متعلقة بالجغرافيا والطقس والظروف البيئية وغير ذلك مما لا علاقة للإنسان به.

2. عوامل خارجية بمثابة فرص مطلوب من المسلم حسن استثمارها

يقدم القدر الرباني فرصا يريد من المسلم استغلالها، وإلا فإن غيره يمكن أن يستغلها كذلك. وهذه الفرص تأتي على شكل حرب لأطراف خارجية، أو على شكل أحداث كونية وطبيعية، أو غير ذلك مما لا علاقة لأحد به، ودور المسلم أن يحسن استغلال هذه الأحداث والعوامل الخارجية.

ولعل من أوضح الشواهد على حضور الظرف الموضوعي الخارجي هذا، حديث السيدة عائشة رضي الله عنها عن يوم بعث؛ فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: "كان يوم بعث، يوما قدمه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد افترق ملؤهم، وقتلت سراتهم وجرحوا، فقدمه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في دخولهم في الإسلام"¹. فأما المؤمنون رضي الله عنهم تشييراً -في هذا الحديث- إشارة واضحة، إلى الظرف الموضوعي الذي هيأه الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم، دون جهد منه، كي تصبح المدينة جاهزة لاستقبال المشروع الإسلامي واحتضانه، ولولا هذه التهيئة القدرية لكان الظرف الموضوعي في المدينة مشابهاً لأخيه في مكة، ومانعاً من إقامة المشروع الإسلامي بالرغم من قدرات النبي -صلى الله عليه وسلم- وحسن تدبيره وتخطيطه. وفي هذا إشارة على الصلة الوثيقة بين الإيمان بالقدر والأخذ بالأسباب، وأنهما جناح الطائر الذي لا يطير إلا بهما مجتمعين؛ فالقدر يهيئ الفرصة التاريخية، والمسلم يحسن استغلالها.

ثانياً: التحصين الداخلي ودوره في التعامل مع العوامل الخارجية

ومع ذلك فإنه بالتوازي مع هذا التقرير الرباني لحقيقة الظرف الموضوعي الخارج عن إرادة الإنسان، فإن القرآن الكريم -بالمقابل- يركز دوماً على الذات، ويريد المسلم بعد كل محطة إلى العودة لنفسه والتفتيش في نقاط ضعفها وقوتها، دون التفات إلى العامل الخارجي -مع الإقرار بوجوده وأثره وفاعليته-. ويمكن ملاحظة هذا النهج القرآني في مثل هذه الآيات:

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب: مناقب الأنصار، باب: مناقب الأنصار، (30/5)، (3777).

- إخفاق المسلمين يوم أحد بسبب تقصيرهم، حيث لم يشر القرآن للعامل الخارجي المتمثل بخطة خالد بن الوليد في الالتفاف عليهم، بل ردهم إلى الذات، فقال سبحانه: ﴿أَوْلَمَّا أَصَبْتُمْ مُمْسِبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أِنَّا هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران:165].

- الصبر والتقوى في مواجهة الكيد، حيث قال سبحانه: ﴿وَإِن تَصَبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران:120]. فهذه الآية تتحدث عن عامل خارجي من الكيد والتآمر، لكنها تقرر بوضوح أن العامل الحاسم في المسألة هو الداخل. وبمقدار التحصين الداخلي تستطيعون إزالة خطر العامل الخارجي. وهذا أشبه بحالة لص يتربص ببيت ليسرقه، فإن كان البيت محصنا ومحاطا بالأسوار والحمايات والحراسات فإن اللص لا يستطيع النفاذ وإلحاق الضرر، بخلاف ما لو كان البيت عديم الحراسة، مهدوم السور، مكسور الأبواب والشبابيك، فإنه سيكون مغريا للصوص كي يقتحمه. ففي الحالتين هناك كيد وهناك لص، لكن العامل الحاسم أن هناك بيتا محصنا، وآخر بلا حصانة. وهذا يعيد البحث مرة أخرى إلى الذات، وأنها الأساس في المعادلة، ومن ثم كان الرجوع إليها بالتفتيش عن قصورها لعلاجها، وملاحظة نقاط قوتها لتطويرها هو الأساس القويم الذي تنطلق منه النفس نحو التقدم والرقى، والفوز والسعادة. وهذه هي فلسفة العودة إلى الذات.

وبعد، فإن الباحث يرجو مما تقدم في هذا المبحث أن يكون قد اتضح ما يأتي:

(1) المسلم يرى بقلبه قدرة الله الفاعلة في كل شيء، وهذا يلقي في روعه الطمأنينة والسكينة، ويعطيه الدافعية الأكبر لأن يكون يد القدرة الإلهية في تحقيق مهمة الاستخلاف.

(2) الله الذي أمر المسلم بالإيمان بالقدر وفاعليته، وجعل ذلك ركنا من أركان الإيمان، هو الله سبحانه الذي أمره بالعمل والأخذ بكامل الأسباب، فالإيمان بالقدر عبادة قلبية، والأخذ بالأسباب عبادة عملية.

3) علم المسلم محدود، فهو يجتهد ويبذل الوسع في سعيه نحو نصرته دينه، وتحقيق أهدافه الخاصة والعامة، ولكن هناك عوامل وظروفا خارجية لا تقع في نطاق معرفته ومسئوليته، فدوره مع القاهر منها الصبر، ومع ما دونه المدافعة بدفع قدر الشر بقدر الخير. كما يدفع قدر المرض بقدر التداوي، وهكذا.

4) وهكذا تظل حركة المسلم في سعيه نحو غاياته: فهو يتمثل في: قلب مؤمن -إخلاصاً ورضاً وتوكلاً-، وجوارح عاملة -تديباً وجهداً وحساباً-.

والمسلم: "يد تكسب بتعب وحرص وحساب، ويد تنفق في سبيل الله بغير حساب"¹.

5) ومن ثم فإن المسلم مطالب بالعودة إلى ذاته، ومراجعة قلبه وجوارحه، والتفتيش في عمل كليهما. يقوم قلبه وعقله، فلا التفتيش عن أعمال القلب وأمراضه كافٍ، ولا النظر في عمل الجوارح والأسباب يغني. فالرجوع المطلوب رجوع للنفس بكل مكوناتها، العقلية والقلبية، إذ العمل والنتائج مرتبطة بالقلب والعقل، ففيهما يتم البحث والتفتيش، ولعملهما تتم المراجعة والتقويم.

وفي نهاية هذا الفصل يرجو الباحث أن يكون قد وضح مفهوم العودة إلى الذات، بعد النجاح أو الفشل، وجلى غوامض معناه.

¹ ياسين، عبد السلام، المنهاج النبوي تربية وتنظيماً وزحفاً، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، (ط2)، (1410هـ-1989م)، (340). وفي الكتاب: يد تكسب بتعب وحساب وحرص، لكنني بدلتها فجعلتها بتعب وحرص وحساب لتناسب السجع.

الفصل الثاني

أهمية العودة إلى الذات في القرآن الكريم

الفصل الثاني

أهمية العودة إلى الذات في القرآن الكريم

يمكن ملاحظة اهتمام القرآن الكريم بتربية المسلم على جعله التواب الذي يحبه الله سبحانه، والعائد إلى ذاته بعد كل موقف كما يريد الله عز وجل ويرضى، من خلال المبحثين الآتيين:

المبحث الأول

تطور الإنسان ونهوضه نحو التقدم والنجاح

كما لا تستقيم تجارة تاجر لا يعمل لتجارته جرد حساب، يكتشف به ما الذي يربحه فيكثر منه، وما الذي يخسره فيتخلى عنه، فإن حياة الإنسان لا يمكن لها أن تستقيم إلا بمثل هذه المراجعات. وسيحاول الباحث تجلية الأهمية التي أولاها القرآن الكريم لهذه القضية من خلال المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: اهتمام القرآن الكريم بتنشئة الإنسان وتطوره

لا تخطئ عين تالٍ لكتاب الله عز وجل ملاحظة عناية القرآن الكريم بهذا الإنسان، الذي يخاطبه خالقه سبحانه ليرحمه ويعلي قدره ويرفع من شأنه. وفي مئات الآيات الكريمة يعرف القرآن الكريم الإنسان بخالقه الكريم وصفات جلاله وجماله وكماله، كما يعرف هذا الإنسان بنفسه (خلقاً، ونشأة، ومكونات، وخصائص، ووسائل إدراك، ومآلاً ومردًا...)، ويعرفه بالكون (الطبيعة: سهولاً وجبالاً وبحاراً، وبالكائنات الحية التي تعيش على هذه الأرض معه: حيوانات ونباتات، وبالفضاء وأفاقه...)، ويعرفه بالسنن التي خلق عليها وبها هذا الكون، ويطلع على جزء من عالم الغيب (ملاً أعلى كريماً، وملائكة، وجنا، وما حدث قبل أن يخلق...)، وأخبره أن كل ما في هذا الكون مسخر له، كما أخبره أنه اختار من بين الناس صفوتهم ليحملهم رسالته إلى الناس، بشارة ونذارة، وتربية وتعليماً. كما زوده في هذا الكتاب الكريم بكل الخبرات المربية اللازمة له في دنياه وآخرته.

وفي كل ذلك وسواه كان الإنسان والأخذ بيده نحو سعادته في الدارين هدف القرآن الكريم¹، الذي أنزله الله عز وجل على قلب الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم لإنقاذ الناس، يقول الله سبحانه: ﴿الرَّكَتِبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم:1]. ولو أردنا الاستشهاد بآيات من القرآن على كل ما تقدم لطلال الأمر، لكن الباحث يكتفي بالآيات المتعلقة بجزئية العودة إلى الذات من بين مئات الآيات التي كان الإنسان محور اهتمامها وعنايتها.

يبين الله عز وجل في القرآن للمسلمين، مهمة خاتم الأنبياء وصفوة خلقه -صلى الله عليه وسلم- الذي أرسله الله عز وجل إليهم بعد انقطاع صلة السماء بالأرض -وحيا يتلى- أكثر من خمسمائة سنة². ويلفت الانتباه أربع آيات في القرآن الكريم جاءت متشابهة في اللفظ والمعنى حول طبيعة هذه المهمة، إحداها كانت على لسان إبراهيم عليه السلام دعوةً منه لربه عز وجل:

- يقول الله عز وجل على لسان إبراهيم عليه السلام أثناء بناء الكعبة مع ولده إسماعيل عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: 129].

ثم تأتي الآيات الثلاث المتشابهة، وكأنها استجابة الله عز وجل لخليله إبراهيم عليه السلام:

- يقول الله سبحانه: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:151].

¹ ينظر: العقاد، عباس محمود، الإنسان في القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (ط4)، (2005م)، (10-55)، وينظر: شاولي، أحمد توفيق، الإنسان في القرآن الكريم، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ندوة خبراء أسس التربية الإسلامية المحكمة، (جمادى الثاني، 1980م)، وينظر: العقل، بدر بن علي، تكريم الإنسان في ضوء القرآن الكريم، جامعة عين شمس-كلية الآداب، مجلة حوليات آداب عين شمس المحكمة، (مج47)، (مارس، 2019)، (الملخص، والفصل الثاني).

² بين رسالة عيسى عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من (500)، سنة، حيث بعثه النبي صلى الله عليه وسلم سنة: 610م تقريبا.

- ويقول الله عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَبُرُكِيَّيَهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: 164].

- ويقول عز من قائل: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَبُرُكِيَّيَهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: 2].

ثمة ملاحظتان متعلقتان بالآيات الأربع السابقة.

الملاحظة الأولى: أن الآيات كلها تتحدث عن ثلاث مهمات للرسول صلى الله عليه وسلم¹ هي:

1- تلاوة الآيات. 2- التزكية. 3- تعليم الكتاب والحكمة.²

الملاحظة الثانية: أن الله سبحانه استجاب دعوة إبراهيم عليه السلام، مع تقديم وتأخير في ترتيب المهمات؛ حيث قدم إبراهيم عليه السلام في دعائه تعليم الكتاب والحكمة على التزكية، بينما في الآيات الثلاث التي أخبر الله عز وجل فيها عن مهمة النبي صلى الله عليه وسلم فإنه قدم التزكية على تعليم الكتاب والحكمة، وما ذلك إلا لأن التربية على التزكية تسبق في مهمة النبي - صلى الله عليه وسلم - مهمة تعليم الكتاب والحكمة.

وعندما نتحدث عن التزكية، نتحدث عن تزكية ما دية ومعنوية، وهذا ما نجده عند الكيلاني عندما يعرف التزكية³ بأنها: "عملية تطهير وتنمية شاملين هدفها استبعاد العناصر الموهنة للإنسانية الإنسان، وما ينتج عن هذا الوهن من فساد وتخلف وخسران، وتنمية كاملة للعناصر المحققة لإنسانية الإنسان وما ينتج عن هذه التنمية من صلاح وتقدم وفلاح في حياة الأفراد والمجتمعات"⁴.

¹ ومهمة الرسول صلى الله عليه وسلم هي مهمة جميع الرسل عليهم السلام.

² ينظر: الكيلاني، ماجد عرسان، **مناهج التربية الإسلامية والعاملون المربون فيها**، عالم الكتب، بيروت، (ط1)، (1416هـ-1995م)، (83-319).

³ قال الكيلاني -بعد أن نقل تعريف التزكية عند الطبري وابن تيمية- إن السابقين عرفوها بما يلائم حدودهم المعرفية، فاقترحت تعريفاتها على المشاعر النفسية دون الثقافة الخارجية، والمظهر الشعائري التعبدية دون المظهر الكوني، والخلق الفردي دون شبكة العلاقات الاجتماعية وعلاقة الحاكم بالمحكوم، وما يتفرع عن ذلك في ميادين السياسة والاقتصاد والإدارة والحكم. ينظر: الكيلاني، **مناهج التربية الإسلامية والعاملون المربون فيها**، (125-126).

⁴ الكيلاني، **مناهج التربية الإسلامية والعاملون المربون فيها**، (127).

فالتزكية عنده نوعان: معنوي متعلق بالمقيم والمعتقدات، ومادي متعلق بالنظم والتطبيقات. ومن أهدافها عنده تزكية المسلم من مرضي "الطغيان" و"الاستضعاف"، وتزكية الأمة في علاقات الحاكم بالمحكوم من هذين المرضين وهكذا.¹

ويرى طه عبد الرحمن أن مصطلح التزكية في الاستعمال القرآني أدل على مفهوم التربية من مصطلح التربية ذاته، إذ جاء هذا الأخير في القرآن أقرب إلى معنى الرعاية حسب السياقات القرآنية²، أما مفهوم التزكية فقد جاء مقرونا بمفهوم التعليم³ في القرآن الكريم، إضافة إلى التناسب بين المصطلحين؛ "فالخالق سبحانه هو الذي يزكي الإنسان، كما أنه هو الذي يعلمه⁴، والرسول (صلى الله عليه وسلم) يزكي الإنسان كما يعلمه⁵، والإنسان يتزكى كما يتعلم⁶... بحيث بقدر ما يتعلم الفرد يتزكى، وبقدر ما يتزكى يتعلم⁷."

قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۗ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۗ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: 7-10].

وتشمل التزكية تزكية النفس وتزكية البيئة العامة. أما تزكية النفس فتتمثل بتزكية القدرات العقلية، والقدرات الإدارية، وتزكية القدرات السمعية والبصرية، وتزكية الجسم. بينما تتمثل تزكية البيئة العامة بتزكية البيئة الدينية، والمعرفية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والفنية والأدبية، والطبيعية.⁸

¹ ينظر: الكيلاني، *مناهج التربية الإسلامية والعاملون المربون فيها*، (126-129)

² لم يتتبع الباحث معنى التربية في السياق القرآني ليقر أو ينفي كلام الدكتور طه عبد الرحمن، لكن بمعزل عن ذلك، فإن الباحث يوافق الدكتور على أهمية إعادة الاعتبار لمفهوم التزكية وربطه بالتعليم.

³ وذلك في: البقرة: 129 + 159، آل عمران: 164، الجمعة: 2.

⁴ كما في: النور: 21، العلق: 4-5.

⁵ كما في سورة الجمعة: 2.

⁶ كما في سورة فاطر: 18.

⁷ عبد الرحمن، *من الإنسان الأبتري إلى الإنسان الكوثر*، (39-40).

⁸ ينظر: الكيلاني، *مناهج التربية الإسلامية والعاملون فيها*، (130-202).

والتزكية بهذا المفهوم جزء من عملية العودة إلى الذات، عودة الفرد إلى نفسه، وعودة الأمة إلى نفسها. وفي منهج القرآن أن هذه التربية على التزكية -التي هي جزء من مراجعة النفس والعودة إلى الذات- تسبق في الترتيب مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم في تعليم الكتاب والحكمة.

ولم يقع بين يدي الباحث تفسير من التفسير التي اطلع عليها¹، ينتبه إلى مسألة الترتيب هذه إلا ابن عاشور حيث أشار إلى الفرق في الترتيب بين آيتي البقرة: 129، 151، ورد ذلك إلى السياق². بينما يرى البقاعي أن التزكية في سورة البقرة ودعاء إبراهيم عليه السلام غيرها في بقية السور؛ فالأولى تخص الأمة المسلمة فهي بعد الإسلام وتعني تطهير القلوب، أما البقية فهي التزكية من الشرك لأنها تخص غير المسلمين³. ويرى الباحث وهو يلاحظ أن هناك مفاصلة ومفارقة واضحة ومقصودة بين ترتيب إبراهيم عليه السلام، وترتيب الله عز وجل؛ حيث في كل مرة يرتب الله سبحانه المهمة النبوية يقدم التزكية على التعليم. وإن الباحث ليرى أن هذا الترتيب مقصود، والحكمة منه الأهمية لا السياق، والله أعلم.

وهكذا يبرز القرآن الكريم أهمية التزكية كجزء من مفهوم العودة إلى الذات، باعتبارها أحد أهم ثلاث مهمات بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم للناس أجمعين.

المطلب الثاني: اهتمام القرآن بعلاج القصور البشري، وتنمية المواهب

إذا تمت ملاحظة أن العودة إلى الذات تشمل الرجوع إلى النفس والتفتيش عن نقاط ضعفها وخلوها وقصورها لعلاجها، واكتشاف مواطن قوتها لتطويرها والبناء عليها، ثم تمت ملاحظة الاهتمام القرآني بعلاج الضعف البشري، وبتطوير القدرات، فإن هذا يدل على أهمية العودة إلى الذات في القرآن الكريم. ويمكن ملاحظة اهتمام القرآن الكريم بالأمرين معا فيما يأتي:

¹ أما التفسير التي اطلع عليها الباحث للآيات الأربعة فهي لكل من المفسرين: الطبري، الزمخشري، الرازي، القرطبي، القاسمي، رضا، قطب، الخطيب، ابن عاشور، أبو زهرة، الشعراوي، الزحيلي. وفي جميعها لم يجد إشارة لمسألة الترتيب.

² ابن عاشور، التحرير والتنوير، (2/49، 50)

³ ينظر: البقاعي، إبراهيم بن عمر ت: 885هـ، نظم الدرر في تناسب الآي والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (2/163، 162)

أولاً: الدعوة القرآنية لعلاج الضعف والقصور البشري

يضع القرآن الكريم الإنسان أمام نقاط ضعفه المكنونة فيه، ويفندها تفنيداً يقابله ما يعالجها، ويجعل في الإنسان القدرة على النهوض والتقدم. وسيتم تناول الموضوع عبر المحاور الآتية:

المحور الأول: الضعف طبيعة بشرية

خلق الله الإنسان ضعيفاً؛ فهو ضعيف منذ أن خلقه الله نطفة فما بعدها، وضعيف في صغره وهرمه، وضعيف في حاجته لسواه، وضعيف في مرضه وفقره وجزعه وقلقه وحرصه وترقبه، وضعيف مقهور أمام الموت لا يملك إلا الاستسلام، وضعيف في علمه الذي مهما بلغ فهو قليل، ثم إنه ضعيف تجاه خالقه سبحانه في كل شيء¹. وهناك آيات قرآنية عديدة تناولت موضوع الضعف البشري بمجالاته المختلفة²، يختار الباحث منها قوله سبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم:54]. "والله الذي خلقكم من ضعف، ولم يقل خلقكم ضعافاً أو في حالة ضعف وإنما قال: وخلقكم من ضعف، كأن الضعف مادتهم الأولى التي صيغ منها كيانهم... إنه ضعف البنية الجسدية المتمثل في تلك الخلية الصغيرة الدقيقة التي ينشأ منها الجنين، ثم في الجنين وأطواره وهو فيها كلها واهن ضعيف. ثم في الطفل والصبي حتى يصل إلى سن الفتوة وضلعة التكوين. ثم هو ضعف المادة التي ذرأ منها الإنسان. الطين. الذي لولا نفخة من روح الله لظل في صورته المادية أو صورته الحيوانية، وهي بالقياس إلى الخلقة الإنسانية ضعيفة ضعيفة. ثم هو ضعف الكيان النفسي أمام النوازع والدفعات، والميول والشهوات، التي لولا النفخة العلوية وما خلقت في تلك البنية من عزائم واستعدادات، لكان هذا الكائن أضعف من الحيوان المحكوم بالإلهام. والله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة.. قوة بكل تلك المعاني التي جاءت في الحديث عن الضعف... (ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة): ضعفاً في

¹ ينظر: كيلاني، محمد أحمد، الطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم: الضعف الإنساني وتضميناته التربوية، جامعة المنوفية، كلية التربية، مجلة البحوث النفسية والتربوية المحكمة، (مج 6، ع 1)، (نوفمبر، 1990م). وينظر: الرفاعي، ضيف الله بن عيد، ضعف الإنسان في القرآن الكريم، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، مجلة كلية دار العلوم المحكمة، (ع 108)، (نوفمبر، 2019).

² ينظر -على سبيل المثال-: [الأنفال:66، والإسراء:85، والأعراف: 88، وفاطر: 15].

الكيان الإنساني كله. فالشيخوخة انحدار إلى الطفولة بكل ظواهرها. وقد يصاحبها انحدار نفسي ناشئ من ضعف الإرادة حتى ليهفو الشيخ أحيانا كما يهفو الطفل، ولا يجد من إرادته عاصما... وإن هذه الأطوار التي لا يفلت منها أحد من أبناء الفناء... لتشهد بأنها في قبضة مدبرة، تخلق ما تشاء، وتقدر ما تشاء، وترسم لكل مخلوق أجله وأحواله وأطواره، وفق علم وثيق وتقدير دقيق: يخلق ما يشاء وهو العليم القدير...¹.

وبمثل هذه الآيات الكريمة يعرف الخالق العظيم سبحانه، هذا الإنسان بضعفه واحتياجه، وفقه ونقصه. ولكنه في مقابل ذلك يعرفه ويشد نظره نحو أمر أو أمور توازن هذا الضعف، وتنتقل به من التثبيط والتبئيس إلى النهوض والانطلاق. وهذه الأمور هي عنوان المحور الثاني.

المحور الثاني: بيان القرآن لمحفزات النهوض من: الملكات، والتسخير، والانشداد نحو الهدف اللامتناهي.

❖ **المَلَكَاتُ²:** عندما نظرت الملائكة الكرام لجانب واحد من شخصية الإنسان، وهو قدرته على الإفساد وسفك الدماء³، يخبرنا الله سبحانه وتعالى عن حوارهم معهم في الملأ الأعلى، وكيف أنه سبحانه برهن لهم أن علمهم محدود. فالله سبحانه قد منح هذا الإنسان من مؤهلات العلم وملكاته ما يؤهله لأن يكون الخليفة في الأرض، يعمرها وفق منهج الله عز وجل. وهذا جلي في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَأِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٣﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ

¹ قطب، في ظلال القرآن، (2776-2777). كما ينظر تفسير [النساء:28]، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، ت: 1376هـ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان = تفسير السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، (ط1)، (1420هـ-2000م)، (175).

² "ملَكَة [مفرد]: ج ملكات: صفة راسخة في النفس، أو استعداد عقلي خاص لتناول أعمال مُعيَّنة بذكاء ومهارة". عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (2123/3).

³ للمفسرين آراء متعددة حول كيفية معرفة الملائكة بذلك، للاطلاع على بعض هذه الآراء وما رجحه ابن عاشور منها ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (402-403).

بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَتَاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنَِّّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿البقرة: 30-33﴾. وإن فكرة جعل الإنسان سيد هذه الأرض، بما فيها من طاقات وخامات وكنوز وقوى وأسرار وأنظمة وعوالم، لتوحي بمدى ما أعطيه هذا المخلوق ووهبه من قدرات تمكّنه من النجاح في هذه المهمة الصعبة، وما قدرات التفكير والاختيار والخيال والعلم وسواها إلا مؤشر على هذه الملكات والقدرات العظيمة الممنوحة من الخالق عز وجل للإنسان¹. وفي تفسير المنار أن تعليم الأسماء كلها يعني "أنه أودع في نفسه علم جميع الأشياء من غير تحديد ولا تعيين"².

❖ التسخير³:

أشار القرآن الكريم في آيات عديدة إلى أن الله سبحانه وتعالى سخر هذا الكون وما فيه لسيد الأرض الذي خلقه الله عز وجل خليفة فيها وسيدا وحاكما، ومن هذه الآيات قوله سبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: 12-13]⁴.

وهذا الحديث القرآني عن (التسخير) بهذا الشكل الذي تبدو فيه منة الله سبحانه ويظهر فضله العظيم على هذا الإنسان، فسهل انقياد كل ما في الكون تحت إمرته ولخدمته، بجهد وعلمه، أو دون تدخل منه، لا يهدف إلى دفع المسلم لشكر الله فحسب، بل يقرر مركزية الإنسان في هذا الكون، وما أمده الله عز وجل فيه من قدرات أخضعت له الجبال والبحار والفضاء والوحوش، ليستثمر كل ذلك في تحقيق مهمة الاستخلاف بتعبيد الناس لله رب العالمين⁵. وكل ما وصله العلم الحديث من الانتفاع بالطاقة بجميع أشكالها، وتسيير البواخر والمركبات الفضائية والسيارات

¹ ينظر: قطب، في ظلال القرآن، (56/1، 57).

² رضا، تفسير المنار، (218/1).

³ المقصود بالتسخير: "التدليل، والإخضاع، والانقياد.. وذلك بإخضاع هذه المخلوقات لسنن وقوانين تحكمها... بحيث يمكن الإنسان إخضاع هذه المخلوقات والانتفاع بها، إذا هو عرف القوانين الكونية الممسكة بها.. الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (185/7).

⁴ وينظر: [النحل: 12، 14، الحج: 14، 36، لقمان: 20].

⁵ ينظر: بكار، مدخل إلى التنمية المتكاملة رؤية إسلامية، دار القلم، دمشق، (ط1)، (1420هـ-1999م)، (158).

بها. وكل ما في الأرض مما لا يحصى من قوى الطبيعة جعل الله سبحانه مفتاح اكتشافه والانتفاع به في يد الإنسان، بما توفره الاكتشافات العلمية، وما حققه الإنسان في مدنيته وعمرانه من تطور.. كل ذلك جزء من هذا التسخير الذي امتنَّ الله عز وجل به على الإنسان ليحقق الغاية من خلقه، وهي عبادة الله بمفهوم العبادة الشامل¹. يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]. والعبادة: "هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة"²

❖ الانشداد نحو الهدف اللامتناهي:

في القرآن الكريم دعوات كثيرة للعمل للآخرة، والاستعداد لها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ [القصص: 77]. ويصور القرآن حال المعرضين عن مثل هذا الإيمان والتعلق بالآخرة، حيث يقول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: 124]. والمعرضون عن منهج الله، المستدبرون الوحي، المتخذونه وراءهم ظهريا، يعانون من ضنك المعيشة فلا يجدون السعادة ولو ملكوا كل أسباب الرفاه والغنى المادي، حيث تشير الإحصائيات أن الدول الأوروبية هي الأعلى من حيث نسب الانتحار في العالم³. كما تشير الأبحاث أيضا أن الانتحار هو الأعلى بين الملحدون الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر⁴، كما أن كثيرا من الدول الرفاهية في مستويات الحياة هي من الدول التي تكثر فيها نسب الانتحار⁵. وهذه الإحصائيات تدل على عمق الأزمة لدى المعرضين عن هدايات السماء. وهناك أسباب كثيرة تفسر هذه الظاهرة الغربية، ومنها -فيما يعني البحث- انعدام الهدف والإحساس بالعدمية والفراغ؛ حيث يحصل الغني على كل ما تتمناه نفسه، ويطلبه هواه، حتى لا يبقى لديه أي مطلب أو شهوة

¹ ينظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (231/13).

² ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم ت: 728هـ، العبودية، تحقيق: محمد الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، (ط7)، المجددة، (1426هـ، 2005م)، (44).

³ ينظر تقرير منظمة الصحة العالمية حول نسب الانتحار، الملحق ص (212)، من البحث.

⁴ ينظر: الكحيل، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، <https://2u.pw/gGtYe>. حيث نشر بحثا موقعا بذلك.

⁵ ينظر: ملحق رقم (1)، وإحصائية الدول الأعلى انتحارا في العالم، وإحصائية الدول الأكثر رفاهية، والعلاقة اللافتة بينهما، حيث أنه من بين أعلى (60)، دولة في نسب الانتحار هناك (30)، دولة رفاهية. كما في الملحق.

إلا ذاقها وجربها، فيبدأ بالشعور بالملل والتفاهة، حتى يصل إلى الكآبة، والإحساس بعدم جدوى استمرار الحياة التي لم يبق شيء فيها يشده إليها، كيف لا وقد حصّل فيها كل لذاته مراراً؟ فيتخذ القرار بإنهاء حياة عدمية لم يعد له فيها أي مطلب!

ومثل هذه العدمية والملل والكآبة لا يجدها المسلم المعلق قلبه بالآخرة؛ ذلك أن الآخرة هدف لا متناهٍ ولا يصل الساعي فيه إلى نهاية، بل يظل طالبا محتاجا موقنا أن بإمكانه تحقيق المزيد والحصول عليه. ويشد القرآن الكريم المسلم دوماً إلى هذا الهدف اللامتناهي ليظل -حتى آخر نفس في عمره- ساعياً عاملاً من أجل عمارة الأرض عبادةً لله رب العالمين. ومن الآيات الكريمة التي تحفّز المسلم لهذا الهدف العظيم اللامتناهي، كل الآيات التي علّقت المسلم بالآخرة والسعي لها، والعمل المستمر لنيل رضوان الله عز وجل. ولقد جاء توجيه المسلم نحو التعلق بهدف الآخرة تحت عناوين عدة منها: أن خسارة الآخرة هي الخسران المبين الذي لا خسران بعده، ويبدو ذلك في مثل قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَيْرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: 15]¹.

حيث "أمروا بالسعي للآخرة والعمل لها، ووعدوا إذا سعوا لها وعملوا النجاة في الآخرة والحياة الدائمة والأهل في الجنة، وإذا لم يسعوا لها ولم يعملوا خسروا أنفسهم والأهل الذين وعدوا فيها إذا سعوا وهلكت أنفسهم... هنالك يتبين لهم أنهم خسروا خسرانا بينا"².

ومن العناوين المتعلقة بجذب الناس نحو الآخرة، المفاضلة بينها وبين الدنيا، وذلك في مثل:

- قوله سبحانه: ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: 38].³ وفي الآية "إنكار على هؤلاء الذين يفاضلون بين الحياة الدنيا والآخرة، بل ويفضلون الحياة الدنيا على الآخرة... فذلك غبن فاحش لا يرضاه عاقل لنفسه، ولا يصبر عليه لحظة، إن هو وقع فيه. ثم يجيء قوله تعالى: «فما متاع الحياة الدنيا

¹ وينظر: [آل عمران: 77، 85، 176، هود: 22].

² الماتريدي، محمد بن محمد ت: 333هـ، تأويلات أهل السنة= تفسير الماتريدي، تحقيق: مجدي سلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، (1426هـ، 2005م)، (668/8).

³ ينظر أيضاً: [النساء: 77، الأنعام: 32، الأنفال: 67، الرعد: 26، الأعلى: 17].

في الآخرة إلا قليل» حقيقة كاشفة مقررة، يجدها بين يديه من لم ينكشف لبصره أو لبصيرته ما حملت من كلمات الله إليه من عرض هذا الوضع السيء الذي هو فيه من تثاقل إلى الأرض، ومن إثارة الحياة الدنيا على الآخرة، وما على هذه الأرض على ما في السماء¹.

ومن العناوين المتعلقة بالآخرة في القرآن: كيف تكون عقيدة الإيمان باليوم الآخر دافعا للعمل الصالح، ومحفزا عليه، ومن ذلك:

- قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: 232].

- وقوله سبحانه: ﴿لَا يَسْتَعِذُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ۝٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَعِذُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: 44-45].

وهكذا يتبين في هذا المحور الثاني كيف تشكل الملكات الممنوحة للإنسان، والكون المسخر له، والهدف اللانهائي المدعو للسعي وراءه، كيف يشكل ذلك كله حافزا للإنسان، على النهوض من كبوته، واستدراك ضعفه ونقصه.

المحور الثالث: معالجة الضعف الإنساني ممكنة، بل واجبة، وهي عبادة يتقرب بها المسلم لله عز وجل.

لما كانت الذنوب شاملة، فإن التوبة منها شاملة أيضا؛ ومن جميل ما وقع بين يدي الباحث تقسيم القرضاوي للذنوب التي يتاب منها، حيث قسمها إلى²:

1- ترك مأمور أو فعل محظور.

2- ذنوب الجوارح وذنوب القلوب.

¹ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (772/5).

² ينظر: القرضاوي، يوسف، التوبة إلى الله، مؤسسة الرسالة، (135-205).

3- ذنوب معاصٍ وذنوب بدع.

4- ذنوب قاصرة وذنوب متعدية.

5- ذنوب متعلقة بحقوق الله وأخرى متعلقة بحقوق العباد...

وهذا يوافق ما ذهب إليه البحث من كون العودة إلى الذات عودة كاملة تشمل كل الجوانب العقلية والقلبية في نفس الإنسان، يفتش فيها عن مكامن القوة، ونقاط الضعف.

يقول الله عز وجل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:14]. أما وقد خلق الله سبحانه هذا الإنسان ضعيفا، ثم كلفه وحمله الأمانة التي عجزت عن حملها السماوات والأرض، فإنه سبحانه عالم أن هذا الإنسان بإمكانه التغلب على ضعفه، والنهوض من كبوته، ومعالجة الخلل والقصور الذي -حتمًا- سيرافقه طيلة مسيرة حياته. ومن رحمة الله عز وجل بهذا الإنسان وكرمه عليه، أنه جعل هذا النهوض، وهذا الاستدراك عبادة يجبها الله سبحانه ويرضاها، فضلا عن أنه سبحانه لا يكلفه إلا وسعه، ولم يحمله ما لا طاقة له به. يقول الله سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:286]. ويمكن ملاحظة هذا المعنى، عبر النقاط الأربعة الآتية:

1. تسهيل التوبة¹ على الإنسان: ويتمثل هذا التسهيل بتوبة سابقة لله عز وجل على الإنسان تسبق توبته، حيث قال الله عز وجل عن المخلفين الثلاثة في تيوك: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة:118]. يقول ابن القيم: "وتوبة العبد إلى الله محفوفة بتوبة من الله عليه قبلها، وتوبة منه بعدها، فتوبته بين توبتين من ربه، سابقة ولاحقة، فإنه تاب عليه أولا إذنا وتوفيقا وإلهاما، فتاب العبد، فتاب الله عليه ثانيا، قبولا وإثابة... فأخبر سبحانه أن توبته عليهم سبقت توبتهم، وأنها هي التي جعلتهم تائبين، فكانت سببا مقتضيا لتوبتهم... ونظير هذا هدايته لعبده قبل الاهتداء، فيهتدي بهدايته،

¹ يراجع عنوان الألفاظ ذات الصلة بمعنى العودة إلى الذات، ص (13) من البحث، حيث أشار الباحث أن التوبة من أقرب هذه الألفاظ.

فتوجب له تلك الهداية هداية أخرى يثيبه الله بها هداية على هدايته... وهذا القدر من سر اسميه الأول والآخر، فهو المعد، وهو الممد، ومنه السبب والمسبب، وهو الذي يعيد من نفسه بنفسه، كما قال أعرف الخلق به: «وأعوذ بك منك»، والعبد تواب، والله تواب، فتوبة العبد رجوعه إلى سيده بعد الإباق، وتوبة الله نوعان: إذن وتوفيق، وقبول وإمداد¹.

2. تعليم التوبة: حيث علم الله سبحانه وتعالى التوبة لأبينا آدم عليه السلام، فنزل الأرض معلماً بتعليم ربه سبحانه وتعالى. يقول الله عز وجل: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة: 35-37]. بعد أن اقتضت مشيئة الله عز وجل أن يعلم أبونا عليهما السلام في الجنة، فلا ينزلهما على الأرض إلا مزوّدين بالعلم والتجربة المرية عبر تركهما لما جُبل عليه الإنسان من غفلة وضعف إرادة، كان تعليم التوبة في الجنة، نهوضاً من الكبوة، وإقالةً من العثرة، وتذكراً بعد نسيان، وإطلاق إيسار من قيود الشيطان المكبلة عن إمكانية المواصلة.

وفي فعل التلقي في قوله سبحانه: "فتلقى" إكرام ومسرة، فعلم أنها كلمات رضى ومغفرة لا كلمات عتاب وتأنيب، وقد تكون هذه الكلمات تعليماً له طريقة طلب المغفرة والاستغفار، وقد تكون بشارة بالعتاب². وقد أشار بعض المفسرين إلى أن هذه الكلمات هي ما ورد في قوله سبحانه: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: 23].³

¹ ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، (319/1-320)، ولتأكيد معنى: (تاب عليهم ليتوبوا)، بأنه توفيق وإذن، ينظر: رضا، تفسير المنار، (54/11)، وينظر: السعدي، تفسير السعدي، (354).

² ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (437/1).

³ ينظر-على سبيل المثال-: الطبري، جامع البيان، (542/1).

3. تحبيب التوبة إليه وترغيبه فيها:

وقد ورد هذا المعنى في آيات قرآنية عديدة، منها: قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيَعْمَرُونَ فِيهَا الْعَمَلِينَ﴾ [آل عمران: 135-136].¹ يقول سيد: "إن هذا الدين ليذكر ضعف هذا المخلوق البشري الذي تهبط به ثقله الجسد أحيانا إلى درك الفاحشة... وتدفعه نزواته وشهواته وأطماعه ورغباته إلى المخالفة عن أمر الله في حمى الاندفاع.. يدرك ضعفه هذا فلا يقسو عليه، ولا يبادر إلى طرده من رحمة الله حين يظلم نفسه. حين يرتكب الفاحشة.. المعصية الكبيرة... وحسبه أن شعلة الإيمان ما تزال في روحه لم تنطفئ... وأنه يعرف أنه يخطئ وأن له ربا يغفر... فليعثر ما شاء له ضعفه أن يعثر. فهو واصل في النهاية ما دامت الشعلة معه، والحبل في يده، ما دام يذكر الله ولا ينساه، ويستغفره ويقر بالعبودية له ولا يتبجح بمعصيته. إنه لا يغلق في وجه هذا المخلوق الضعيف الضال باب التوبة، ولا يلقيه منبوذا حائرا في التيه! ولا يدعه مطرودا خائفا من المآب. إنه يطمعه في المغفرة، ويدله على الطريق، ويأخذ بيده المرتعشة، ويسند خطواته المتعثرة، وينير له الطريق، ليفيء إلى الحمى الآمن، وينثوب إلى الكنف الأمين... وهكذا يأخذ الإسلام هذا المخلوق البشري الضعيف في لحظات ضعفه.. فإنه يعلم أن فيه بجانب الضعف قوة، وبجانب الثقله رفرقة، وبجانب النزوة الحيوانية أشواقا ربانية. فهو يعطف عليه في لحظة الضعف ليأخذ بيده إلى مراقي الصعود، ويربت عليه في لحظة العثرة ليحلّق به إلى الأفق من جديد. ما دام يذكر الله ولا ينساه، ولا يصير على الخطيئة وهو يعلم أنها الخطيئة...".²

4. رجاء وأمله بقبول التوبة:

يقول الله عز وجل: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 53]. وفي كلام غاية في الرقة والمعاني القلبية يصف ابن القيم في مدارج السالكين هذه الترجية الربانية للعبد العاصي، في سياق شرحه

¹ وينظر أيضا: تفسير [البقرة: 222]، الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (1/254).

² قطب، في ظلال القرآن، (1/476، 477).

لحديث الصحيحين المتعلق بفرح الله بتوبة عبده بأشد من فرحة من أضع دابته في وسط الصحراء ثم وجدها بعد أن أيقن الهلاك¹. وتحت عنوان: لطائف أسرار التوبة، يبدأ ابن القيم كلامه بالحديث عن كرامة الإنسان على خالقه سبحانه، وأنه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته، وسخر له الكون، وأن الله سبحانه يحب عبده ويحب أن يكرمه ويعطيه لذلك أعد له في الجنة ما لا عين رأت ولا خطر على قلب بشر، ثم إن الله أمر محبوبه بأوامر فيها مصلحته وخيره أولاً، وفيها مرضاة ربه الذي يحبه، ونهاه عما يوجب سخط محبوبه وخالقه وحذره من التعرض لسخطه وعقابه. وبالمقابل فإن لهذا المحبوب عدوا هو أبغض الخلق إلى خالقه عصاه وتحداه واستكبر على أمره، ثم تعهد له أن يغوي فيردى محبوبه الذي كرمه خالقه عليه. فإذا ما غفل هذا المحبوب عن أمر خالقه ومحبه فأبى والتجأ إلى حزن ودار أبغض عدوه وعدو الله، فقام يفعل ما يغضب خالقه ويستوجب سخطه مرضاة لعدوه الأشد. ثم إن هذا المحبوب يصحو من سكرته، ويستيق من غفلته، فيدرك جرمه الكبير ويفر من عدوه عائداً على سيده وحببيه يتملقه ويدعوه ويرجوه ويتوسل إليه أن يسامحه، فكيف ستكون فرحة هذا الخالق العظيم بعودة حبيبه من قبضة عدوه؟؟؟! والله المثل الأعلى. ثم ضرب تشبيهاً بحال الأم التي يغضبها ولدها بعصيانه فتطرده فيخرج هائماً على وجهه يتلقفه كل عدون حتى إذا أقفلت بوجهه البواب لم يجد إلا باب أمه يعود إليه ويطرقه ليرتمي في أحضانها، فتحضنه وتحنو عليه. والله سبحانه أرحم بمحبوبه من الأم بولدها.² "وإن طفلك الذي يخطئ ويعرف أن السوط -لا سواه- في الدار.. سيروح أبقا شاردا لا يثوب إلى الدار أبدا. فأما إذا كان يعلم أن على جانب السوط يدا حانية، تربت على ضعفه حين يعتذر من الذنب، وتقبل عذره حين يستغفر من الخطيئة.. فإنه سيعود"³.

¹ ينظر: البخاري، صحيح البخاري، (68/8)، (6308)، وينظر: مسلم، صحيح مسلم، (2102/4)، (2675)، ويختار الباحث هذا اللفظ لمسلم: "لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه، من أحكم كان على راحته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحته، فبينما هو كذلك إذا هو بها، قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح" (2104/4)، (2747).

² ينظر: ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، (226/1-230).

³ قطب، في ظلال القرآن، (476/1).

وهكذا يتبين بعد هذه النقاط الأربعة أن معالجة الضعف البشري ممكنة، وهي عبادة من أحب العبادات إلى الله. وإن كانت بعض النقول والاقتراسات حول التوبة تحصر الخطأ في الذنب المتعارف عليه، فإن البحث يأخذ المفهوم الأوسع للتوبة كجزء من مفهوم العودة إلى الذات، على اعتبارها مراجعة شاملة لكل الجوانب، وفي كل الاتجاهات، كما تم توضيحه في مفهوم العودة إلى الذات.

ثم إنه وبعد هذه المحاور الثلاثة التي أشار إليها هذا المطلب، فإن ذلك يوصل الباحث إلى فكرة النقطة الرئيسية، وهي: اهتمام القرآن بمعالجة الضعف البشري، تدليلاً على أهمية العودة إلى الذات كما يوضحها القرآن الكريم.

ثانياً: الدعوة القرآنية لتنمية المواهب وتطوير القدرات

مفهوم التنمية منبثق من فعل نَمَى الدال على الزيادة.¹ وتعرف التنمية الخاصة بالأفراد بالتنمية البشرية، أو تنمية الذات، حيث إن مفهوم التنمية واسع، ويتعلق بالدول والمجتمعات أيضاً. والتنمية الشخصية هي: "السير نحو الأحسن والأكمل بمختلف أبعاد الإنسان الروحية والعقلية والنفسية والجسمية على الصعيد الفردي الذاتي وعلى صعيد العلاقات مع الآخرين"².

ويمكن تبين أهمية العودة إلى الذات في القرآن الكريم بالنظر إلى مفهوم التنمية عبر ملاحظة أن الارتقاء بالنفس والمجتمع، والعمل على النمو والتقدم والتطور نحو الأحسن باستمرار، يستلزم -لا محالة- مراجعة النفس لمعرفة نقاط القوة واستثمارها وتقويتها والبناء عليها، جنباً إلى جنب مع اكتشاف نقاط ضعفها ومواطن خللها وقصورها. فملاحظة الاهتمام القرآني بتنمية الشخصية المسلمة يعني -بشكل أو بآخر، وباستمرار- إلى ذاته يفتش فيها وينقب.

ويلزم الانتباه أن الحديث عن تنمية شاملة ومتكاملة؛ فهي تشمل الفرد والأمة، كما تشمل الجوانب المادية والروحية، فالطبيعة الإنسانية كل متكامل. كما أن التكامل يعني ألا يطغى جانب على

¹ ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (479/5).

² بكار، عبد الكريم، مدخل إلى التنمية المتكاملة، (157، 158).

آخر، بحيث يكون هناك انسجام وتعاون بين جوانب النمو المنشود. وهذا التكامل المطلوب يستدعي -أكبر وأكثر- أن تكون المراجعة للنفس والعودة إلى الذات حاضرة وفاعلة، ومن المثلة على ذلك دعوة الإسلام إلى ملاطفة الناس والبر إليهم والود معهم والتجاوز عن زلاتهم. ونجد ذلك في مثل قوله سبحانه:

- ﴿وَالْكَافِرِينَ الْغَائِبِينَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:134].

- ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران:159].

فالمسلم مطالب بتنمية أخلاقه، ومغالبة رغباته ليظل يرتقي في عالم التجاوز عن إساءات الآخرين. لكن هذا الخلق الكريم -إن لم يتم وضعه في مقامه والوقوف به عند حدوده - يُخشى أن يتحول إلى ممالأة للظالم والفساد، "فيتحول من مطلب خلقي إلى عامل تفسخ وتحلل اجتماعي"¹ كما قال الله عز وجل في وصف بني إسرائيل: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة:79]. وهذه الموازنة الدقيقة بين الأمرين حتى يتكامل الخلقان، تلزمها مراجعة دائمة للنفس، وعودة مستمرة إلى الذات، وهذا يوضح الصلة بين كل متطلبات التنمية والعودة على الذات.

ومصطلح التنمية غير موجود بلفظه في القرآن الكريم، لكنه موجود بمعناه عبر صيغ كثيرة ومتعددة، مثل "الإعمار، والابتغاء من فضل الله، والسعي في الأرض، وإصلاح الأرض وعدم إفسادها..."² وسيحاول الباحث توزيع الآيات القرآنية على الجوانب المتعددة التي يستلزم أن تستهدفها التنمية؛ فهناك تنمية خاصة بالفرد ومن مهماته، وهناك تنمية تقوم بها الأمة كلها، ويمكن ملاحظة ذلك عبر هذه العناوين والآيات الخاصة بها، حيث سيكتفي الباحث بتفصيل جانب واحد

¹ بكار، مدخل إلى التنمية المتكاملة، (25).

² شبع، محمد جواد، التنمية في القرآن الكريم، جامعة الكوفة، كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية المحكمة، (مج4)، (ع6، 7)، (حزيران، 2010م)، (4).

من جوانب هذه التنمية الشاملة والواسعة التي يدعو لها القرآن الكريم، ويشير إلى بقية الجوانب محيلاً إلى بعض مراجعها التي فصلت فيها. والجانب الذي سيفصل فيه الباحث هو:

التنمية الفكرية: حيث أشار القرآن الكريم إلى أن الله عز وجل وهب الإنسان ملكات عقلية كبيرة مثل: التفكير، والعقل، والنظر، والتدبر، والاستنباط¹.. مما يساعده على "التحليل والتركيب والتقويم والاستفادة من الخبرات"² وإذا كان القرآن الكريم يعرف الإنسان ببديع خلق الله سبحانه الذي أتقن كل شيء، ويؤكد له أن دوام النظر والتأمل والتفكير فيه لن يؤدي إلى اكتشاف أي خلل، بل سيؤدي إلى الإقرار واليقين بعظمة الخالق سبحانه، فإن في هذا دعوة قرآنية لإعادة النظر، وتقليب الرأي مرة بعد مرة للوصول إلى النتيجة المبتغاة، وهو ما يستلزم العودة إلى الذات في كل مرة. يقول الله عز وجل: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفْوُوتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٥﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٦﴾ الملك: 3-4]. قال أبو حيان: "ثم ارجع البصر: أي رده كرتين هي تثنية لا شفع الواحد، بل يراد بها التكرار، كأنه قال: كرة بعد كرة، أي كرات كثيرة، كقوله: لبيك، يريد إجابات كثيرة بعضها في إثر بعض، وأريد بالتثنية التكرار"³.

ولفت انتباه الباحث في هذا المقام بحث محكم يستنتج فيه باحثه من سورة الشورى منهاج تفكير، يدرّب عليها القرآن وينمّيها حيث قال: " قدمت سورة الشورى نمونجا تفكيريا يمكن تلخيصه كما يلي:

¹ هذه المفردات ومشتقاتها وردت في آيات كثيرة في القرآن الكريم، وبعضها كان ينعى على الكافرين الذين عطلوا هذه الملكات والقدرات العقلية، حيث وصفهم بان الأنعام أهدى منهم، وفي ذلك قمة التحفيز والحث على استخدام وتنمية هذه الملكات التي منحها الخالق سبحانه لهذا الإنسان. يقول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَقْلُونَ ﴿١٧٩﴾ [الأعراف: 179]. ويقول سبحانه: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِن هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ [الفرقان: 44].

² بكار، مدخل إلى التنمية المتكاملة، (48).

³ أبو حيان، محمد بن يوسف ت: 745هـ، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي جميل، دار الفكر - بيروت، (1420هـ)، (222/10).

أ. إثارة المشكلة الإيمانية بطريقة تقديم الموقف المحير أو المشكل. الآيات: (1، 2).

ب. البحث في البدائل واختيار أفضلها للوصول إلى حل المشكلة الإيمانية. الآيات: (3-10).

ت. التفكير التحليلي المؤدي إلى حل المشكلة الإيمانية عن طريق الوسائل التالية:

1. عرض المفاهيم الإيمانية الايجابية وتدعيمها. الآيات (11-15).

2. عرض المفاهيم السلبية ومناقشتها والرد عليها. الآيات: (16-24).

3. حل المشكلة الإيمانية تأمليا بمنهجية التفكير الاستدلالي بشقيه (الاستقرائي والاستنباطي).

الآيات: (25-35).

4. حل المشكلة الإيمانية بمنهجية التفكير العملي الإجرائي. الآيات: (36-48).

ث. الوصول إلى النتائج والقوانين والقواعد العامة المؤدية لحل المشكلة الإيمانية. الآيات:

(49-53).

لوحظ أن هناك أنواع أخرى من التفكير جاءت في ثنايا آيات سورة الشورى: كالتفكير الناقد،

والاستبصاري، والابتكاري، والمنطقي، والإبداعي، والارتباطي الحر، والتفكير العميق، والمستنير¹.

وهناك جوانب تنمية متعددة دعا لها القرآن الكريم على مستوى الفرد، والأمة، مثل: التنمية

الروحية، التنمية المعرفية، التنمية الأخلاقية، التنمية الاجتماعية، التنمية الاقتصادية، التنمية

السياسية...².

¹ العمري، شوكت محمد، أساليب القرآن في تنمية التفكير: نموذج سورة الشورى، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية المحكمة، مج18، ع 52 (مارس - ذو الحجة 2003)، (135).

² لتفصيل ذلك يمكن الإحالة -على سبيل المثال- إلى ما يأتي: 1- بكار، مدخل إلى التنمية المتكاملة. 2- العمري، أساليب القرآن في تنمية التفكير: نموذج سورة الشورى. 3- شبع، التنمية في القرآن الكريم. 4- صالح، حمزة سليمان، أثر القرآن في بناء القدرات العقلية وتنميتها: دراسة تطبيقية عصرية على البرمجة اللغوية العصبية، جامعة أفريقية العالمية، المركز الإسلامي الإفريقي، مجلة دراسات دعوية المحكمة، (ع 27)، (يناير، 2014).

وهكذا يتبين لنا موقع التنمية والدعوة لها، والتربية عليها في ضوء القرآن الكريم، ليدلل الباحث من ذلك أن الدعوة القرآنية المستمرة لعلاج الضعف البشري وتنمية القدرات الإنسانية مطلب ضروري وهام ليتطور ويتقدم مما يمكنه من القيام بمهمة الاستخلاف. ولما كان هذا التطور لا يتأتى إلا بالعودة إلى الذات، فيتبين مدى أهمية العودة على الذات حسب التصور القرآني.

المبحث الثاني

الوقاية من الجمود والقعود

"علاقة الإنسان بربه علاقة سير، إذ هي: ذهاب إليه¹، وفرار ولجوء إليه²، ومشى بنوره³4.

ويلفت انتباه المتأمل في كتاب الله عز وجل، هذا الحشد الكبير من الآيات حول دفع المسلم للفاعلية والحركة والعمل والتقدم المستمر، مما يؤسس في تصور المسلم قاعدة متينة تولي العمل أهمية بالغة. فإذا كان العمل في ضوء القرآن الكريم -كما سيأتي- يحتل مكانة كبيرة من الأهمية، فإن هذه الأهمية تتسحب وتنتطبق على العودة إلى الذات؛ ذلك أنه لا يمكن لعمل ناجح أن يستمر دون مراجعاتٍ مستمرةٍ للنفس، ووقفاتٍ معها جادةٍ تفتش عن الصواب لتبني عليه وتراكمه، وعن الخطأ والقصور لعلاج واستدراكه، فالحديث عن أهمية العمل في القرآن الكريم، حديث عن أهمية العودة إلى الذات -بلا شك-. والعمل ضد الجمود والقعود والسكون، والعمل المثمر سبيل النهضة، فيما يؤدي الجمود والقعود إلى الانهيار والتفكك. وسيحاول الباحث عرض هذه القضية من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: الدعوة القرآنية للعمل

لما كان النداء بصفة الإيمان من الله عز وجل لعباده هو النداء المفضل والدائم في القرآن الكريم، حيث أكثر القرآن من استعمال نداء: (يا أيها الذين آمنوا)⁵، فإن ربط الإيمان بالعمل الصالح، بجملة: (الذين آمنوا وعملوا الصالحات)⁶ أمر لا تخطئه عين تالٍ لكتاب الله. بل إن خواتيم سورة

¹ ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَمِّهِدِينَ﴾ [الصافات:99].

² ﴿فَقِرُّوْا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات:50].

³ ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَبْتَئًا فَأَحْبَبْتَهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام:122].

⁴ عبد الرحمن، طه، دين الحياء من الفقه الائتماري إلى الفقه الائتماني، 1 أصول النظر الائتماني، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، (ط1)، (2017)، (34).

⁵ ورد النداء بهذه الصيغة في القرآن الكريم حوالي: 89 مرة. ينظر: عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (82-84).

⁶ ورد هذا الربط بهذه الصيغة حوالي 50 مرة. ينظر: عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (82-84).

آل عمران التي تحدثت عن صفات أولي الألباب المتفكرين الذاكرين الداعين، بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا ۖ سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۗ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ۗ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۗ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ۗ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: 190-194]. إن الآيات -بعدها- وصفت هذا التفكير والذكر والدعاء عملاً، أو هو يُقبل عندما يولد عملاً ويقود إلى عمل، فليست القضية ترف فكر أو تنظير فلسفة! يقول الله عز وجل: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ ۖ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: 195]. فلم يقل: لا أضيع فكر وذكر ودعاء، بل قال: (عمل عامل منكم). "إنه ليس مجرد التفكير ومجرد التدبر، وليس مجرد الخشوع والارتجاف، وليس مجرد الاتجاه إلى الله لتكفير السيئات و النجاة من الخزي ومن النار.. إنما هو "العمل". العمل الإيجابي الذي ينشأ عن هذا التلقي وعن هذه الاستجابة... العمل الذي يعتبره الإسلام عبادة كعبادة التفكير والتدبر، والذكر والاستغفار، والخوف من الله، والتوجه إليه بالرجاء، بل العمل الذي يعتبره الإسلام الثمرة الواقعية المرجوة لهذه العبادة...¹. والعمل في الإسلام شامل لكل مناحي الحياة، وقد قسم الكيلاني العمل -حسبما جاء في العرض القرآني- إلى ثلاثة عناوين أو مظاهر رئيسية-كما أسماها- وهي: العمل الديني، والعمل الاجتماعي، والعمل الكوني. وضرب أمثلة متعددة على: العمل المهني، والصناعي، والزراعي، والفكري التربوي، والأخلاقي، والقضائي، والاجتماعي.. ومن هذه الأمثلة²:

- في العمل الزراعي قوله سبحانه: ﴿لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس:35].

¹ قطب، في ظلال القرآن، (548/1).

² الكيلاني، ماجد عرسان، أهداف التربية الإسلامية في تربية الفرد وإخراج الأمة وتنمية الأخوة الإنسانية، طبعة مركز بيت المقدس للأدب، فلسطين، (1427هـ-2006م). (61-64).

- وفي العمل المهني قوله سبحانه: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَلِكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ [الكهف:79].

- وفي العمل الصناعي قوله سبحانه: ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَلِيغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرِّ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [سبأ:11]. وغير ذلك من الأمثلة التي ضربها¹، أو غيرها مما هو موجود بكثرة في القرآن الكريم. " ويبلغ من تأكيد القرآن الكريم على العمل والجهد البشري لإعمار العالم، على عين الله وتوجيهه، أن ترد اللفظة بتصريفاتها المختلفة فيما يزيد على الثلاثمائة والخمسين موضعاً، وهي كلها تشير -سلباً أو إيجاباً- إلى أن المحور الأساسي لوجود الإنسان - فرداً وجماعة- على الأرض هو العمل... وهو موقف ينسجم تماماً مع فكريتي " الاستخلاف " و"الاستعمار" الأرضي"².

ويريد الإسلام لقيمه أن تصبح سلوكاً يتمثله الناس، فإنما شرعت القيم والأوامر والنواهي من أجل ذلك. ويمكن ملاحظة أهمية العودة إلى الذات، عبر ما يأتي:

أولاً: ميدان العمل هو ميدان اكتشاف النفس

يمكن للمرء في ظروف السعة والراحة أن يقول ما يشاء، وأن تكون دعواه عريضة، ولربما كان صادقاً وظن في نفسه أن الأمر الفلاني في متناول يده، فإذا مر بالتجربة العملية تبين -حينئذ- الخيط الأبيض من الخيط الأسود! فميدان القول غير ميدان العمل، وهذه بعض الشواهد القرآنية:

- قصة طالوت وما تحمله من معان ودلالات واضحة، حيث في كل محطة من محطات العمل والحركة كان يرسب في الامتحان أكثر القوم، الذين كانوا قبل ذلك يظنون النجاح في مكنة اليد! يقول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا

¹ ينظر: الكيلاني، أهداف التربية الإسلامية، (61-64).

² خليل، عماد الدين، حول تشكيل العقل المسلم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، (ط4)، (1412هـ، 1991م)، (136).

لِنَبِيِّ لَهُمْ أُبْعَثَ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿البقرة: 246﴾.

إلى بقية القصة حتى آية: [251].

- وكذلك قوله سبحانه عن المسلمين في أحد: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [آل عمران: 143]. قال الطبري: "وإنما قيل: "ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه"، لأن قوما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن لم يشهد بدرًا، كانوا يتمنون قبل أحد يوما مثل يوم بدر، فيبيلوا الله من أنفسهم خيرا، وينالوا من الأجر مثل ما نال أهل بدر. فلما كان يوم أحد فر بعضهم، وصبر بعضهم حتى أوفى بما كان عاهد الله قبل ذلك، فعاتب الله من فر منهم فقال: "ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه"، الآية، وأثنى على الصابرين منهم والموفين بعهدهم"¹.

ثانياً: اكتشاف نقاط الضعف والقوة لا يكون إلا في مختبر العمل

من السهل على المرء أن يقرأ أو يسمع عن فضل خلق معين فيقتنع به ويظن أنه قد أحرزه بمجرد هذا الإيمان وهذه القناعة، حتى إذا خاض غمار التجربة العملية علم حظه من ذلك الخلق، وعلم درجته ومستواه. إن العمل هو امتحان الحياة الذي تتحدد بناء عليه الدرجة والعلامة، نجاحا وصعود درجات، أو رسوبا وسقوط دركات. يقول الله عز وجل: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الملك: 2]. فكيف للإنسان أن يعرف أنه صابر أم لا؟ ثم ما هي درجته من الصبر على اختلاف أنواعه: صبرا عن المعاصي، وصبرا على الطاعات، وصبرا في المكاره، إن لم يخض غمار هذا كله عمليا؟ وكيف له أن يبصر نقاط ضعفه فيعالجها، أو نقاط قوته فينميها إن لم يتعرض لاختبار العمل في ميدان الحياة ومعتكها؟ لذلك كان من منة الله عز وجل على موسى عليه السلام أن قال له في معرض تعداد نعمه عليه أن الفتن التي تعرضت لها كانت جزءا من هذه النعم فهي التي صقلتك وأعدتلك للمهمة الضخمة التي وكلت بها. يقول الله

¹ الطبري، جامع البيان، (248/7).

عز وجل: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَآقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَأَلْقِيهِ إِلَىٰ يَمِّهِ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ ۗ وَالْقَبْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِنُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۗ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۗ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۗ فَلَبِثْتَ سِتِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَأَصْطَنَعْنَاكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ [طه: 38-41]. وفي سياق هذه القائمة من النعم يقول الله عز وجل لموسى عليه السلام: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ "والفتون: مصدر فتن، كالخروج، والثبور، والشكور، وهو مفعول مطلق لتأكيد عامله وهو فتناك، وتنكيره للتعظيم، أي فتونا قويا عظيما. والفتون كالفتنة: هو اضطراب حال المرء في مدة من حياته... ويظهر أن الفتون أصل مصدر فتن بمعنى اختبر، فيكون في الشر وفي الخير."¹ وإنه ما كان لموسى عليه السلام أن يقوم بمهمته العظيمة التي وكل بها لولا هذه الفتون التي صقلت شخصيته. ومتى كان توكيل إنسان بأصعب المهمات دون تدريب عملي يعد إكراما له؟

ثالثا: في ميدان العمل يكون الاختبار والتمحيص

في ميادين العمل والابتلاء تظهر معادن الناس على حقيقتها، وإذ ينجلي لمعان الذهب، فإنه يظهر صدأ الحديد حتى وإن غُلف بطلاء من الذهب مغشوش. ففي معركة الأحزاب التي قال الله عز وجل فيها: ﴿إِذْ جَاءَ وَكُرٌّ مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۖ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ [الأحزاب: 10-11]. ففي مشهد الزلزلة الذي بلغت فيه القلوب الحناجر، وظن بالله الظنون، كشف النفاق والزور والتزييف: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ [الأحزاب: 12]. فيما ظهر الذهب الخالص يلمع في رابعة النهار: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۗ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ [الأحزاب: 22]. وإنه ما كان لذلك كله أن ينكشف لولا الاختبار العملي، فعرفت الأمة عبره نقاط قوتها ونقاط ضعفها.

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، (220/16).

ومثل الصبر الشكر، فالقرآن الكريم إذ يوصي أنبياءه الكرام -عليهم السلام- بالشكر العملي فتأسى بهم، إنما يؤكد على هذا المعنى من كون العمل هو ميدان تقويم السلوك واختباره. يقول الله عز وجل: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرَبٍ وَنَمَائِلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ ۖ أَعْمَلُوا ۚ إِنَّ عِبَادَ اللَّهِ لَشُكْرًا قَلِيلٌ ۚ﴾ [سبأ:13]. قال الخطيب: "الشكر المطلوب هنا من آل داود، هو شكر بالعمل، بعد شكرهم باللسان..¹ ومن ثم فقد علم سليمان عليه السلام أن النعمة اختبار والنجاح فيه شكرها، والشكر أشمل من ذكر باللسان، بل هو حركة في الحياة تحدثا بنعمة الله الذي آوى من يتم وهدى من ضلال وأغنى من فقر، فيكون التحدث بنعمته سبحانه وشكرها عملا وحركة في الحياة لا يكون فيها لليتيم قهر، ولا للسائل نهر.² يقول الله عز وجل: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ۚ أَشْكُرٌ أَمْ أَكْفُرٌ ۚ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل:40].

رابعاً: في ميادين العمل تستكشف حقيقة الأفكار والتصورات

في ميدان العمل يتم تصحيح الأفكار والتصورات. فصحيح أن العقل هو الذي يخطط ويرسم التصورات ويوجه العمل كي يكون مثمرا، لكن لا يقل صحة عن ذلك أن "العمل يتقّف العقل"³. ويكون المرء أكثر جدارة باكتشاف نظريات جديدة، وقوانين تطوّع البيئته، كلما زادت فعاليته وحركته، فكأنما البيئته، لبن دسم مختلط العناصر، والحركة والعمل هما خض ذلك اللبن لفرز عناصره. ومن خلال العمل تضيق مساحة المستحيلات؛ فإذ يرى طفل الخامسة استحالة أن يكتب اسمه(خالد) على سبيل المثال إن طلب منه، فإنه بالعمل المتدرج وتعويده كتابة الألف، وما بعدها، ثم التشبيك بينها، فإن مساحة المستحيل تبدأ -تدريجياً- بالاختفاء إلى أن تنتهي وهكذا. والعمل العضلي الشاق هو الذي دفع العقل للبحث عن حلول مريحة فاخترع الآلات.. وهكذا⁴.

¹ الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، (790/11).

² هذا تأول سورة الضحى كما هو واضح.

³ بكار، عبد الكريم، تشكيل عقلية إسلامية معاصرة، دار الأعلام، عمّان، (ط1)، (1423هـ-2003م)، (75). والفقرة التالية مستوحاة مما كتب تحت هذا العنوان.

⁴ ينظر: بكار، تشكيل عقلية إسلامية معاصرة، (75-82).

المطلب الثاني: الدعوة القرآنية للمسارعة والسبق:

يلقي في روع المسلم مثل قوله سبحانه: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:2]. أن المسلم في سباق مع غيره من الناس في هذه الحياة التي اقتضت مشيئة الخالق سبحانه أن تجعلها قائمة على الابتلاء والاختبار، ومن ثم فقد جاءت آيات قرآنية صريحة كثيرة تدعو المسلم إلى المسارعة والسبق في ميادين الدنيا والآخرة لينال رضوان الله عز وجل، وهذا ملاحظ في مثل:

- قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:133].

- وقوله سبحانه: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ وَيُحْيِي وَأَصْلَحْنَا لَهُ وَزَوَّجْنَاهُ بِزَوْجَةٍ يُحِبُّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء:90].

- وقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْتِي اللَّهَ بِذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر:32].

فالسابقون بالخيرات هم: "الذين ساروا سيرا حثيثا على طريق الإيمان، فلم يقفوا عند إثم، ولم يسكنوا إلى كنف معصية، فسبقوا بالخيرات، وبلغوا الغاية التي يبلغها المؤمنون بإيمانهم"¹.

- وقوله سبحانه حثا على التسابق نحو رضوان الله عملا وسعيا: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين:26].

- وقوله سبحانه في ثواب السابقين: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:100]. ورضى الله عز وجل الذي أكرم به هؤلاء السابقين رحمة ومعية وعناية وإنعام ودفاع عنهم، في حين كان رضاهم عنه كناية عن

¹ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (11/ 887).

عظيم ما أنعم به عليهم حتى أرضاهم. فباتوا يرون منعه عين العطاء¹، فهم متنعمون بعبائمه في كل حال.²

- وقوله سبحانه: ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون:61]. يقول عماد الدين خليل: "إن الناس في الأعم الأغلب، يمشون إلى أهدافهم، أو يهرولون إليها، ولكننا هنا نجد أناسا يركضون.. لقد بعث الإسلام أجيالا من العدائين الذين عرفوا كيف يحطمون الأرقام القياسية وهم يجتازون الموانع والمنازيس، ويقطعون المسافات الطوال.. إن القرآن الكريم نفسه يصفهم بأنهم (يسارعون في الخيرات)، وأنهم (لها سابقون).. فما نحن بصدد مؤشرين للسرعة، والإنجاز الذي يختزل ويحقق أهدافه القياسية المرتجاة: المسارعة.. والسبق"³.

المطلب الثالث: الدعوة إلى الإصلاح في مواجهة الإفساد⁴:

من معاني الدفع القرآني نحو الفاعلية الحضارية والحركة المستمرة، دعوته المسلم لعدم الاكتفاء بالصالح الفردي، وتعديه نحو الإصلاح، فلا مكان في قاموس الإسلام لصالح فردي ينسحب صاحبه من الحياة معتزلا لوئثها باتجاه طهر منفرد!، وفي قصة القرية التي كانت حاضرة البحر زمن بني إسرائيل نموذج تربوي قرآني لأولئك الصالحين غير المصلحين حيث ذكر القرآن مصير المصلحين بالنجاة، ومصير العصاة بالهلاك، لكنه أعرض عن ذكر مصير الهامشين الذين اختاروا الانسحاب من الحياة ومجاهداتها.⁵

¹ نقل ابن الجوزي عن العابد شيبان الراعي قوله لسفيان الثوري: "يا سفيان! عد منع الله إياك، عطاءً منه لك؛ فإنه لم يمنعك بخلاً، إنما منعك لطفاً" ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي ت: 597هـ، صيد الخاطر، بعناية: حسن سويدان، دار القلم، دمشق، (ط1)، (1425هـ-2004م)، (328-329).

² ابن عاشور، التحرير والتنوير، (19/11).

³ خليل، حول تشكيل العقل المسلم، (41).

⁴ فكرة هذه الفقرة مستوحاة مما كتبه عماد الدين خليل، ينظر: خليل، حول تشكيل العقل المسلم، (139-142).

⁵ ينظر: قطب، في ظلال القرآن، (1382/3-1386). آيات سورة الأعراف: (163-165).

ومن الآيات القرآنية التي تناولت قضية الإصلاح ومحاربة الفساد:

- قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف:56].
- وقوله سبحانه: ﴿وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف:142].
- وقوله سبحانه: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [هود:88].
- وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الشعراء:151-152].

والقرآن يطلب من مجموع الأمة التحرك لوقف هذا الفساد، لأنهم لو لم يفعلوا فإن الكارثة والمصيبة ستعم الجميع، ولن ينجو منها الصالحون الذين لم يتداركوا الخلل بالعلاج والإصلاح¹، حيث يقول الله عز وجل: ﴿وَأَتَقُوا فِتْنَةَ لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال:25]. حيث نقل الطبري بسنده عن ابن عباس قوله في الآية: "أمر الله المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين أظهرهم، فيعذبهم الله بالعذاب"².

وفي هذا السياق، فإن كل الآيات القرآنية الناهية عن المنكر، والداعية لتغييره، هي دعوات قرآنية لإصلاح الفساد، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَبْتَئِي أَقِمْ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [لقمان:17].

المطلب الرابع: السعي إلى التقدم وعدم التأخر

يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ [نذيراً للبشر] ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: 35-37]. والمفسرون على أن الله عز وجل ينذر عباده ويحذرهم من عذابه،

¹ في تأكيد هذا المعنى في تفسير آية الأنفال:25، ينظر: رضا، تفسير المنار، (530/9)، وينظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (589، 590)، وينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (316-317).

² ينظر: الطبري، جامع البيان، (474/13). وسند الرواية فيه انقطاع بين ابن عباس وعلي بن أبي طلحة (بينهما مجاهد)، فضلاً عن أن شيخ الطبري المثنى بن إبراهيم مجهول، وقد وثقه ابن كثير ضمناً. وحول المثنى ينظر: الأثري، أكرم بن محمد، معجم شيوخ الطبري الذين روى عنهم في كتبه المسندة المطبوعة، تقديم: باسم الجوابرة، وسليم الهلالي، وعلي الحلبي، وآخرين، الدار الأثرية، الأردن-دار ابن عفان، القاهرة، (ط1)، (1426هـ-2005م)، (420).

ويخبرهم بين التقدم إلى الجنة وما يوجبها من طاعات وخيرات، أو التأخر عن عمل الطاعات ليكون المصير عذابا والعياذ بالله، أو العكس فالتقدم هنا للنار بالمعصية، أو التأخر عنها بالطاعات¹. ولا شك أن هذا هو سياق الآيات، غير أنه مع زيادة تدقيق نجد الآية تشير إلى خيارين أمام الإنسان، وهما التقدم أو التأخر. ولكن: أين التوقف؟ لم يأت القرآن الكريم على جعله خيارا ثالثا. وكأن القرآن الكريم يريد أن يلقي في روع المسلم وحسه وشعوره، أن التوقف يعني التأخر أيضا، فإذا أنت لم تتقدم فهذا يعني أنك تتأخر حتى لو كنت واقفا لا تتحرك؛ إن الجمود في المكان هو -في حقيقته- تراجع وتأخر، ذلك أن الآخرين -في حياة أقامها الله عز وجل على التنافس- يتقدمون ويتحركون، فلن يكون الوقوف حينئذ إلا تراجعا وتأخرا. بل إن المسلم إذا كان يمشي في اليوم خطوة، بينما يمشي عدوه مائة خطوة، فمعنى ذلك أنه يتراجع كل يوم تسعا وتسعين خطوة رغم كونه يمشي!! لذلك دعا الإسلام للسبق والمسارة لا لمجرد الحركة فحسب.

وفي آيات عديدة يحذر القرآن الكريم المسلم من عدوه اللدود الذي يترصد به ويتربص منه أية غفلة لينقض عليه، وما تبصير القرآن للمسلم بصفة إبليس بأنه: (الوسواس الخناس)، إلا إيقاظ لكل منبهات الحس واليقظة في شعور المسلم وعقله كي يظل متيقظا متقدما نحو رضوان الله وفي فعل الخيرات والطاعات. والخنوس هو التأخر والرجوع، فالشيطان يختفي ويفر عندما يذكر المسلم الله ويكون يقظا، لكنه يظل متربصا مترصدا يترقب من المسلم غفلة لينقض عليه بوساوسه².

وكل الآيات التي حذرت من عداوة الشيطان، مثل قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ فاطر: [6]. وبما أخبرته عن تعهد هذا العدو لخالقه ألا يترك حرب الإنسان الذي كرمه عليه، كقوله سبحانه: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَأَمْرَنَّهُمْ فَلَيْبَتِي كُنَّ آذَانًا أَلْفَعَمَ وَلَا مُرَنَّهُمْ فَلْيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ ﴿يَعُدُّهُمْ وَيَمْنِيهِمْ﴾

¹ على سبيل المثال، ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (323/29).

² ينظر: الطبري، جامع البيان، (709/24-711). وينظر: الزمخشري، الكشاف، (824/4). وينظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (1750-1749/16). وينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (634/30).

وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١١٧﴾ [النساء: 117-120]. وغير ذلك من الآيات الكريمة إنما هو دعوة للمسلم ليظل متقدماً نحو طاعة الله، وتحذير من التوقف بله التأخر لأن له عدوا ينتظر منه هذا السكون الغافل كي ينقض عليه ويرديه. وقد أعجب الباحث بتوصيف خنفر لفعل النبي صلى الله عليه وسلم الاستراتيجي، والقائم على المبادرة المستمرة تاركاً عدوه في كل مرة في ردة فعل على مبادرات النبي صلى الله عليه وسلم، فاستراتيجيته: "كانت تقوم على المبادرة والإقدام دون التوقع في المربع الذي يحدده خصومه. كان يفاجئ الجميع ويخطو الخطوة التالية، فترك خطوته المشهد وتضع أعداءه في حالة رد فعل...¹".

والنبي صلى الله عليه وسلم هو الترجمة العملية للقرآن، والمسلمون مطالبون بالتأسي به، وكل ذلك من آيات قرآنية وترجمة نبوية يؤسس التصور المطلوب من المسلم حركةً مستمرةً نحو رضوان الله.

وبعد كل هذا الحديث عن أهمية العمل والحركة والتقدم المستمر في القرآن الكريم، عبر المطالب الأربعة السابقة، فإن أوضح صلة بين العمل وأهميته، وبين العودة إلى الذات في القرآن الكريم، حيث تبدو أهمية العودة إلى الذات من خلال أهمية العمل. إن أوضح علاقة قرآنية هي قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: 103-105]. وواضح أن هؤلاء لم تكن لهم وقفات صادقة مع النفس، ولا مراجعات

لمعتقداتهم وأفكارهم وأعمالهم، فمضوا في دروب الحياة وهم يحسبون أنهم إلى بر النجاة والسعادة ذاهبون، فإذا هم أمام الحقيقة المرة أنهم كانوا في ضلال مبين! بينما لو أنهم اتبعوا منهج العودة إلى الذات القرآني، لاكتشفوا -لا محالة- ضلالة سعيهم، وغي سبيله فترجعوا يبحثون عن الصراط المستقيم كي يسلكوه. ومما يلفت انتباه الباحث استعمال القرآن الكريم في الآية التالية للفظ (الخبوط) تعبيراً عن هذا الخسران الذي وصفهم الله به بأنهم (الأخسرون) لا الخاسرون فحسب، فهم الأخسر من بين كل الخاسرين، ويا لها من نهاية مفعجة! وأصل الخبط الدابة تأكل كثيراً

¹ خنفر، وضاح، الربيع الأول: قراءة سياسية واستراتيجية في السيرة النبوية، جسر للترجمة والنشر، بيروت، (ط1)، (2020م)، (25). وقد ذكر أمثلة كثيرة على ذلك.

فينتخ بطنها.¹ وهي صورة يعرفها العربي تماما فهي مستعارة من بيئته، إذ يظن الراعي الجاهل هذا الانتفاخ صحةً فإذا هو ورم وهلاك! واستعار القرآن الكريم هذا اللفظ من تلك البيئة ليعطي الدلالة المرادة من أعمال يعجب بها صاحبها الجاهل، فإذا هي في حقيقتها دماره وهلاكه. ومن هنا كان لفظ الحبوط مناسبا لسياق الأخسرين أعمالا. وإنه لا نجاة من ذلك إلا بالعودة على الذات، لتلمس الخطى أثناء المسير، فيما إذا كانت على الصراط المستقيم، أم حرفتها الشهوات والشبهات إلى السبل تفرق بأصحابها عن سبيل الله.

يقول الخطيب: "فمثل هؤلاء لا يرجى لفسادهم صلاح أبدا، إذ لا تكون منهم لفظة إلى أنفسهم، ولا نظر إلى ما هم فيه من سوء، حيث يرون أنهم على أحسن حال وأقوم سبيل!...وفى هذا يقول الحق تبارك وتعالى: «أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا» (8: فاطر) ويقول سبحانه: «كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون» (12: يونس).²

وبوقوف الحديث هنا ينتهي المبحث الثاني الذي يختم به الباحث الفصل الثاني عن أهمية العودة إلى الذات في القرآن الكريم، والتي ظهرت من خلال إبراز اهتمام القرآن الكريم بتطور الإنسان ونهوضه نحو التقدم والنجاح، وبوقايته من الجمود والتخلف المؤديان إلى الانهيار، حيث لا يتأتى له كل ذلك إلا بالعودة إلى الذات.

¹ ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (2/130).

² الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (8/715، 716). وينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي - الخواطر، (15/9000).

الفصل الثالث

معالم العودة إلى الذات في القرآن الكريم

الفصل الثالث

معالم العودة إلى الذات في القرآن الكريم

يمكن تلمس معالم¹ العودة إلى الذات كنهج يريد أن يؤسس القرآن الكريم في بنائه للإنسان القرآني، من خلال محاولة تتبع التهيئة النفسية والتعبوية القرآنية التي شكلت الأرضية التأسيسية التي يقف عليها هذا البناء التربوي التعبوي القرآني. وفي نظر الباحث تتمثل هذه التعبئة النفسية التي تشكل وترسم معالم هذه العودة إلى الذات في القرآن الكريم، في ثلاثة معالم يعرضها الباحث في ثلاثة مباحث.

¹في اللغة: "المعلم هو الأثر يستدل به على الطريق، ويجمع على معالم". ابن منظور، لسان العرب، (420/12).

المبحث الأول

الفرق بين منهج الأنبياء عليهم السلام ومنهج إبليس في العودة إلى الذات

المطلب الأول: العودة إلى الذات نهج الأنبياء عليهم السلام

بين لنا القرآن الكريم أن الأنبياء -عليهم السلام- هم أكثر الخلق وأولهم عودة إلى النفس بعد كل محطة أو حدث، يراجعون أداءها ويقومون سلوكها. بل إن القرآن الكريم ليصور سرعتهم في ذلك، حتى لكانما هذا الخلق الكريم متجذر في كيانهم، فهو أول ما يبادرون إليه بعد كل موقف. ويمكن ملاحظ ذلك في الآيات الآتية:

- قال تعالى على لسان أبونا في الجنة، وقد خالفا أمر الله الكريم: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف:23]. قال رضا: "قالا: يا ربنا، إننا ظلمنا أنفسنا بطاعتنا للشيطان وعصياننا لك كما أذرتنا، وقد عرفنا ضعفنا وعجزنا عن التزام عزائم الطاعات، وإن لم تغفر لنا ما نظلم به أنفسنا، وترحمنا بهدايتك لنا وتوفيقك إيانا إلى ترك الظلم، والاعتصام من الجهل والجهالة بالعلم والحلم، وبقبولنا إذا نحن تبنا إليك، وبإعطائك إيانا من فضلك، فوق ما نستحق بعدلك، فوحقك لنكونن إذا من الخاسرين لأنفسنا وللسعادة والفلاح بتزكيتها، وإنما ينال الفوز والفلاح بمغفرتك ورحمتك من يتوب إليك ويتبع سبيلك، دون من يصر على ذنبه ويحتج على ربه كالشيطان الرجيم. الذي أبى واستكبر، واحتج لنفسه على المعصية وأصر." ¹

- قوله سبحانه وتعالى في مشهد نوح -عليه السلام- مع ولده أثناء الطوفان: ﴿قَالَ يَبْنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَأْذِنُ بَلَىٰ لَكِ بِهِ عِلْمٌ وَإِنَّكَ أَكْرَهَةٌ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود:46-47]. وعلى الرغم من أن ذنب نوح -عليه السلام- لم يكن ذنبا بمعنى الكلمة، بل كان أقرب إلى الاجتهاد الخاطيء في فهم وتأويل وعد الله بإنجاء أهله -وابنه

¹ رضا: تفسير المنار، (312/8).

منهم-، مع ما فُطِرَ عليه الآباء من رحمة تجاه أبنائهم، وحرص النبي - عليه السلام - على هداية ولده. ومع ذلك، ولكونه من أولي العزم من الرسل لم يقبل الله عز وجل منه هذا الطلب وعاتبه، فما كان منه إلا الرجوع المباشر للنفس والتوبة على ذلك وطلب المغفرة عليه والعزم على ألا يعود لمثله¹.

- وقوله سبحانه على لسان موسى - عليه السلام - بعد أن وكز الرجل فقتله خطأ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص:16-17]. فهنا رجوع إلى النفس يقود إلى التعلم من التجربة والاستفادة منها للمستقبل. فإن كان المراد بالمجرمين في الآية: فرعون وجنوده، فإن عدم مظاهرتهم تعني أن ما حصل من الوقوف في وجههم اليوم وما سيترتب عليه لن يكون حائلاً يخيفه ويمنعه من مواصلة نصرته المظلوم. وإن كان المراد بالمجرمين أمثال القبطي الذين يفتعلون الإشكالات، فيكون المعنى أنني لن أكون ظهيرا لهم حتى لو كانوا من قومي² وعلى كلا المعنيين، فإن المراجعة للنفس بهدف الثبات على الصواب، أو بهدف العلاج والتصحيح حاصلة.

- وهذا داود - عليه السلام - عندما ظن بعد أن تسور عليه الخصمان المحراب، فظن بعد حكمه أن خطأ ما قد حصل، وأن في المسألة فتنة له واختبارا ليستبين وجه ذنبه³. فما كان منه إلا العودة للذات واكتشاف ذنبه ثم الاستغفار منه: ﴿وَلَقَدْ دَاوُدُ إِتْمَأَنَّنَهُ فَأَسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَحَرَّ رَأْكَأَ وَأَنَابَ﴾ [ص:24].

- وكذلك الحال مع سيدنا سليمان - عليه السلام - حيث يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ ﴿٢١﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنِّي بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص:34-35]. وبمعزل هنا أيضا عن طبيعة الفتنة التي تعرض لها

¹ ينظر: رضا، تفسير المنار، (72-71/12).

² وكلا المعنيين قال به المفسرون، ينظر: الألوسي، روح المعاني = تفسير الألوسي، (264/10).

³ للمفسرين أقوال عديدة في طبيعة الذنب الذي ظن داود عليه السلام أنه اقترفه. ينظر: الألوسي، روح المعاني = تفسير الألوسي، (175-174/12).

سليمان -عليه السلام-، فإن العودة إلى الذات وطلب المغفرة من الله، إشعاراً بمعرفة الذنب أو الخطأ وتصحيحه، كل ذلك واضح في الآية.

وهكذا يعرض القرآن نموذجاً لعدد من الأنبياء الكرام -عليهم السلام- وكيف كانوا يسارعون في العودة إلى أنفسهم بعد الحدث، ليعالجوا ويصححوا ما ظنوه خطأ أو ذنباً وقعوا فيه.

ولئن كان القرآن الكريم قد عرض مواقف الأنبياء -عليهم السلام- وسلوكهم، فإن النبي صلى الله عليه وسلم - هو الترجمة الحية لأخلاقيات القرآن كلها، حيث كانت سيرته - صلى الله عليه وسلم - التطبيق العملي لأخلاق القرآن. ومع أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد غفر له ما تقدم من ذنبه¹، إلا أنه كان يكثر من الاستغفار، في مجلسه، وبعد صلاته، وأثناءها، وفي دعائه -صلى الله عليه وسلم-². وكل ذلك يدلنا على تأصل خلق الاستغفار وثقافته في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم- مما يدل على أن رجوعاً مستمراً للنفس كان يمارسه النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وهكذا يؤسس القرآن الكريم، في البناء النفسي للمؤمن أن العودة إلى الذات، والرجوع إلى النفس هو خلق الأنبياء عليهم السلام، وقد ترجمه النبي صلى الله عليه وسلم في حياته. وما ذلك إلا لترسيخ هذا الخلق في حياة المسلم الذي تتوق نفسه إلى التأسي بالأنبياء -عليهم السلام-، وخاصة خاتمهم -صلى الله عليه وسلم-.

¹ عن عائشة، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا صلى قام حتى تقطر رجلاه، قالت عائشة: يا رسول الله أتصنع هذا، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: "يا عائشة أفلا أكون عبداً شكوراً". مسلم، صحيح مسلم، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، (2172/4)، (2820).

² من ذلك على سبيل المثال دعاؤه صلى الله عليه وسلم: "رب اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري كله، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي خطاياي، وعمدي وجهلي وهزلي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير". متفق عليه؛ صحيح البخاري، كتاب: الدعوات، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، (84/8)، (6398). وينظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوذ من شر ما عمل وشر ما لم يعمل، (2087/4)، (2719).

المطلب الثاني: تبرئة الذات وإلقاء اللوم على الآخرين، نهج إبليس

يوضح القرآن الكريم منهج إبليس المضاد والمعاكس لمنهج الأنبياء -عليهم السلام- في هذه القضية، ويمكن ملاحظة ذلك في قوله سبحانه وتعالى على لسان إبليس أثناء حوارهِ مع خالقه الكريم: ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَاتَبْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: 16-17]. ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخَلَّصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر: 39-40]. فهذا إبليس الرجيم، بين يدي وعيده بغواية الإنسان والعمل على إهلاكه، يبرئ نفسه الخبيثة من الجريمة، وينسب الغواية إلى الله سبحانه وتعالى؛ فحسب دعواه فإن الله سبحانه هو الذي أغواه! أما هو فبريء وليس مجرماً ولا ذنب له! والملاحظ أن القرآن الكريم يعرض هذا المنهج الإبليسي القائم على تبرئة الذات وإلقاء المسؤولية على الغير، في إطار محورين يزيدان من تنفير الإنسان من هذا الخلق الإبليسي المشين.

المحور الأول هو: هذا التمرد والتعالي من مخلوق تافه على خالقه العظيم سبحانه، فأى كبر، وأي تمرد يوجّه هذا السلوك المغرور؟! ويعجب المرء من هذا التحدي الاستعلائي من هذا المخلوق العاصي وهو يعرض بين يدي خالقه كيف سيغوي ذلك الإنسان الذي فضّله خالقه عليه، وكأنه يريد أن يثبت للخالق سبحانه عدم أحقية هذا الإنسان بذلك التكريم! فأى غرور وتكبر هذا؟!¹

والمحور الثاني: هو هذا العداوة المستحکم للإنسان من قبل هذا العدو الرجيم، وصدق الله العظيم: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف: 50].

والإنسان جوبه بهذا العداوة لا لذنب ارتكبه، سوى أن خالقه الكريم سبحانه قد فضّله على إبليس! مما يحرك في نفس الإنسان الرغبة في مواجهة هذا العدو الرجيم وإبطال مكره.

¹ ينظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (377/4-378).

وفي إطار هذين المحورين جاءت الآيتان اللتان يعلن فيهما إبليس تبرئة نفسه من الذنب والجريمة، وتحميل التبعة على الغير، وهذا السياق القرآني ضمن هذين المحورين ينقّر الإنسان السويّ من انتهاج سلوك إبليس، واتباع خطاه.

وبهذين الإطارين الكبيرين: تبيان أن العودة إلى الذات هي نهج صفوة البشر من الأنبياء عليهم السلام، في مقابل أن تبرئة الذات وإلقاء التبعة على الغير، هو نهج شر خلق الله، إبليس الرجيم، عدو الإنسان الأول. يتبين المَعلم الأول الذي يمكن ملاحظته في الطريقة القرآنية الفريدة التي تؤسس لترسيخ سلوك العودة إلى الذات، كمنهجية متأصلة في حياة المسلم وممارساته. وهذا يقود الباحث للحديث عن المَعلم الثاني، في المبحث التالي.

المبحث الثاني

العودة الحقيقية للذات بعيداً عن الشكلية، وعن جلد الذات

يقصد الباحث بالعودة الشكلية إلى الذات: تلك الممارسة الروتينية الخالية من حضور الذهن والقلب في عملية المراجعة، بحيث تفقد فاعليتها، ولا تسمح لها بأداء رسالتها وتحقيق هدفها. ويمكن تشبيه هذه الممارسة الروتينية بعملية الاستغفار الشكلي باللسان دون حضور قلب، مما يفرغ الاستغفار من محتواه.

ويقصد الباحث بمصطلح جلد الذات: ممارسة نقدها، والاقتصار في البحث عن عيوبها وأخطائها، ثم القسوة عليها قسوة تؤدي إلى إقاعدها عن النهوض، اعتقاداً أنها لا يمكن أن تنهض أو تتجح أبداً.

وبين هذين الطرفين، يمكن ملاحظة كيف تؤسس المنهجية التربوية القرآنية هذه العودة الحقيقية والفاعلة إلى الذات، كمعلم واضح يمكن ملاحظته وعرضه من خلال المطلبين الآتين:

المطلب الأول: الابتعاد عن المظاهر الشكلية في العودة إلى الذات

حتى تكون عملية المراجعة للنفس عملية مثمرة تؤتي أكلها، وتحقق هدفها المنشود، فإن القرآن الكريم أشار إلى جملة من المظاهر يمكن عرضها في النقاط الآتية:

المظهر الأول: تعليق النفس بالعاقبة والمآل

إن عملية المراجعة للنفس بهدف اكتشاف أخطائها وتصحيحها عملية صعبة ومؤلمة، وهي أشبه بالدواء المر الذي تعافه النفس لكنه ضروري للشفاء، فإن لم يكن دافع قوي يعين على شرب هذا الدواء، فإن الإنسان في غنى عن حمل نفسه على ما تعاف وتكره. ولكن القرآن الكريم يوجّه الإنسان -دوماً- إلى سعة الأفق، والنظر للمستقبل، بحيث لا تضيق رؤيته فلا تتجاوز موطئ قدمه. ويكثر القرآن الكريم من حث المسلم على البحث عن عاقبة الأمور ومآلاتها. والعاقبة: "أصلها كل ما يأتي في عقب الشيء أي آخره، أي هي ما يؤول إليه أمره. ثم هي تكون حسب

حال الشيء من خير أو شر"¹. وفي إطار التوجيه القرآني للمسلم نحو الأجل الدائم، على حساب العاجل الزائل، يوضح القرآن أن الخاتمة النهائية الدائمة الحسنة هي من نصيب المؤمنين، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:128]. والعاقبة هنا في الآية، بمعنى أن النتيجة النهائية والخاتمية لمعركة المتقين مع أعدائهم هي انتصارهم عليهم، وذلك في الدنيا.²

وفي المقابل فإن القرآن الكريم يحذر المسلم من أن تكون نهايته وخاتمته كعاقبة الكافرين والظالمين، ويدعوه إلى النظر في مآلاتهم، ليعتبر فلا يكون مصيره كمصيرهم، كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [آل عمران:137].³

وتوجيه النفس للتطلع للعاقبة، أي الخواتيم والمآلات في الدنيا والآخرة، يعني فيما يعنيه في موضوع العودة إلى الذات جعلها عودة حقيقية، أي رجوعاً صادقاً للنفس يفتش عن قصورها وأخطائها، مع ما في هذه العودة من ألم وضع اليد على الجرح والضغط عليه، وتحمل ذلك الألم الموضعي، ترقباً لعاقبة من الخير مرجوة بعد هذا الألم.

المظهر الثاني: التطلع للعون الإلهي معية وتيسيرا

إن المسلم الذي يعلن في صلاته كل يوم سبع عشرة مرة -على الأقل- أن طلبه للعون لا يكون إلا من خالقه الكريم سبحانه.⁴ وبهذه المعونة الإلهية يتغلب المسلم على مشقات الحياة، ويتجاوز عقباتها. ويحث القرآن المسلم على أن يخطو الخطوة الأولى في نيته وعمله، كي يكون أهلاً

¹ جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، (1496/3).

² ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (60/9).

³ ينظر أيضاً: [الأعراف: 84، النمل: 51، 52، التوبة: 81، 82].

⁴ حيث يقرأ المسلم في سورة الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:5]. ولا تعارض في قصر طلب العون على الله سبحانه -إذ تقديم إياك "المفعول به" على الفعل "نستعين" يفيد الحصر والقصر- وبين أن يستعين إنسان بسواه، فالآية تتحدث عن عمل القلب، حيث يعتقد المسلم أن المعين الوحيد هو الله سبحانه، وهو يسخر له من يعينه من أشخاص وأسباب.

لاستحقاق المعونة؛ فالله سبحانه قادر على فعل ما يشاء، لكنه يريد من عبده أن يعمل ويبادر: ﴿فَإِذَا لَقِيَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَخْنَسْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا أَوْثَاقَهُمْ فِيمَا مَنَّا بَعْدَٰهُ وَمِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآتَنَصَّرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [محمد:4]. "إذ لو شاء الله سبحانه وتعالى «لَآتَنَصَّرَ مِنْهُمْ» أي لسلط عليهم آفة مهلكة من الآفات، أو لما جاء بهم إلى هذه الحياة الدنيا، أو لهداهم إلى الحق، وكانوا في المؤمنين.. ولكن هكذا شاءت مشيئة الله سبحانه.. فجعل الشر في طريق الخير، وجعل الكافرين في وجه المؤمنين، وذلك ليتيح للمؤمنين فرصة العمل لما يرفع منزلتهم عند الله، ويعلي قدرهم، وينزلهم منازل رضوانه.."¹.

فالمسلم الذي يرى المشقة والألم في عملية المراجعة للنفس، والعودة إلى الذات، فتحدثه نفسه للقيام بها شكليا ليخفف من جراحاتها، يدعوه -بالمقابل- تذكره عون الله سبحانه ومدده، لكل مجاهدٍ نفسه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلًا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:69]. أي: "جاهدوا في مرضاتنا، والدين الذي اخترناه لهم... والهداية: الإرشاد والتوفيق بالتيسير القلبي والإرشاد الشرعي، أي لنزيدنهم هدى. وسبل الله: الأعمال الموصلة إلى رضاه وثوابه"². يدعوته تذكر هذه المعية والهداية والمعونة إلى تحمل جراح المراجعة، فيؤديها على وجهها.

غير أن هذه المعونة الإلهية مرتبطة بأن يخطو المسلم الخطوة الأولى نحو رضوان الله المتمثل هنا بمراجعة النفس، والعودة إلى الذات. وقد جاءت آيات عديدة في القرآن الكريم تحمل هذه المعاني، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: 17]، وكما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيَهُمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ [يونس:9]. أي يرشدهم الله لما فيه خيرهم ونفعهم ومصالحتهم بسبب إيمانهم وعملهم الصالح³.

¹ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (316/13).

² ابن عاشور، التحرير والتنوير، (37/21).

³ ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (101/11).

وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:153]. "وقوله: إن الله مع الصابرين تذييل في معنى التعليل أي اصبروا ليكون الله معكم لأنه مع الصابرين".¹

ولعل ما يوضح معنى ضرورة أن يخطو المسلم الخطوة الأولى، قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني، والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة، ومن تقرب إلي شبرا، تقربت إليه ذراعا، ومن تقرب إلي ذراعا، تقربت إليه باعا، وإذا أقبل إلي يمشي، أقبلت إليه أهول".²

والعون الإلهي جزء من معية الله الخاصة لعباده، إذ المعية عامة وخاصة؛ فالعامة لكل الخلق وتعني علم الله الشامل والمحيط بخلقه، أما المعية الخاصة فهي تخص المؤمنين وحدهم ومن معانيها النصر والتأييد، والإعانة والهداية، والحفظ والحماية، وقد ورد الحديث عن هذه المعية الخاصة في سبعة عشر موضعا في القرآن الكريم، كقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [المائدة:12]. هذا والمعية الإلهية، منزلة عالية، لكن هناك وسائل تعين على تحقيقها منها: الصبر والتقوى والإيمان والإحسان..³

ومن معاني العون الإلهي التي قررها القرآن الكريم، اليسر المرافق للعسر، كما في قوله سبحانه: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: 5-6]. فالمشقة المصاحبة لعملية مراجعة النفس والتفتيش عن أخطائها، معها يسر يهون صعوبتها.

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، (53/2)

² مسلم، صحيح مسلم، كتاب: التوبة، باب: في الحض على التوبة والفرح بها، (2102/4)، (2675).

³ ينظر: الماجد، ناصر بن محمد، المعية الإلهية في ضوء القرآن الكريم: معانيها ودلالاتها، الجمعية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، مجلة تبيان للدراسات القرآنية المحكمة، (ع10)، (2012م)، (25)، (63-129، 132).

وبترقب المسلم لمعونة مولاه، يبسر له كل صعب، ويهون عليه كل مشقة، يتجاوز دواعي التثبيط التي تقعه عن المراجعة الحقيقية للذات.

المطلب الثاني: الابتعاد عن جلد الذات

من مداخل الشيطان التي ينفذ منها للإنسان -حين يراه راغبا في التوبة وتصحيح الخطأ- أن يضخم جرمه، ويبيئسه من نفسه وإمكانية إصلاحها؛ فهو ملئ بالأخطاء والعيوب، ولا يصلح لشيء، ولا إمكانية لاستدراكه، فليكمل إذا هويّه وانحداره! وحتى لا تتحوّل عملية مراجعة النفس إلى جلد لها يبيئسها من إمكانية الإصلاح، فإن المسلم يستحضر ما يأتي:

أولاً: شرف المهمة، وكرامة الاستخلاف

في بدايات أول سورة في القرآن الكريم¹ -بعد الفاتحة- يعرف الخالق الكريم سبحانه، هذا الإنسان بمهمته النبيلة التي خلقه من أجلها، وهي خلافة الأرض وعمارتها وفق منهج الله، وذلك بعد أن زوده - في الجنة - بالتجربة اللازمة لذلك، فأنزله للأرض تائباً معلماً ليسير في الأرض وفق منهج الله وهداه، مبيناً له أن هذا الكون مسخر له لتحقيق هذه المهمة، التي عجزت عن حملها السماوات والأرض، وحملها الإنسان بما كرمه خالقه سبحانه وركّب فيه من خصائص تؤهله لهذه المهمة العظيمة،² حيث يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴿البقرة: 30-31﴾. ويقول سبحانه: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: 72].

¹ سورة البقرة: 30-38. وقد وردت جوانب من قصة الخلق في أكثر من سورة (الأعراف، الحجر، طه، ص)، لكن عرضها في سورة البقرة كان الأشمل.

² ينظر: النجار، عبد المجيد، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، دار الغرب الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، (ط2)، (1413هـ-1993م)، (61-62). وينظر: زرمان، محمد، وظيفة الاستخلاف في القرآن الكريم دلالاتها وأبعادها الحضارية، مجلة حوثية كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية، قطر (ع16)، (1419هـ-1998م)، (195-200).

هذه الصورة الذهنية التي يؤسسها القرآن الكريم تجعل إنسان التربية الإسلامية المتربي على مائدة الوحي والمغترف من نبعه دائم التطلع نحو مهمته المنوطة به، مما يجعله يعلم ويوقن -مستهديا بتجربة أبيه وأمه عليهما السلام في الجنة- أنه في طريق هذه المهمة لا بد من عقبات وكبوات، لكنها ستكون دروسا مربية على طريق مهمة الاستخلاف العظيمة، ومن ثم فلا استماع لوسوسة تثبث في نفسه اليأس أن الخطأ أو الأخطاء هو أو هي نهاية الطريق، مما يؤدي إلى الاستسلام واليأس، والاستمرار في منحدر السقوط. كحال الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسا، فلما علم أنه لا توبة له أكمل على المائة من أخبره بذلك¹؛ ذلك أن الإنسان متى يؤس من إمكانية الصلاح والرجوع فإنه سيواصل التردّي والانهيار. وتلك هي خطة الشيطان. لهذا لا يريد الإسلام لعملية مراجعة النفس أن تكون على قاعدة من التطرف والمبالغة تسلط سياط اللوم والتبئيس والتثبيط على إنسانها، فتقعده عن النهوض. ومما يحول بينه وبين ذلك تطلعه إلى مهمة الاستخلاف العظيمة التي كلفه بها خالقه سبحانه مكرما له على سائر المخلوقات.

ثانياً: الخطأ والفشل فرصة علاجية، وليس نهاية انتقامية

الصورة الذهنية التي ينشئها القرآن الكريم هي الخريطة الحقيقية المطابقة للواقع، بخلاف الخرائط البشرية الصادرة عن علم محدود أو هوى متبع، فإما أن تكون خاطئة جاهلة، أو محرّفة مشوّهة.

ففي حين أنشأت التوراة المحرّفة الخريطة المشوّهة عن قصة الخلق²، حيث هبط الإنسان على الأرض -حسب زعمها- عقوبة له، بعد أن أكل من شجرة المعرفة التي وصل إليها بعضيان الله بمساعدة الشيطان... الخ من هذه الترهات³، فإن القرآن الكريم ينشئ الصورة الذهنية الصحيحة المتمثلة بأن أبونا عليهما السلام قد اقتضت المشيئة الإلهية خلقهما للقيام بمهمة الاستخلاف العظيمة في الأرض قبل أن يخلقهما، ثم زودهما في الجنة بالتجربة اللازمة، ثم علمهما التوبة بعد

¹ ينظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: حديث الغار، (174/4)، (347). وينظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب: قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، (2118/4)، (2766).

² ينظر: التوراة، سفر التكوين: 1، 2.

³ ينظر: الأمير، بهاء، شفرة سورة الإسراء: بنو إسرائيل والحركات السرية في القرآن، مكتبة مدبولي، القاهرة، (ط1)، (2015م)، (237-243).

الخطأ، وعرفهما كيفية الرجوع إلى النفس لاكتشاف مكان الضعف بهدف تصحيحها، ثم تاب عليهما قبل إنزالهما على الأرض، فنزلا متعلمين تائبين. يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِ كَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبُطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبُطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة: 34-38].

وعلى هذا فالخطأ البشري جزء من تركيبة هذا الإنسان، وليست المشكلة أبداً في أن الإنسان يخطئ، بل المشكلة في الإصرار على الخطأ، وعدم الاعتراف به والرجوع عنه. لقد خلق الله الإنسان خطأً ليتوب متعلماً من خطئه مزوداً بتجربته المؤلمة، لتكون له درساً مريباً يعينه في مسيرة الاستخلاف تطوراً وارتقاءً. ومن أجل ذلك، ف: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: 222]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون"¹

وكما ينظر الطبيب إلى المريض نظرة المعالج الذي يبحث له عن دواء، فإن عملية مراجعة النفس بحثاً عن الأخطاء، عملية علاجية هدفها الإنقاذ لا الانتقاد. وهذا يصوب اللوم ليكون فعالاً ودافعاً للعمل لا سيفاً مصلتاً يقعد بصاحبه ويبيئسه.

¹ رواه الترمذي. ينظر: الترمذي: سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، (273/4) (2499). ورواه الدارمي وابن ماجه. ينظر: الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن ت: 255هـ، سنن الدارمي، تحقيق: حسين الداراني، دار المغني، المملكة العربية السعودية، (ط1)، (1412هـ-2000م)، من كتاب الرقائق، باب: في التوبة، (1793/3)، (2769). وقال المحقق: إسناده حسن. وينظر: ابن ماجه، محمد بن يزيد ت: 273هـ، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل البابي الحلبي، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، (1420/2)، (4251). وقد حسنه الألباني، ينظر: الألباني، محمد ناصر الدين ت: 1420هـ، صحيح الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، حرف الكاف، (831/2)، (4512).

المبحث الثالث

العودة الفردية والجماعية إلى الذات في القرآن الكريم

المطلب الأول: العودة الفردية إلى الذات في القرآن الكريم:

العودة الفردية هي الأكثر ورودا في كتب التزكية بمعاني التوبة والمحاسبة والمراقبة ومرادفاتها. والحديث في هذه المعاني يتركز على جانب المعاصي والذنوب المعروفة مما ينبغي التوبة منه. وإذ يحاول الباحث أن يسلط الضوء على جوانب-ربما-يقبل الانتباه أو الالتفات إليها عند العودة إلى الذات، فإنه ليس من نافلة القول الإشارة إلى أن "أصحاب النفوس الكبيرة يسألون أنفسهم باستمرار عن مدى سلامة الوضعية النفسية والسلوكية التي هم عليها، لأنهم يعتقدون أن التدرج نحو القاع يظل خطرا كامنا في الطريق، كما يعتقدون أن آفاق التحسن في كل الأمور تظل ممتدة إلى آخر لحظات العمر"¹. وكلما ارتقت منزلة الإنسان، وسبق في ميادين الفضل والتقوى والنجاح كان شكل عودته إلى ذاته مختلفا، أو كانت الأمور التي يتوقف عندها من نفسه لا تلتفت انتباه كثيرين. قال الحسن البصري: "إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه يقول: ما أردت بكلمتي، يقول: ما أردت بأكلمتي، ما أردت بحديث نفسي، فلا تراه إلا يعاتبها، وإن الفاجر يمضي قدما فلا يعاتب نفسه"².

وسيعرض الباحث هذا المطلب ضمن المحاور الأربعة الآتية:

المحور الأول: الذات هي الإنسان بكليته:

خلق الله الإنسان من روح تظل ترتقي به إلى المعاني العالية، وجسد يظل يشده نحو حاجاته الغرائزية، فهو خلق ذو طبيعة مزدوجة جعلت فيه قابلية ثنائية لفعل الخير ارتقاء، أو فعل الشر انتكاسا. وفي جميع ذلك هو حر مختار. يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:3]. ويقول سبحانه: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ^ط فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ

¹بكار، عبد الكريم، جدد عقلك، دار الأعلام، عمان، (ط1)، (1423هـ، 2003م)، (169).

²ابن حنبل، أحمد بن محمد ت: 241هـ، الزهد، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، (1420هـ-1999م)، (228).

فَلْيَكْفُرْ [الكهف:29]. وهدف التربية القرآنية النبوية أن تخرج ما أسماه الفيلسوف الإسلامي المغربي طه عبد الرحمن: الإنسان الكوثر، لا الإنسان الأبتري؛ "فالإنسان الأبتري: هو الإنسان الذي لا يستثمر من قواه ولا يحقق من إمكاناته إلا قدرًا ضئيلاً... أما الإنسان الكوثر فهو بخلاف الإنسان الأبتري، لا يكتفي بأن يستثمر كل قواه وملكاته، إحساساً ووجداناً، خيالا وعقلا، ذاكرة وإرادة، ويحقق مختلف إمكاناته ومكنوناته، بل يذهب بهذا الاستثمار للقوى والتحقيق للإمكانات إلى أقصاهما، بحيث يتاح له أن يتقلب في أطوار سلوكية مختلفة، وينهض بوظائف عملية متعددة، كل ذلك يورثه القدرة على أن يحقق التكامل لذاته"¹.

وقديما قسم العلماء الأعمال إلى أعمال قلب وأعمال جوارح، غير أنهم شددوا أن أعمال القلب هي الأخطر والأهم.² وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك واضح: "... ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"³.

والحديث القرآني عن القلب يتجاوز المفهوم المتبادر للذهن من قصر اختصاصه بالعاطفة، فالقلب القرآني قلب يعقل، كما يدل عليه قوله سبحانه: **﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾** [الأعراف:179].

وقوله سبحانه: **﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾** [الحج:46].

وهذا الفهم لطبيعة إنسان التربية الإسلامية ضروري وملهم ومرشد لصاحبه في كيفية عودته إلى ذاته، وعن أي الجوانب هو مطالب بالتفتيش والبحث.

¹ عبد الرحمن، طه، من الإنسان الأبتري إلى الإنسان الكوثر، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، جمع وتقديم رضوان مرحوم، (ط2)، (2016)، (44-45).

² ينظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (506/7). وينظر: ابن القيم، **بدائع الفوائد**، (193/3). وينظر: ابن القيم الجوزية، **مدارج السالكين**، (129/1-142).

³ متفق عليه، البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب: الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه (20/1)، (52). وينظر: مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب: المساقاة، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات (1219/3)، (1599).

المحور الثاني: القرآن يقود العودة إلى الذات:

القرآن الكريم هو معين التربية الأول، وهو النبع الذي تتفرع منه كل العيون، والهدي النبوي الشريف هو امتداد هذا النبع وترجمته العملية. وعلى الرغم من شمول القرآن لكل شيء يحتاجه الإنسان، حيث يقول الله عز وجل: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل:89]. و«كل شيء» يفيد العموم إلا أنه عموم عرفي في دائرة ما لمثله تجيء الأديان والشرائع: من إصلاح النفوس، وإكمال الأخلاق، وتقويم المجتمع المدني¹. على الرغم من هذا الشمول فإنه يلاحظ أن القرآن يفرد مساحات متفاوتة في عدد مرات العرض، ومدة العرض، لكل قضية يريد لها بميزان دقيق هادف، بطريقة يقصد منها تربية المسلم بالطريقة المتوازنة التي ترتب أولوياته فلا يقدم المهم على الأهم، وتعلمه الموازنات الدقيقة فلا يضخم الصغير أو يقزم الكبير. و«من وسائل القرآن في إعادة تشكيل العقل: رسم خريطة الإسلام بنسبها الصحيحة في ذهن قارئه، فالقرآن يعطي لصاحبه تصوراً عاماً لكل ما هو مطلوب منه، وعلاقته بكل شيء حوله، ولا يكتفي بذلك بل يضع كل أمر في حجمه المناسب له في شجرة الإسلام، فهو يرتب الأولويات، ويكون الشخصية المعتدلة، المتوازنة، والتي تعطي كل ذي حق حقه² ومن القواعد التي وضعها القرضاوي في التعامل مع القرآن قاعدة: "الاهتمام بالأشياء على قدر اهتمام القرآن بها... ذلك أن عناية القرآن بأمر ما معيار لأهميته"³.

وعلى هذا فإن العودة إلى الذات تستند إلى هذا الأساس، حيث يعظّم المرء في نفسه ما عظمه القرآن، ويشد لومه لنفسه وعزمه على العلاج والتصحيح إذا كان جانب التقصير في مسألة هامة أخذت من القرآن اهتماماً واسعاً؛ ويمكن ملاحظة اهتمام القرآن بقضية الإيمان وأعمال القلب، وقضايا الشأن العام من ظلم وفساد وضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومقاومة مرضي

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، (14/253)

² الهلالي، مجدي، العودة إلى القرآن: لماذا وكيف؟، دار الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، (ط1)، (1429هـ-2008م)، (71).

³ القرضاوي، يوسف، كيف نتعامل مع القرآن العظيم، دار الشروق، القاهرة، (ط4)، (1425هـ-2005م)، (451).

الطغيان والاستضعاف، وغيرها من قضايا ركز عليها القرآن الكريم، مما يستدعي أن يتم الانتباه لها حين العودة إلى الذات.

المحور الثالث: معادلة العمل الصالح:

هدف التربية القرآنية النبوية إخراج الإنسان الصالح (المصلح)، الذي يفلح في تحقيق أمانة الاستخلاف فيسعد في الدارين. وقد وضع الكيلاني معادلة توضح كيفية الوصول إلى هذا الغرض، صاغها كما يأتي:

تعشق المثل الأعلى + قدرات عقلية ناضجة + خبرات كونية واجتماعية مربية = الإنسان الصالح.
والمثل الأعلى هو نموذج الحياة التي يراد للمسلم أن يحيها، والله سبحانه الذي خلق هذه الحياة هو الذي يضع هذا المثل الأعلى، بينما كل النماذج التي لا تستمد من الوحي هي مثل سوء. يقول الله عز وجل: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل:60].

فالتدريب المتعلم على تعشق المثل الأعلى ونموذج الحياة الذي يرسمه الوحي، يوجه خواطره وأفكاره لمحاكاة هذا المثل الذي عشقه، فينوي ويعزم على ذلك، فيأتي دور إنضاج قدراته العقلية من حكمة وتفكير وتذكر وتدبر واستنباط.. وتعليمه على منهج التفكير الصحيح القائم على العلم لا الظن والهوى، والشامل لا الجزئي، والناقد لا التبيري.. ثم تزويده بالخبرات المربية، حيث لا نقوم بحشو دماغه بكم متراكم من المعلومات بغير فائدة.¹

وكل ذلك من نموذج المثل الأعلى والقدرات العقلية ومنهج التفكير والخبرات المربية، مطلوب من المسلم ملاحظته وهو يعود إلى ذاته يفتش فيها عن جوانب الضعف والقوة.

المحور الرابع: أسس العودة الفردية إلى الذات:

¹ ينظر: الكيلاني، ماجد عرسان، أهداف التربية الإسلامية في تربية الفرد وإخراج الأمة وتنمية الأخوة الإنسانية، مركز بيت المقدس للأدب، فلسطين، (1427هـ-2006م)، (69-185).

استنادا إلى المحاور السابقة من مركزية عمل القلب، واستصحاب هدايات القرآن، ومعادلة العمل الصالح، يختار الباحث مجموعة من الأسس التي يرى من الأهمية بمكان ألا تغيب عن المرء وهو يعود إلى ذاته، ومن ذلك:

الأساس الأول: معرفة الله عز وجل والإيمان به

لا تكاد تمر صفحة من كتاب الله عز وجل إلا ورب العزة يعرف فيها عباده بذاته العلية وصفاته الحسنى وأفعاله الحكيمة القديرة سبحانه. وإن أمراً استدعى أن يخاطب رب العزة سبحانه أعرف الناس بالله وأعبد الناس لله، بمثل قوله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد:19]. إن أمراً كهذا لعظيم. ومثل هذه الآية، إضافة إلى ما حفل به كتاب الله عز وجل من قضية الإيمان، ليستدعي أن يجعل المسلم أهم وأولى ما يجب أن يلتفت إليه ويراقبه في نفسه هو علاقته بخالقه الكريم سبحانه، ومدى معرفته له. ومعرفة الله عز وجل أبعد ما تكون عن تلك المعرفة الباردة التي كان يعرفها حتى المشركون الذين قال الله عز وجل في وصفهم: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان:25]. إنها معرفة أشبه بطلاب حصة التاريخ يسألهم الأستاذ عن القصر الأثري المعين من بناه فيقولون الإمبراطور فلان، لكن هذه المعرفة المجردة لا تولد في أنفسهم تجاهه رغبة أو رهبة أو خوفاً أو رجاء أو حاجة لسؤال ودعاء! أما القرآن الكريم فقد غير الصورة الذهنية للصحابة فأراهم قدرة الله الفاعلة في كل شيء، فهو يحيي ويميت، ويؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء وينزل من يشاء، ويولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، ويهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور ويجعل من يشاء عقيماً، ويبسط الرزق لمن يشاء ويقدر على من يشاء، ويرزق من يشاء بغير حساب... فإذا هم بهذه المعرفة لا تتعلق قلوبهم رجاء أو خشية، رغبة أو رهبة، طلباً أو سؤالاً، تذلاً أو اعتماداً، ثقة أو توكلًا، إلا بالله رب العالمين. وما دام الصحابة الذين كان القرآن يتنزل عليهم يربيههم على هذه المعاني احتاجوا أن يخصصوا لأنفسهم ساعات يراجعون فيها هذا الإيمان، فكيف بنا اليوم؟ إنها عودة للذات ناقصة تلك التي لا يعرض صاحبها فيها قلبه على مثل: ﴿يَدْبُرُ الْأَمْرَ﴾ [يونس:3]. ومثل: ﴿اتَّخَشَوْنَهُمْ فَأَلَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:13].

وفي مختبرات الحياة يراقب قلبه في امتحانات: النفع والضرر، والرزق والأجل، ويعرض عمل قلبه وجوارحه على القرآن، ويرى أين موقع سلوكه من مثل: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ [الفتح: 11]¹.

ثم يراقب ثمرات هذه المعرفة وهذا الإيمان مفتشا عن التقوى، عارضا قلبه في كل مشهد على مثل: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق: 14]. ومثل: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: 4].

وقد عرض القرآن الكريم منهجه التربوي لبناء النفوس في ثلاث خطوات: "التلاوة بمنهج التلقي، والتعلم والتعليم بمنهج التدارس، والتزكية بمنهج التدبر"². وهذا ما يجب ملاحظته.

الأساس الثاني: الحذر من مرضي الطغيان والاستضعاف

في سعي الإنسان نحو الرقي بنفسه، والحصول على أسباب القوة المادية والروحية، عليه أن يراقب نفسه ألا يطغيها غرور القوة، وامتلاك ناصية الأسباب؛ ففي أوائل وحي القرآن لهذه الأمة، وحين دعاها لقراءة الكتاب المسطور والمنظور، علم الله سبحانه أن هذه القراءة ستقودها لأن تملك ناصية العلم وأسباب القوة، لذلك أمرها أن تكون هذه القراءة باسم الله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: 1]. وهذه القراءة المؤدية لامتلاك ناصية القوة تجعل الإنسان يستغني ويغتر بقوته وما أوتي من أسباب التمكين، وهذا الغنى يقود الإنسان للطغيان: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَاطِئٌ﴾ [العلق: 6-7]. لذلك لا بد أن تضبط هذه القراءة باسم الله كي لا يطغى صاحبها. والتناسب الطردني بين تملك أسباب الغنى والقوة، وبين الطغيان والبغي، يمكن تبيينها في مثل قوله

¹ عن عبد الله بن عباس: أنه ركب خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا غلام، إني معلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف" رواه أحمد والترمذي واللفظ لأحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند عبد الله بن عباس، (4/409، 410). قال المحقق: إسناده قوي، وقال الترمذي حسن صحيح، ينظر: الترمذي، محمد بن عيسى ت: 279هـ، سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، ومحمد عبد الباقي وآخرين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي، مصر، (ط2)، (1395هـ-1975م)، (4/667)، (2516). وصححه الألباني، ينظر: الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، (2/1318)، (7958).

² الأنصاري، فريد، مجالس القرآن: مدارسات في رسالات الهدى المنهاجي للقرآن الكريم من التلقي للتنفيذ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، (ط2)، (1431هـ-2010م)، (62).

سبحانه: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى:27]. وفي إطار بحث المسلم عن أسباب العلم والقوة عليه أن يراقب سلوكه من الطغيان.

أما عن الاستضعاف، فلما أراد الله عز وجل أن ينقّر الناس من الشرك وصفه بالظلم العظيم، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13]. وما دام الظلم بهذه البشاعة، فإن القرآن الكريم يفاجئنا بتوصيف جديد للظالمين بخلاف ما كنا نتصور؛ ففي الوقت الذي يتصور فيه أحدنا عند سماع اسم الظالمين أولئك الجبابرة الذين يستقون على الناس بما آتاهم الله من أسباب القوة، فإن القرآن الكريم ينبهنا إلى صورة معاكسة من الظلم! يقول الله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُؤُنَا آدَاءً وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۖ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سبأ:31-33]. إن القرآن يتحدث عن نوعين من الظلم: أما الاستكبار والطغيان فنعم، ولكن اللافت هنا تصنيف الاستضعاف كنوع من أنواع الظلم. وصدق الله العظيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْغَالِبِينَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:97]. والمسلم مطالب بمراقبة هذا الجانب من الضعف والخنوع والذلة لمخلوق في نفسه وقلبه، وتصحيح وضبط هذا الضعف لو وجد.

الأساس الثالث: قدسية المبادئ مقدمة على مكانة الأشخاص¹

يبتلى المسلم أحيانا بالاختيار بين الوقوف إلى جانب مبدأ من ثوابته تربي ونشأ عليه، وبين شخص له مكانته الدينية أو الاعتبارية الكبيرة لديه ولدى الناس إن كان هناك تباين بين المبدأ

¹ هذا العنوان وفكرته مقتبسة من: الشنقيطي، محمد مختار، الخلافات السياسية بين الصحابة رسالة في مكانة الأشخاص وقدسية المبادئ، مؤسسة أم القرى للنشر والتوزيع، (ط1)، (1432هـ-2011م).

والشخص. وفي مدرسة العودة إلى الذات على المسلم أن يراجع -باستمرار- هذه الانحيازات وإلى أي جانب كانت.

في الوقت الذي يثني فيه القرآن الكريم على الأنبياء عليهم السلام، وعلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم بشكل أخص، ثم على السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وعن أهل بيعة الرضوان الذين رضي عنهم، إلا أن هذا لم يمنع القرآن الكريم حين الموازنة بين مكانة هذه الكوكبة العظيمة من صفوة البشر، من أن ينتصر للمبدأ فينحاز -دوما- إلى الحقيقة والصواب، مخطئا أعظم الناس، ومعاتبا في بعض الأحيان. كما يقول في حق النبي صلى الله عليه وسلم عتاب الله عز وجل له -على سبيل المثال- في قصة الأعمى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزْكِي ۚ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۚ أَمَا مِنِ اسْتَعْنَى ۚ فَآنت لَهُ نَصْدَى ۚ وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَزْكِي ۚ وَأَمَا مِن جَاءَكَ يَسْعَى ۚ وَهُوَ يَخْشَى ۚ فَآنت عَنْهُ تَلَهَّى ۚ كَلَّا إِنهَا تَذْكِرَةٌ ۗ﴾ [عبس: 1-11].

ويقول في حق الصحابة عليهم رضوان الله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ۚ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَّفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۗ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۗ﴾ * إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ ۚ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجِكُمْ فَأَتْبِكُمْ غَمًّا بَعِيمًا لِّكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۗ﴾ [آل عمران: 152-153].

وما دام القرآن الكريم ينتصر على الدوام إلى المبدأ بمعزل عن مكانة الشخص، فإن المسلم في عودته إلى الذات مطالب أن يراجع علاقاته ويصحح اختياراته ليظل انحيازه إلى المبدأ دوما. ومن جميل تطبيقات الصحابة موقف عمار بن ياسر في الفتنة يوم الجمل من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، حيث روى البخاري عنه قوله: "إن عائشة قد سارت إلى البصرة، ووالله إنها

لزوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم، ليعلم إياه تطيعون أم هي"¹، فمع إقراره بمكانتها عليها السلام، فإنه ينحاز إلى المبدأ والحق.

الأساس الرابع: الحذر من تخليط الأولويات

من المعلوم أن أحكام الإسلام وشرائعه ليست على درجة واحدة من التحليل والتحرير؛ فهناك أصول العقائد، والفرائض، والسنن، والمندوبات.. وكل ذلك ضمن درجات متفاوتة في الأهمية، وكذلك المحرمات كبائر وصغائر ومكروهات، وكل ذلك درجات أيضا.

كما توجد الضروريات والحاجيات والتحسينات. وفي المصالح تقدم المصلحة الكبيرة على الصغيرة، والعامية على الخاصة، والدائمة على المؤقتة.. وهكذا. والمفاسد كذلك درجات، فيتحمل الضرر الأدنى لدفع الأعلى، والخاص لدفع العام وهكذا². هذا ومن مداخل الشيطان الخفية أن يبعثر سلم أولويات المسلم، فإن رآه مصرا على طاعة أغراه بفعل ما هو أقل أولوية وترك ما هو أولى، أو شغله بالمندوب عن الواجب، أو جعله يمضي معظم وقته في المباح.. وهكذا.

هذا ومن سمات الناجحين أن ينفقوا معظم وقتهم في مربع المهم غير العاجل (المتمثل بالتخطيط، والاستعداد، والوقاية، والتدريب..)، كما يوضحها هذا الجدول³:

	مهم	غير مهم
عاجل	مهم عاجل	غير مهم عاجل
غير عاجل	مهم غير عاجل	غير مهم غير عاجل

ومن ثم فإن المسلم أثناء عودته إلى ذاته مطالب بمراعاة سلم الأولويات، والتفتيش عن أي اضطراب يحصل فيه ليقوم بتصحيحه.

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الفتن، باب: الفتنة التي تموج كموج البحر، (55/9)، (7100).

² ينظر: القرضاوي، يوسف، في فقه الأولويات دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة، مكتبة وهبة، القاهرة، (ط2)، (1416هـ-1996م)، (27-30).

³ ينظر: آر كوفي، ستيفن، العادات السبع، مكتبة جرير، (10ط)، (2005م)، (210-216).

الأساس الخامس: ضرورة ملاحظة البعد المقاصدي في التكليف وربطه بالقيم

المقصود أن الله عز وجل أنزل تشريعاته لعباده لحكمة بالغة هي في مجموعها تحقيق مصالحهم في الدنيا والآخرة و"لا يمتري أحد في أن كل شريعة شرعت للناس إنما ترمي أحكامها إلى مقاصد مرادة لمشرعها الحكيم تعالى، إذ قد ثبت بالأدلة القطعية أن الله لا يفعل الأشياء عبثاً... واستقراء أدلة كثيرة من القرآن والسنة الصحيحة يوجب لنا اليقين بأن أحكام الشريعة الإسلامية منوطة بحكم وعلل راجعة للصلاح العام للمجتمع والأفراد"¹. "والعقل الإسلامي الذي بناه الوحي هو عقل غائي تعليلي تحليلي برهاني استقرائي استنتاجي قانس مقصدي، يدرك أن الله لم يخلقنا عبثاً، وأنه ما من شيء في الوجود من المخلوقات -فضلاً عن أحكام الشريعة وتنظيم الحياة- إلا وله علة وسبب، تحكم مسيره سنة وقانون، ويسير إلى هدف وغاية"².

وإن كان علم المقاصد أقرب إلى علم أصول الفقه منه إلى علم السلوك، فإن الذي يعني الباحث هنا الإشارة إلى الجانب التربوي السلوكي في شخصية المسلم، وبالمثال يتضح المقال.

يقول الله عز وجل: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ^طإِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: 45]. فعلى المسلم حين يعود إلى ذاته أن يراقب مدى أثر هذه الصلوة اليومية التي جعلها الله عز وجل بينه وبين عباده في كل يوم خمس مرات، لتزيد صلتهم به، ويكون أثرها ممتداً في الحياة، فكأنما هي وقوده الضروري كي يستطيع التحرك بأمان في دروب الحياة، والمسلم مطالب أن يرى أثر الصلاة في نهيه عن الفحشاء والمنكر، وبالتالي يعمل على معالجة القصور الحاصل.

وهكذا فإن المسلم مطالب في كل طاعاته وعباداته المتعلقة بعلاقته مع خالقه سبحانه، أو تلك المتعلقة بعلاقته مع غير الله: بشرا مسلمين وغير مسلمين، سلماً وحرباً. وكوناً وطبيعة

¹ ابن عاشور، محمد بن الطاهر ت: 1393هـ، مقاصد الشريعة الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة-دار الكتاب اللبناني -بيروت (ط: 2011)، (15-17).

² حسنة، عمر عبيد، مقالات في التفكير المقصدي رؤية في إطار معرفة الوحي، المكتب الإسلامي، (ط1)، (1420هـ-1999م)، (15).

ومخلوقات.. إن المسلم -في جميع هذه العلاقات- أن ينتبه إلى مقاصد الشريعة وهل حقق مراد الخالق سبحانه في أوامره ونواهيه.

وهكذا فقد حاول الباحث عبر هذه الأمثلة الخمسة¹ التي أشار إليها، والتي ربما لا ينتبه لبعضها كثيرون، حاول الباحث القول: إن العودة إلى الذات عودة شاملة وهامة وتحتاج الكثير من الانتباه. وتتبقى ملاحظة أخيرة في هذا الجانب، وهي التذكير بالكنز التربوي النبوي الكريم: (أدومها وإن قل)، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها، وإن قل»، قال²: وكانت عائشة إذا عملت العمل لزمته.³

وبهذا ينهي الباحث حديثه عن العودة الفردية إلى الذات لئتم الانتقال عن العودة الجماعية للذات.

المطلب الثاني: العودة الجماعية إلى الذات في القرآن الكريم

لما كان الدين هو الشرع الإلهي المتصف بالكمال، فهو الحق المطلق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والمتجاوز حدود الزمان والمكان شاملاً بتشريعاته كل الناس على اختلاف أحوالهم وحالاتهم، فإن التدين باعتباره الكسب الإنساني في فهم الدين وتطبيقه يظل متصفاً بالمحدودية والنسبية، مغالبةً للشهوات، ومواجهة لضغط الواقع، وكدحا دائماً ما دامت الحياة دون أن يبلغ المتدين مطلق الكمال. فالتدين جهاد مستمر لإنجاز الدين، في حركة مستمرة، مما يعني دوام الاختبار وتجده. الاختبار المتمثل بقدرة المتدين على إنزال أحكام الدين الثابتة على الواقع المتغير باستمرار.

¹ بالطبع هناك عشرات الأمثلة الأخرى الهامة والضرورية مثل: الموازنة بين حدود الأخلاق المتشابهة فيفوق بين: (الكرم والإسراف، والبخل والتوفير، والشجاعة والتهور، والعزة والكبر، والثقة بالنفس والغرور... الخ)، وغير ذلك كثير مما قد لا يلتفت إليه.

² أي راوي الحديث عنها: وهو القاسم بن محمد.

³ متفق عليه واللفظ لمسلم. صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره، (541/1)، (783)، وينظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الرقاق، باب: القصد والمداومة على العمل، (98/8)، (6464-6465).

وكما أن للدين فقها، فإن لهذا التدين فقها كذلك. فقها تمارسه الأمة كلها. وتقوم قواعد فقه التدين هذا على محاور ثلاثة رئيسية هي¹:

1- الفهم (فهم الدين وفهم الواقع).

2- الصياغة من تعديد وتأسيس وتنظير ينزل أحكام الدين على الواقع أشبه بعمل المهندس المعماري حين يصوغ مخططه الهندسي بانبا إياه على فهمه لعلوم الفيزياء والرياضيات، وفهمه للبيئة التي سيقام فيها المشروع.

3- الإنجاز: بمعنى التنزيل الفعلي للمشروع على الأرض، شبيها بعمل المهندس التنفيذي الذي يراعي الكيفية والوسائل والمسالك.

وهذا يعني أن الأمة بحاجة أثناء حركتها الدائمة والمتجددة في عالم متغير، إلى مراجعة مستمرة وعودة جماعية إلى الذات.

يلحظ الباحث في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: 31]. أن التوكيد على الجمع في قوله: (جميعا)² إضافة إلى واو الجماعة التي تعني الجمع أيضا، أن ذلك يعني -فيما يعني- إشارة إلى توبة جماعية تمارسها الأمة كلها. ولما كانت الأمة كيانا مختلفا عن الفرد، رغم كونها مكونة من أفراد، فإن الحديث عن توبة الأمة إذ يشبه في بعض عناوينه وجوانبه توبة الفرد، إلا أن له خصوصيته وتميزه. وهذا ما سيحاول الباحث تناوله. عبر دور قيادة الأمة المركزي في ترسيخ مفهوم العودة إلى الذات.

¹ ينظر: النجار، عبد المجيد، في فقه التدين فهما وتنزيلا، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، مركز البحوث والمعلومات، (14-21).

² لم يجد الباحث فيما اطلع عليه من تفاسير أي تعليل لتكرار لفظ (جميعا)، مع أن الدعوة ب(توبوا)، تشمل هذا الجميع. ولم يجد الباحث إلا للخطيب تعليلا معقولا -في نظر الباحث- يعزو السبب إلى أن الأوامر في هذه الآية من خطرات النفس، ونظرات العين... مما لا يكاد ينجو منه أحد، فحتى لا يظن أحد أنه خارج هذه الدعوة أكدها بلفظ جميعا. ينظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (9/1269). إلا أن هذا التعليل المعقول والمتناسب مع سياق الآية، لا يمنع -في نظر الباحث- من أخذ اللفظ على إطلاقه، وأن التوبة الجماعية مرادة أيضا والله أعلم، وذلك كما سيفصله الباحث فيما هو آتٍ إن شاء الله.

يشير مصطلح (الأسوة) القرآني، إلى أهمية دور قيادة الأمة الجوهري في تحقيق نجاح الإنسان في مهمته الاستخلافية التي حُمِّلها أمانةً أبت حملها السماوات والأرض. حيث طلب الله عز وجل من المسلمين التأسى بهذه القيادة. يقول الله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:21]. ويقول جل في علاه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [المتحنة:4]. ويمكن استعراض دور القيادة في ممارسة العودة إلى الذات في الأمور الآتية:

أولاً: سعة الصدر والاستماع للنصيحة

لو كان لأحد أن يلغي رأيه وموقفه بحجة وجود قيادة أوعى منه وأدرى وأعلم، لكان أولى الناس بذلك أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم-، لكننا نجد الصحابة عليهم رضوان الله يراجعون النبي صلى الله عليه وسلم في مواقف كثيرة، ويقترحون وينصحون ويعترضون؛ ومن المواقف الشهيرة موقف عمر بن الخطاب من الصلاة على ابن سلول، " فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم، أنه قال: لما مات عبد الله بن أبي ابن سلول، دعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه، فلما قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وثبت إليه، فقلت: يا رسول الله، أتصلي على ابن أبي وقد قال يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ أعدد عليه قوله، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «أخر عني يا عمر» فلما أكثرت عليه، قال: «إني خيرت فاخترت، لو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها» قال: فصلى عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ثم انصرف، فلم يمكث إلا يسيراً، حتى نزلت الآيتان من براءة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّا تَأْتِيهِ وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: 84] قال: فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يومئذ، والله ورسوله أعلم¹ والملاحظ هنا أن الفاروق يتعجب من جرأته في النصح والمراجعة، وذلك في مقابل حلم النبي

¹ متفق عليه، واللفظ للبخاري، صحيح البخاري، كتاب: الجنائز، باب: ما يكره من الصلاة على المنافقين والاستغفار للمشركين، (97/2)، (1366). وينظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب: من فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، (1865/4)، (2400).

صلى الله عليه وسلم وسعة صدره. ومثل ذلك موقفه يوم الحديبية وعبارته الشهيرة يومها: " فلم نعطي الدنيا في ديننا"¹.

ثانياً: رفع مستوى الوعي عند الأمة

لا يقف دور القيادة عند التحلي بسعة الصدر عند سماع النصح والنقد، بل يتعداه إلى العمل المبرمج والمخطط له، والهادف لرفع مستوى وعي الأفراد ليصل به إلى مستويات مقنعة من الإيجابية التي تمنحهم القدرة والشجاعة على مراقبة القيادة، ونقدها، وتصويب مسارها. وكل ما في القرآن الكريم من معاني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأمانة الكلمة والقيام بالقسط يمكن أن يعد دعوة قرآنية للأمة لتكون عينا رقيية على أداء قيادتها. تتصح وتصوب، كجزء من التوبة الجماعية، أو العودة الجماعية إلى الذات. يقول الله عز وجل: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: 110].

و"ما جاء في أول خطبة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه عندما بوع بالخلافة قوله: "...وإنما أنا متبع ولست بمبتدع، فإن استقمت فتابعوني، وإن زغت فقوموني"². فهذا أول الخلفاء الراشدين وهو يشرح سياسته في الحكم... لا يكفي بأن يطمئنهم إلى سعة صدره لتقبل نصحهم (نقدهم)، بل يرفع من مستواهم ويطالبهم بضرورة الرقابة عليه فإن وجدوا انحرافاً قوموه. إنه بمصطلح اليوم يريد لهم جنوداً من الناقدین الذين يبادرون إلى تقويم أي خطأ، لا أنصاراً من المصقّقين لكل إنجاز، المبررين لكل ممارسة. وقريباً من ذلك ما رواه البخاري في التاريخ الكبير عن بشير بن سعد: "أن عمر قال يوماً في مجلس وحوله المهاجرون والأنصار: أرايتم لو ترخصت في بعض الأمر ما كنتم فاعلين؟ فسكتوا فعاد مرتين أو ثلاثاً، قال بشير بن سعد: لو فعلت قومناك

¹ متفق عليه، ينظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الشروط، باب: شروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، (193/3)، (2731). وينظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: صلح الحديبية في الحديبية، (1411/3)، (1785).

² الطبري، محمد بن جرير ت: 310هـ، تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، دار التراث، بيروت، (2ط)، (1387هـ)، (224/3).

تقويم القدر! قال عمر: أنتم إذا أنتم¹. فما هنا نموذج لقائد يريد اختبار صفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لدى جنوده (وبمصطلح اليوم: ملكة النقد والتقويم) فيسرّ ويطمئن بوجودها².

ومن وسائل رفع مستوى الوعي عند الأمة، رفع حساسيتها تجاه المنكر والخطأ؛ فكلما كان المجتمع حيا وحيويا كان حسه الجمعي حارسه ضد أي خلل يصيبه دون الحاجة لتدخل سلطان الدولة إلا للتنظيم والضبط. أما السلطان فيمارسه المجتمع بما لديه من أوراق الضغط الفاعلة. ويمكن ملاحظة التوجيه القرآني للمسلمين في قصة الثلاثة الذين خَلَفُوا يوم تبوك³، بالطلب من الأمة مقاطعتهم حتى امتدت هذه المقاطعة-لاحقا-إلى أرواحهم، يمكن الفهم من ذلك أن القرآن لا يرفع لدى الأمة حساسيتها من الخطأ والمنكر، ويوقظ في خلايا استشعارها كل محفزات التنبيه واليقظة فحسب، بل يدرّبها لاستخراج مكنون طاقتها وقوتها لعلاجها وتصحيحه، ويرتب على كل فرد منها دوره في عملية تطهير المجتمع وتركيبته من عوامل الضعف والخلل. كيف لا والقرآن الكريم يخبرهم عن الدمار الذي أصاب الأمم السابقة بسبب تقاعسهم عن أداء دورهم المجتمعي في علاج الخطأ. ومن ذلك وصف القرآن الكريم لبني إسرائيل أنهم: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة:79].

فالأمة لديها قوة كبيرة، ووسائل ضغط فعالة يمكن أن تستخدمها ضد من يريد خرق سفينة الأمة بحجة حرية الشخصية في أن يخرق مكانه وموضعه. وإن أسلحة المقاطعة الاقتصادية والنبذ الاجتماعي لهي بعض أدوية الأمة تجاه المرض العضال الذي يتأهب للفتك بها.

¹ البخاري، محمد بن إسماعيل ت:256هـ، التاريخ الكبير، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد-الذكن، (98/2). ورواته ثقافت وكلهم روى له البخاري في صحيحه.

² العلي، وليد، نقد المجاهدين بين الإفراط والتفريط، مقال للباحث في مركز حضارات للدراسات السياسية والاستراتيجية، (2020/5/30)، [نقد المجاهدين بين الإفراط والتفريط \(hadarat.net\)](http://hadarat.net)

³ لتفاصيل القصة ينظر -على سبيل المثال- الرواية الطويلة عن كعب بن مالك في البخاري، صحيح البخاري، كتاب: المغازي، باب: حديث كعب بن مالك وقول الله عز وجل "وعلى الثلاثة الذين خَلَفُوا" (التوبة: 118)، (3/6)، (4418).

ثالثاً: بناء وتفعيل المؤسسات للقيام بمهمة التقييم والمراجعة

يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِرِيءٍ وَوَلَّوْا رُءُوسَهُمْ إِلَى الرُّسُولِ وَالَّذِي أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ النساء: [83]. والاستنباط استخراج المستتر عن الأبصار أو القلوب¹. وهذا يعني أن مسائل الحرب والسياسة لا يدركها -بعد الرسول صلى الله عليه وسلم- إلا أولو الأمر، فهذا يعرض الأمر من الوجهة الحربية، وذلك من الجانب المالي، وآخر من وجه القضاء، فيتشاورون للخروج بالرأي². إذاً عندما تتعدد الأمور وتكون مختصة بشؤون الأمن القومي للأمة، فإن أولي الأمر من مراكز أبحاث، وهيئات متخصصة هي التي تُرَدُّ لها الأمور، وتصلها المعطيات والمعلومات، لتقدّم التوصيات اللازمة المدعمة بالأرقام والإحصاءات فتضعها بين يدي صانع القرار. وهكذا فإن من وظيفة القيادة إنشاء المؤسسات البحثية والعلمية التي تتلقى المعطيات والمعلومات، بل تبحث عنها عبر التقارير والأبحاث التي تقوم بها، ثم تقدّم توصياتها للقيادة. وجزء مهم من عمل هؤلاء (المستنبطين) هو جمع واكتشاف نقاط القوة والضعف في الأمة، وتقديم الخطط والبرامج الاستنهاضية والعلاجية لذلك.

ويمكن اعتبار نظام الحسبة في الإسلام³ نواة هيئات الرقابة المعروفة اليوم، حيث يمكن القول إن النبي صلى الله عليه وسلم أول من بذر نواة هذا الأمر، حيث "مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللاً فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟» قال أصابته السماء يا رسول الله، قال: «أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غش فليس مني»⁴، ثم استعمله صلى الله عليه وسلم سعيد بن سعيد بن العاص على سوق مكة⁵. أي لمراقبة عمليات البيع والشراء وعدم حدوث

¹ ينظر: الطبري، جامع البيان، (571/8).

² ينظر: رضا، تفسير المنار، (234/5).

³ المقصود بالحسبة ذلك النظام الذي يقوم على اكتشاف الأخطاء وإنكارها والمحاسبة عليها، أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر، حيث عرفه الإسلام على شكل نظام يتطور في صلاحياته وهياكله مع الزمن. ينظر: الأسدي، محمد علي هاشم، الحسبة هيكلها الإداري وطبيعتها القضائية، كلية الإمارات للعلوم التربوية، مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع المحكمة، (ع3)، (فبراير 2016)، (262-265).

⁴ مسلم، صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من غشنا فليس منا"، (99/1)، (102).

⁵ ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله ت: 463هـ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي الجاوي، دار الجيل، بيروت، (621/2)، (984).

مخالفات من غش واحتكار، والقضاء بين المتخاصمين في أمور التجارة فيه. ثم ما اشتهر عن الشفاء بنت عبد الله وتعيين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما لها على حبة السوق¹.

وهذا مؤشر عملي -في تقدير الباحث- على فهم المسلمين العميق لمنهج العودة إلى الذات الجماعي الذي تمارسه الأمة بمجموعها، حيث يتخذ شكل المؤسسات والنظم التي تقوم بالرقابة واكتشاف نقاط الضعف والقوة، وتقديم العلاجات اللازمة.

رابعاً: تصحيح النظرة إلى الإنسان والطبيعة والوقت

هناك قيم أساسية تتبني وتأسس عليها بقية القيم، يُطلق عليها المناظير²، وهو ما على الأمة مراعاته عند مراجعتها لنفسها، وأين موقعها من هذه القيم التأسيسية أو المناظير، ومن هذه المناظير -حسب سلطان-:

1. النظرة للإنسان: يقول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء:70]. فالآية تقرر أن التكريم هو لجنس الإنسان بمعزل عن لونه ومعتقه. وهي كرامة وجودية لم ترتبط بفعل مسبق من الإنسان، إذ كان مظهرها أمر الملائكة بالسجود له: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ [البقرة:34]. وفي ميثاق الأمم المتحدة لحقوق الإنسان: كل قيم حرية التعبير والاعتقاد والتنقل ومنع التعذيب والتجسس... الخ تقف على منظور: الكرامة الوجودية للإنسان. لذلك كانت هذه قيمة تأسيسية أو منظارا تتبني عليه قيم كثيرة. وعندما يكون الإنسان في مجتمع غريب، فماذا يحتاج أكثر من حسن المعاملة ممن حوله: الجيران والمجتمع، ثم إذا وصل القانون أن ينال حقه بالعدل، أليس هذا هو ما قرره القرآن الكريم: ﴿لَا يَنْهَدِكُمُ اللَّهُ عَنِ

¹ ينظر: ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو ت: 287هـ، الأحاد والمثاني، تحقيق: باسم الجوابرة، دار الراجعية، الرياض، (ط1)، (1411هـ-1991م)، (4/6). وينظر: ابن أبي خيثمة، أحمد أبو بكر ت: 279هـ، التاريخ الكبير المعروف بتاريخ ابن أبي خيثمة-السفر الثاني، تحقيق صلاح هلال، الفروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، (ط1)، (1427هـ-2006م)، (786/2)، (3405). وينظر: المزي، يوسف بن عبد الرحمن ت: 742هـ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط1)، (1400هـ-1980م)، (207/35).

² ينظر: سلطان، جاسم، قيم التقدم وإنسان المستقبل، محاضرة على اليوتيوب، <https://youtu.be/ISUsAbyo4tU>، وأفكار هذه الفقرة مستمدة من المحاضرة، وهذه الأفكار عرضها الدكتور جاسم في كتاب بعنوان: النسق القرآني، ولم يستطع الباحث الحصول عليه.

الَّذِينَ لَمْ يَقْتُلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِّن دِينِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَنُقَسِّطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ [المتحنة:8].

2. **النظرة للطبيعة على أنها كنز للأسرار:** فغير المسلمين عند الدول المتقدمة يرى في مصنع الكون مخزنا للأسرار يتعلم منه، والمسلمون الذين فتح القرآن آفاقهم لآيات الآفاق، ودعاهم للسير في مختبر الكون والطبيعة غافلون! ثم تحدث عن عالم غربي مكث سنوات يرقب أجنحة الذبابة ليخترع آلة تحاكي حركتها. ومعنى أن الكون مسخر للإنسان أي هو خاضع لملاكته حين يستخدم عقله ويده، وفكرة التسخير قائمة على كيفية توظيف أسرار الكون الكبرى في الفعالية الحضارية.

3. **النظرة للوقت:** في القرآن الكريم أقسم الله عز وجل بالزمن والوقت، في سورة صغيرة تحدثت عن خسارة الإنسان إلا صنفا يستثمر عمره (وقته) بالإيمان والعمل الصالح: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَّوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَّوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر:1-3]. لكن الحال عند كثير من المسلمين أن الوقت بدل أن يكون ثروة، هو عبء يفكرون كيف يتخلصون منه (فائض وقت يحتاج إهدارا كيف نتخلص منه!!!): ماذا سنفعل في العطلة؟ ماذا سنفعل بعد الدوام؟... تريد موعدا مع أحدهم فيقول لك تعال مساء أي يوم تجدني في القهوة أو الديوان أو... وغيره يفتح جدول أعماله، فيقول: أراك السنة القادمة يوم كذا الساعة كذا فإن لم تحضر بعد 5 دقائق ذهبت! ثم استشهد بمقولة مالك بن نبي عن الوقت إذ يقول إن كل المدن يجري تحتها نهر الزمن، والمدن المستيقظة هي التي تغرف من نهر الزمن¹. والأمة التي أنزل الله عليها سورة العصر ليقول لها أنها في سباق مع الزمن هي الأمة التي لا تقدر قيمة الوقت!².

¹ يشير سلطان إلى مقولة مالك بن نبي: "الزمن نهر قديم يعبر العالم منذ الأزل.. فهو يمر خلال المدن يغذي نشاطها بطاقته الأبدية، أو يذلل نومها بأشودة الساعات التي تذهب هباء؛ وهو يتدفق على السواء في أرض كل شعب ومجال كل فرد، بفيض من الساعات اليومية التي لا تغيض، ولكنه في مجال ما يصير (ثروة)، وفي مجال آخر يتحول عدما. فهو يمرق خلال الحياة، ويصب في التاريخ تلك القيم التي منحها له ما أنجز فيه من أعمال". مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عمر مسقاوي، وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، (1406هـ-1986م)، (139).

² ينظر: سلطان، جاسم، قيم التقدم وإنسان المستقبل، محاضرة على اليوتيوب، <https://youtu.be/ISUsAbyo4tU>

وإن من أولويات العودة إلى الذات أن تترن الأمة نفسها بميزان مثل هذه المناظير فترى ثقلها، ومن ثم تستدرك وتتوب وتهض.

خامساً: عرض الأنظمة والقوانين على البعد المقاصدي للتشريع:

يرى عماد الدين خليل أن الفقه المقاصدي (كالمصالح المرسله، ودرء المفاسد، وفقه الموازنات والأولويات، والفقه الحضاري، وفقه الواقع..). يمثل السقف الأعلى الذي على الأمة أن تسعى لتنزيهه في مؤسساتها وأنشطتها.¹

وإذا كان على الفرد المسلم أن يلحظ البعد المقاصدي في عباداته، فإن ثمة بعداً مقاصدياً جماعياً على الأمة أن تلحظه، ثم تعرض نفسها عليه؛ ففي صلاة الجماعة يقدم المسلمون إماماً من بينهم، يختارونه هم وفق مواصفات محددة، فهو يؤمهم ويقودهم لكن إلى القبلة التي ارتضوا، وحقه عليهم أن يتبعوه ما دام يصلي بهم الصلاة التي يعرفون، فكأنما هو العهد بينهم وبينه وشرط الطاعة أن يتبعوه وفق ما تعاهدوا عليه (فصلاة العصر لا تصبح عشرين ركعة مثلاً) إنما أوقات الصلوات وكيفية وعدد ركعاتها، كل ذلك هو العهد بينهم أن يؤمهم ويقودهم على أساسه، وهم -أثناء اتباعهم له- وطوال الوقت يراقبون أداءه، فإن نسي ذكره، وإن أخطأ قوموه فصحح خطأه فسجد للسهو، أما إن عجز عن إكمال مهمته أو كان خطؤه لا يحتمل عزله وقدموا غيره.²

وهكذا يربي الإسلام المسلمين ويدربهم في صلاة الجماعة كل يوم خمس مرات على كيفية إدارة شأنهم السياسي في اختيار حكامهم وطاعتهم متى ساروا على المنهج المرسوم، ومراقبتهم وتصحيح أخطائهم، ثم عزلهم إن لزم الأمر. فهل هذا البعد المقاصدي متمثل في الأمة؟ وكذلك ركن الزكاة

¹ ينظر: خليل، عماد الدين، دور المفكرين والمثقفين في بناء منهجية علمية للتعامل مع الأزمات، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر المحكمة، (ع100)، (صيف: 1441هـ-2020)، (13).

² ينظر: الترابي، حسن، السياسة والحكم: النظم السلطانية بين الأصول وسنن الواقع، دار الساقى، (ط1)، (2003م)، (126، 127، 274)، وقد استمع الباحث إلى الترابي في لقاء قديم له مع قناة الجزيرة الإخبارية لم يستطع الباحث الحصول عليه الآن، وفيه تحدث الترابي عن البعد المقاصدي في ركن الحج، وشعيرة رمي الجمرات، حيث يعلم الله الأمة ويدربها على تحديد عدوها المشترك والمركزي، ثم يوجهها كلها لمواجهة وفق خطة مرسومة محددة الأوقات والكيفية يشارك فيها كل فرد من الأمة بدوره، فإن لم يستطع أناب عنه سواه.

مثلاً، فإن على الأمة أن تسأل نفسها دوماً: هل حقق الغاية من تشريعه تطهيراً ونماءً للنفوس والحياة؟ وما هي خطط الأمة المؤسسية والجماعية كي تجعل هذا الركن أقرب لتحقيق غايته التي شرع من أجلها.. وهكذا.

الفصل الرابع

محفظات العودة إلى الذات ومعيقاتها في القرآن الكريم

المبحث الأول

محفزات العودة إلى الذات في القرآن الكريم

لما كانت العودة إلى الذات مطلباً قرآنياً مهماً، فإن القرآن الكريم شجع المسلمين على ممارسة هذا السلوك القويم بأساليب ومحفزات متعددة، ويمكن عرض هذه المحفزات في المطالب الثلاثة الآتية:

المطلب الأول: التقوى

حث القرآن الكريم في عشرات الآيات على التقوى وبين آثارها وفضلها، حيث وردت مادتها أكثر من 250 مرة في القرآن الكريم¹، نظراً لما تتركه في قلب صاحبها من يقظة حساسة، وعين بصيرة رقيقة، ترفع غطاء الغفلة عن ضميره؛ فلا خائنة عين، ولا مسترق سمع، ولا غائلة يد، لأن التقوى حارس القلب الذي يراقب عالم السر وأخفى، المطلع على وسوسة النفس وما تخفيه الصدور. وصدق الله العظيم: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: 7]. ويكون المرء تقياً بمقدار ما تستقر في ضميره هذه المعرفة بمعية الله ورقابته.

وكلما ازداد تزود المسلم بزداد التقوى، تقوى شعوره بمراقبة الله عز وجل له واطلاعه على عمله، وأنه صفحة مكشوفة بين يدي خالقه، ترسخ لديه الإحساس بضرورة نظره الشديد في أعماله، ومراقبته الحثيثة لعمل قلبه وسلوك جوارحه، فهو يتفقد قلبه ويراجع أعماله باستمرار، وسرعان ما ينهض إن كبا أو عثر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 201]. وهو دائم النظر في طاعاته التي يقدمها مرضاة لربه ويتساءل فيما إن كانت تليق بجلال العليم الخبير، وهو يسمع نداء ربه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: 18-19]. فلا ينسى ولا يغفل عن المراجعة والتفتيش في ظاهر عمله وباطنه.

¹ ينظر: عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (758-761).

وهكذا تعمل التقوى على دفع الإنسان لمراجعة نفسه باستمرار، والبحث في تقصيرها المستلزم توبة يُتبع معها السيئة الحسنة لمحوها، والنظر في نجاحاته والعمل على تطويرها وتجويدها والمراكمة عليها كي تصلح أن يلاقي بها خالقه الكريم سبحانه. وبهذا تكون التقوى من أكبر المحفزات التي تحفز المسلم على العودة إلى الذات.

المطلب الثاني: الإحسان في العمل وإتقانه

يرجو المسلم رحمة ربه ويطلبها دوماً، ومن أجل ذلك فهو حريص على أن يكون من المحسنين. قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:56]. والإحسان يدعو المسلم لأن يتقن عمله ويجوده، ذلك أنه يعلم يقيناً أن الله عز وجل يراه¹. قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إن الله عز وجل كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته"².

وإن إتقان العمل -عمل القلب والجوارح- والتأكد من صحته وجودته يستلزم النظر الحثيث فيه قبل إتيانه، ثم مراقبته أثناء أدائه، ثم ملاحظة نتائجه ومآلاته بعد أدائه، وكل تلك العملية تحتاج إلى مراجعة حثيثة للنفس، وعودة متيقظة إلى الذات تفتش عن كل ذلك، نقصه وعيوبه، عثراته وكبواته، كي تصحح وتستدرك. كما تفتش عن نقاط القوة لاستثمارها وتقويتها والبناء عليها. وبالنسبة لاستثمار نقاط القوة لاحظ الباحث أن الهدي النبوي التربوي يقوم على تفحص مواهب أصحابه وقدراتهم (أي نقاط قوتهم) ثم يوظفها ويصقلها ويطورها في أتون العمل؛ فقدرات خالد بن الوليد العسكرية كانت محل اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم في أيام إسلامه الأولى، حيث ظل يؤمره في الغزوات والمعارك على كبار الصحابة الذين أسلموا قبله، بل إنه حتى عندما أخطأ في

¹ في حديث عمر المتفق عليه عرف النبي صلى الله عليه وسلم الإحسان لجبريل عليه السلام بقوله: "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك" ينظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، (19/1)، (50). وينظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، (36/1)، (8).

² رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني، ينظر: ابن حنبل، مسند أحمد، باب حديث شداد بن أوس، (28/337-336) (17113). وينظر: الترمذي، سنن الترمذي، أبواب الديات، باب ما جاء في النهي عن المثلة، (23/4)، (1409).

قصة قتل أسرى بني جذيمة قال: "اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد"¹ ودفع ديبتهم، ولم يعزله عن قيادة الجند. وعندما لاحظ قوة ذاكرة أبي هريرة في الحفظ طلب منه ملازمته لحفظ الحديث وروايته. ودعا لابن عباس بأن يفقهه في الدين ويعلمه الله التأويل² لما رأى نبوغه ونباهته. وهذا الهدى النبوي التربوي الكريم يعلمنا أن علينا -حين نعود إلى ذواتنا- ملاحظة نقاط قوتنا ومواهبنا لاستثمارها وتطويرها. وهذا جزء من الإتقان الذي يقودنا إلى الإحسان.

المطلب الثالث: الأثر الذي تتركه المراجعات القرآنية للنبي صلى الله عليه وسلم والصحابة بعد الأحداث

كان يمكن للوحي العليم الخبير وهو يوجّه خطى النبي صلى الله عليه وسلم نحو إقامة المشروع الإسلامي، كان يمكنه أن ينبه المسلمين قبل كل محطة ويصوب آراءهم الخاطئة قبل أن يخطئوا بالفعل، لكن الله عز وجل تركهم يفكرون ويخططون ويجتهدون وهو يعلم أنهم سيخطئون، حتى إذا ما خاضوا غمار التجربة وأخطئوا -كما هو في سابق علم الله- استدرك عليهم ونبههم، وراجعهم وبين لهم الصواب. إن الله عز وجل يتركهم إلى فعلهم البشري الذي يعتره النقص والخلل فيقع المحذور، ويكون الفشل، فيدفعوا الثمن آلاما وقرحا وشهداء، فضلا عن الهم والغم النفسيين، ثم ينتزل القرآن لينبهم إلى مواطن الخلل والقصور ويعاتبهم ويصحح لهم ويستدرك عليهم. فضلا عن تعقيب الوحي على اجتهادات النبي -صلى الله عليه وسلم- في أكثر من مرة.

¹ والحديث كما رواه البخاري في صحيحه: "بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فجعلوا يقولون: صباأنا صباأنا، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر، ودفع إلى كل رجل منا أسيره، حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره [ص:161]، فقلت: والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره، حتى قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم فذكرناه، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يده فقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد مرتين». كتاب: المغازي، باب: بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني جذيمة (160/5)، (4339).

² ينظر: ابن حنبل، مسند أحمد، مسند عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، (225/4)، (2397)، وقال المحقق: إسناده قوي على شرط مسلم، ورجاله ثقات رجال الشيخين إلا عبد الله بن عثمان فمن رجال مسلم فقط. وقد رواه البخاري ومسلم دون زيادة علمه التأويل. ينظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب: باب: وضع الماء عند الخلاء، (41/1)، (143). وينظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب فضائل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. (1927/4)، (2477).

ومن ذلك:

1- يوم حنين وما دب في نفوس بعض الصحابة من العجب.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۗ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ۗ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 25-27].

حيث اجتمع مع المسلمين اثنا عشر ألفا من المقاتلين، كما لم يجمع لهم من قبل، فقالوا: لن نهزم اليوم من قلة، مما أدى لاغترارهم واطمئنانهم لقوتهم وتقريطهم في أخذ الاحتياطات اللازمة، كشأن ما يفعله الغرور بالمرء فيجعله يفرط في الأسباب مما يسبب له الفشل. وهذا ما حدث مع المسلمين، حيث فاجأتهم هوازن وكمنت لهم، ورمتهم بالنبل على حين غرة، فولوا مدبرين إلا النبي صلى الله عليه وسلم ونفرا ممن معه، فناداهم فعادوا ثم نصرهم الله¹.

2- حادثة الإفك، وزعزعة المجتمع المسلم بما رميت به أم المؤمنين - عليها السلام -.

حيث تنزلت آيات القرآن تراجع الصحابة بعد هذا الحدث الجلل، وابتدأت بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لِّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۗ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: 11].² فكان من خيرها - رغم كل تلك الآلام - هذا التأسيس للمنهج التربوي الإداري القرآني الذي يعيد الأمة إلى ذاتها بعد كل حدث؛ فيراجع كل فرد نفسه وأداءها، كما يراجع المجتمع والأمة كلها أداءهم بتوبة جماعية تلاحظ الفعل الجماعي وتقومه، متعلمة من دروسه المرعبة، وواضعة الآليات الإدارية والجماعية التي تحول دون تكرار الأخطاء السابقة، كما تشيد بالممارسات الصحيحة لمراكمة ظواهرها والبناء عليها.

¹ ينظر: الواقدي، محمد بن عمر ت: 207هـ، المغازي، تحقيق مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت، (ط3)، (1409هـ - 1989م)، (885/3-889). وينظر: ابن هشام، السيرة النبوية لابن هشام، (2/437-444).

² سورة النور: 11-25، ولتفاصيل الحادثة كما روتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ينظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الشهادات، باب: تعديل النساء بعضهن بعضا، (3/173)، (2661). وقد كرر الحديث في أبواب عديدة غير هذا.

وفي شأن النبي صلى الله عليه وسلم هناك حادثتا عبوسه في وجه الأعمى¹، وعفوه عن أسرى المشركين في بدر مقابل الفدية². وفي كلتا المراجعتين دروس تربوية قرآنية تحت المسلم وتحفزه، على اعتبار أن المراجعات كانت مع حبيب الحق وسيد الخلق صلى الله عليه وسلم، فأى شخص أو كيان يمكن أن يرى نفسه فوق المراجعات بعد ذلك؟

وهذه المراجعات القرآنية للصحابة عليهم رضوان الله، وللنبي صلى الله عليه وسلم تؤسس في تصوّر المسلم أهمية مراجعة النفس، والعودة إلى الذات بعد كل حادث وموقف. وهي دروس مربية تعلم المسلم أن ينتهج هذا النهج وتحفزه وتشجعه على ذلك.

المطلب الرابع: بيان الأجر العظيم للعودة إلى الذات

يمكن اعتبار كل ما ورد من آيات في الدعوة إلى التوبة والاستغفار وتزكية النفس والحث عليها، وبيان بركتها الدنيوية وأجرها الأخروي، يمكن اعتبار جميع ذلك تحفيزا قرآنيا للمسلم لكي يعود إلى ذاته، ولكن بالمفهوم الذي أشار إليه الباحث عودة شاملة متكاملة يراجع فيها علاقته مع الخالق سبحانه وتعالى، ومع الناس سلما وحربا، ومع الكون تسخييرا واكتشافا. كما أنها تحفيز للأمة كلها كذلك لتمارس العودة الجماعية إلى الذات وفق ما تمت الإشارة إليه سابقا.

وهذه بعض الآيات القرآنية التي تحفز الفرد والجماعة للعودة إلى الذات.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:222]. وإن ربط كثرة التوبة، وبتعبير الباحث كثرة العودة إلى الذات ومراجعتها والتنقيش عن نقاط قوتها للمراكمة، ونقاط ضعفها للتصحيح والاستدراك، في المجال الفردي والجماعي، إن ربط كثرة ذلك بمحبة الله عز وجل -وهي غاية المسلم ومناه- لهو من أكبر المحفزات على اتخاذ العودة إلى الذات نهجا يعتاده المسلم، وتنتهجه الأمة.

¹ وفي هذه الحادثة نزلت مطالع سورة عبس، ينظر: الطبري، جامع البيان، (217/24).

² حيث نزل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّىٰ يُبْحَثَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [٧٧] لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧٨﴾ فَكُلُوا مِنَّمَا عَنَّمْتُمْ حَلَائِلًا طَبِيبًا وَأَنْفُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿[الأنفال:67-69].

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ۗ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: 26-28]. وأي تحفيز للفرد والجماعة يحببهم في العودة إلى الذات أكبر من أن يخاطبهم خالقهم الكريم الرحيم فيقول لهم: لقد خلقتكم ضعفاء، فأنا العليم الخبير بضعفكم وقصوركم، أعلم أنكم ستخطئون وتتعثرون في الطريق، لكن هذا ليس النهاية، إنها البداية لتنهضوا فتصبحوا أكثر قوة وقد تعلمتم من كبوتكم؟ هيا عودوا إلى ذواتكم واكتشفوا جوانب الخلل والقصور، فإني أريد وأحب أن أتجاوز عنكم ما كان من أخطاء وكبوات. فقط انهضوا وتعلموا من الدرس، وستجدون ربا رحيفا كريما يأخذ بأيديكم، ويربت على آلام عثراتكم، وأحزان كبواتكم لتعودوا أقوى مما كنتم عليه.

وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: 70]. وهكذا يتجلى الكرم الإلهي الذي لا حد له؛ فإن أولئك الذين أتبعوا السيئة الحسنة، توبة وإيمان وعملا صالحا بعدها يمحو عمل السوء قبلها، إن جزاء أولئك لا محو سيئاتهم فحسب، بل تبديلها حسنات! فأى تحفيز على الاستدراك والتصحيح بهدف الرقي والارتقاء أكبر من ذلك؟ إنها دعوة لتبديل سيئة التخلف بحسنة العلم، وسيئة الهزيمة بحسنة النصر، وسيئة المرض بحسنة الصحة، وسيئة الفقر بحسنة الغنى، وسيئة الكسل بحسنة الجد والاجتهاد، وسيئة التواكل بحسنة التوكل.. فيكون جزاء هذه التوبة (العودة إلى الذات) تبديل السيئات إلى حسنات، جزاء تبديل الكبوة بالنهوض، والعثرة بالانطلاق. وكان الله غفورا رحيفا كريما جوادا سبحانه وتعالى.

أما فيما يشير إلى ربط المغفرة بالنهوض بعد الكبوة، والقيام بعد العثرة، توبة إلى الله وعودة إلى الذات تكون نتيجتها تصحيح المسار، فيمكن فهم ذلك من مثل قوله سبحانه: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: 82]. فالتوبة المغفورة هنا هي المتبوعة بالعمل

الصالح الذي يحو أثر العمل السيئ، وهو عمل من جنسه كاستبدال الثناء بالغبية¹ لمن اغتبهته، والإحسان بالإساءة لمن أسأت إليه، واستبدال النجاح بالفشل.. وهكذا.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:146]. فالتزكية إحدى منن الله على عباده ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم لهم ليزكيهم ويعلمهم هذه التزكية وسواها.

وفي أجر التزكية وفضلها قال تعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِ مَوْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه:75-76].

وفي الحث عليها قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى:14].

وفي تبيان أن التزكية عمل، أو يتبعها عمل، فهي حسنة تمحو سيئة، قال تعالى: ﴿حُذِّمْنَ أَمْوَالُهُمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَيُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:103]. فالتزكية بالصدقة، إشارة إلى أن العمل هو النتيجة المأمولة من التزكية التي هي مراجعة للنفس وعودة إلى الذات ومعالجة للخلل. وهذا ما يعبر عنه بدقة تسمية فريضة الزكاة بهذا الاسم الجامع المعبر.

وبهذا العرض السريع لمجموعة من الآيات الكريمة التي تحدثت عن التوبة والاستغفار والتزكية: حثا وبيان فضل وأجر، وربط بالعمل، يظهر للمتدبر لكلام ربه مؤشر هام على الطريقة القرآنية الفريدة في تحفيز الفرد والجماعة للتخلق بخلق العودة إلى الذات في كل المحطات.

المطلب الخامس: ضرب المثل الأعلى للسابقين بمراجعاتهم لأخطائهم

قال تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّاجِدُونَ الرَّكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ

¹ من الأخطاء اللغوية الشائعة عكس مثل هذه الجمل فيقال استبدال الغيبة بالثناء، واستبدال الفشل بالنجاح.. وهذا خطأ، فالمتروك هو الذي يأتي بعد حرف الباء، كقوله تعالى: ﴿قَالَ اسْتَبْدَلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة:61]. فهم تركوا الخير وأخذوا الأدنى، فأنكر القرآن عليهم ذلك.

الْمُؤْمِنِينَ ﴿التوبة:112﴾. فالتوبة أول صفات هؤلاء الصالحين السابقين، فهم يمارسون التوبة (العودة إلى الذات) ويتخلقون بها، كما يمارسون العبادة والذكر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:201]. فسرعة العودة إلى الذات وتصحيح الخطأ بإعادة مسار العمل الصالح إلى الطريق المستقيم وقد انحرف نحو السبل، هو صفة المتقين ونهجمهم.

وقال تعالى في وصف المتقين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ اللَّهُ لَن يَكُنَّ الْإِلَٰهَ وَلَمَّا يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:135].

وقال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿١٦٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٦٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:146-148]. فهؤلاء أتباع الأنبياء من الربيين وهم الجماعات الكثيرة أو العلماء والفقهاء والأتقياء..¹ فهؤلاء بعد كل هذا الجهاد والصبر والطاعات العظيمة، ما كان خلقهم إلا الاستغفار والعودة إلى الذات، يفتشون في ما قدموا من عمل فيزنونه بميزان جلال الله العظيم الذي سيعرض عليه فيجدونه قليلا فيستغفرون. وفي هذا المشهد اللافت من الربيين إشارة إلى العودة إلى الذات بعد النجاح، ولفت لانتباه الفرد والجماعة أن خلق العودة إلى الذات هو خلق يرافقهم في كل حالة وفي كل مشهد. لا وقت للإخفاق والتعثر فحسب.

وبهذا المطلب ينتهي هذا المبحث الذي جمع الإشارات القرآنية المحفزة على العودة إلى الذات بعد النجاح أو الفشل، وفي الجانب الفردي، والجانب الجماعي.

¹ ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (7/265-269).

المبحث الثاني

معيقات العودة إلى الذات وعلاجها في القرآن الكريم

يقف في طريق العودة إلى الذات، أو أمام تحقيقها لنتائجها المرجوة والمأمولة من تصحيح الأخطاء، وتطوير القدرات، عدة عوامل سيحاول الباحث إجمالها في هذه المطالب الآتية:

المطلب الأول: العجب والكبر

ذم القرآن الكريم هاتين الخصلتين الذميتين كثيرا، ومن ذلك، قوله سبحانه في مشهد إبليس اللعين يوم ردّ الأمر على الأمر، تكبرا واستعلاء، فقال تعالى في وصفه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:34].

أما العجب ففي إطار ذمه ورد قول الله عز وجل عن حال المؤمنين يوم حنين، فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة:25].

وكثيرا ما يكون الكبر مرحلة لاحقة للعجب، لذلك فإن الحديث عن الكبر يشمل كليهما -على الأغلب-؛ فكل متكبر معجب بنفسه -غالبا- ولا يشترط بالمعجب بنفسه أن يكون متكبرا على سواه.

والكبر مرض نفسي يضخم ذات المرء في عينه فيراها فوق الآخرين، وهو مرض يستدعي العلاج، لا ذنب يكفيه الاستغفار، وهذا يظهر بعض خطورته. ومن أكبر آفاته أنه يسبب كثيرا من العيوب والأمراض، كل واحد منها يستدعي علاجاً ومداواة! قال ابن القيم: "قالفخر والبطر والأشر والعجب والحسد والبغي والخيلاء والقسوة والتجبر والإعراض وإباء قبول النصيحة والاستئثار وطلب العلو وحب الجاه والرئاسة وأن يحمد بما لم يفعل وأمثال ذلك كلها ناشئة عن الكبر"¹.

¹ ابن قيم الجوزية، محمد ت: 751هـ، الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط2)، (1393هـ-1973م)، (143).

ويقرر القرآن الكريم في آيات عدة أن الكبر مانع للمرء من قبول الحق ابتداءً، أو جوده بعد اليقين به انتهاءً، كما أنه يقود المرء للإصرار على الضلال، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال الآيات الآتية:

- قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَيِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: 21]. فهؤلاء قوم حال الكبر بينهم وبين رؤية الحق المتمثل بصدق النبوة وصدق الرسالة. "لقد عظم شأنهم في نظر أنفسهم، فاستكبروا وطغوا طغيانا كبيرا. لقد تضخم شعورهم بأنفسهم حتى شغلهم عن تقدير القيم الحقيقية ووزنها وزنا صحيحا... حتى ليحسبونهم شيئا عظيما في هذا الكون يستحق أن يظهر لهم الله جل جلاله ليؤمنوا ويصدقوا"¹.

- وقال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: 14]. وهكذا يقود العلو والكبر صاحبه للجحود بعد أن يرى الحق وتوقن به نفسه².

- وقال تعالى واصفا حال الكبر كيف يقود صاحبه إلى الإصرار على الباطل والضلال، فقال سبحانه عن قوم نوح عليه السلام: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْدِعُهُمْ فِي عَادَتِهِمْ وَأَسْتَعَسُوا خِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا وَسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: 7].

غير أن أخطر أثر -حسب رأي الباحث- يتركه الكبر على صاحبه، هو تيسيره للعسرى من قبل الله عز وجل، وصرفه عن رؤية الحق، ووكله لنفسه دون معية أو لطف وتوفيق كي يكون الغي سبيله، فما أرداه من حال لا يرجى معه شفاء! قال الله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعُغْيِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: 146]. فهؤلاء الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق سيصرف الله عنهم أدلته وأعلامه على حقيقة أوامره وفرائضه فلا يفهمونها. وهم عن الاعتبار بها مصروفون، وإن كل

¹ قطب، في ظلال القرآن، (2558/5).

² ينظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (223/10).

الآيات والدلائل والشواهد التي يراها سواهم فيهتدي بها، إنها لن تنفعهم فلن يؤمنوا بها، ولن يصدقوا بدلائلها الواضحة، بل سيتبعون كل سبيل باطل وضال يحسبون فيه خيرهم وهو هلاكهم وشقاؤهم المحتوم¹. وهذا شبيهه بقول الله سبحانه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: 14]. لكنه في آية الأعراف أخص بالمستكبرين.

ومما تقدم من آيات قرآنية تبين كيف أن الكبر يحول بين المرء ورؤية الحق ابتداء، ثم يمنعه من الإذعان به إن هو استيقنه في نفسه، ثم يجعله يصر على طريق الضلال، لتكون نتيجة هذا المسلسل من الانهيار أن يقفل الله عز وجل في سبيله منافذ الإدراك وإمكانية الاهتداء فيصرف عن قلبه رؤية الحق الذي أمام ناظريه، فلا يسلك طريق الرشداً أبداً، بل يُيسّر للعسرى فلا يسلك إلا سبيل الغي الذي يردبه ويقوده نحو الهلاك المحتوم والعياذ بالله.

وإن متكبراً كهذا حال الكبر بينه وبين الحق كما تقدم، كيف له أن يراجع نفسه ويقف معها وقفة صدق يصحح فيها ويقوم؟ بل إنه حتى إن عاد إلى ذاته فإنها عودة لن تنفعه، لأنه لو اكتشف الخطأ فلن يبتعد عنه لأن الكبر يحول بينه وبين أن يذعن للحق ويعترف بالخطأ، فلن تكون النهاية إلا شقاء لا يجدي معه ندم والعياذ بالله.

المطلب الثاني: الهوى

خلق الله عز وجل النفس طلابة لهواها²، وتريد الحصول على رغباتها بأي ثمن، فهي محل الشهوات والأهواء. لكن القلب هو السيد وهو صاحب القرار بالرفض الذي مع التكرار سيؤثر على

¹ ينظر: الطبري، جامع البيان، (113/13، 114).

² إن هذه الأماني والرغبات - ما بقيت في دائرة النفس - ليست إثماً، وإنما الخطورة أن يقتنع القلب بها فيحولها إلى نية فسلوك، ومن الأدلة على ذلك ما رواه أبو هريرة قال: جاء ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: «وقد وجدتموه؟» قالوا: نعم، قال: «ذاك صريح الإيمان». مسلم، صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، (119/1)، (132). فالحديث يشير إلى أحاديث نفس لكن القلب يأبأها وينكرها، والنبي صلى الله عليه وسلم يفسر ذلك بأنه صريح الإيمان؛ فالنفس إذاً تتنمى وتشتهي وتطلب، وهكذا خلقها الله عز وجل، لكن المؤاخذه والمسؤولية إنما تبدأ من القلب وعالم النية وما بعدها، أما قبل ذلك من أمان وأحاديث نفس فلا.

هذه النفس ويهذبها، أو بالقبول الذي سيجعلها تتماهى في طلباتها التي لا تشبع¹. ومن التصوير القرآني البليغ البديع الذي يصف هذه المرادة بين نفس تضغط لتحقيق هواها، وقلب يتردد بين الممانعة والاستجابة حتى ينهار أخيراً تحت ضغط هوى نفسه، قوله سبحانه في تصوير ابن آدم قاتل أخيه، إذ قال سبحانه: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخٰسِرِينَ﴾ [المائدة:30]. أي شجعت فإطاعها وانقاد لها². وإن هذه الكلمة تدل على تدرج وتكرار في حمل الفطرة على طاعة الحسد الداعي إلى القتل؛ كتذليل الفرس والبعير الصعب، فهي تمثل -لمن يفهمها- ولد آدم الذي زين له حسده لأخيه قتله، وهو بين إقدام وإحجام، يفكر في كل كلمة من كلمات أخيه الحكيمية، فيجد في كل منها صارفاً له عن الجريمة، يدعم ويؤيد ما في الفطرة من صوارف العقل والقرابة والهيبة، فكر³ الحسد من نفسه الأمانة على كل صارف في نفسه اللوامة، فلا يزالان يتنازعان ويتجادبان حتى يغلب الحسد كلا منها ويجذبه إلى الطاعة، فإطاعة صوارف الفطرة وصوارف الموعظة لداعي الحسد هو التطوع الذي عناه الله تعالى. فلما تم كل ذلك قتله... فالتطوع لا بد فيه من التكرار كتذليل الحيوان الصعب، وتعليم الصناعة أو العلم، وقد يكون التكرار لأجل إطاعة مانع أو صارف واحد، وقد يكون لإطاعة عدة صوارف وموانع، وأقرب الألفاظ التي قيلت إلى هذا المعنى كلمة "التشجيع" المأثورة، فهي تدل على أنه كان يهاب قتل أخيه، وتجنبت فطرته دونه، فما زالت نفسه الأمانة بالسوء تشجعه عليه حتى تجرأ وقتل عقب التطوع بلا تفكير ولا تدبير للعاقبة⁴.

¹ يمكن فهم هذا المعنى من قوله صلى الله عليه وسلم: "تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا، فأى قلب أشربها، نكت فيه نكتة سوداء، وأى قلب أنكرها، نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مريدا كالكوز، مجخيا لا يعرف معروفا، ولا ينكر منكرا، إلا ما أشرب من هواه". مسلم، صحيح مسلم، كتاب: باب: بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، (128/1)، (144).

² ينظر: الطبري، جامع البيان، (220/10).

³ هكذا في التفسير، وأظنها: فكرٌ بمعنى هجم، وسيطر، حسب السياق.

⁴ رضا، تفسير المنار، (285-286/6).

وقريب من لفظ التطويع لفظ التسويل. قال تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾ [يوسف:18]. قال ابن عاشور: "والتسويل: التسهيل وتزيين النفس ما تحرص على حصوله"¹.

وفي هذين المثليين القرآنيين يصور القرآن الكريم أثر هوى النفس الغلاب على المرء حتى يجعله - استجابة لتحقيق شهوتها وهواها - يخالف فطرته وطبيعته، ويتنكر لأبسط معاني الإنسانية فيقتل أخاه البريء أو يلقيه إلى مهاوي الردى، والتعبير بلفظي التطويع والتسويل لهو أبلغ وصف تصويري لحالة الصراع بين عقل يريد الحق ويأبى الخطأ، وهوى دافع لارتكاب الجريمة والإصرار عليها.

إن العقل السليم ليدفع المرء للعودة إلى ذاته والوقوف مع نفسه في جرد حساب يقوم فيه مساره، لكن هناك هوى مانعا يلح عليه ألا حاجة لذلك فأنت تتنعم بالملذات والخيرات وأنت على خير، فإذا ما غالب هوى نفسه التي لا يحب أن يُرفض لها طلب وتخشى أن تؤدي عملية العودة إلى الذات إلى التضيق على هوى النفس وأمانيتها فتحاول منع هذه العودة ابتداءً، فإن غاب المرء هوى نفسه وعاد إلى ذاته يفتش فيها عما يضر وينفع، فإن النفس استجابة لهواها تلجأ إلى الخطة التالية بأن تفرغ هذه العودة إلى الذات من محتواها فترده على عقبه من جديد، وتتكسه على رأسه كما كان.

ولقد صور القرآن الكريم مثل هذا المشهد الموحى بهذا الصراع النفسي بين حقائق من الحق والمنطق تفرض نفسها على العقل ليعيد حساباته ويكتشف خطأ مسيره، وكارثية مساره، وهوى نفس يأبى إلا أن يظل منغمسا في الشهوة والمتاع دون رادع من دين أو عقل. وهذا المشهد التصويري القرآني كان لحالة قوم إبراهيم عليه السلام معه وقد دمغتهم حجته القاطعة فأعادتهم إلى الذات ليكتشفوا بسهولة كم كانوا خاطئين طوال الوقت، لكن عين الهوى العمياء أبت عليهم إلا أن يطمسوا بصائرهم ويظلوا منقادين إلى سلطان الهوى القاتل. قال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ (٥٨) ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥٩) ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ (٦٠) ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ (٦١) ﴿قَالُوا ءَأَنْتَ

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، (238/12).

فَعَلَّتْ هَذَا بِعَالِهَتِنَا يَتَابِرْهِمُ ﴿٦٤﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ وَكَيْرُهُمْ هَذَا فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾
 فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا
 هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٨﴾
 أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
 فَاعِلِينَ ﴿٧٠﴾ [الأنبياء: 58-68]. لقد رجعوا إلى أنفسهم وعادوا إلى ذواتهم فاكتشفوا خطأ ما كانوا
 عليه، لكنهم نكسوا على رؤوسهم من جديد بدافع الهوى، ومن "رجعة إلى النفوس إلى نكسة على
 الرؤوس" ¹ بدل الهوى أحوالهم.

"والنكس: قلب أعلى الشيء أسفله وأسفله أعلاه" ² وبني للمجهول أي ناكسا نكسهم، لكنه لم يكن ثمة
 إلا أنفسهم، وهو تعبير موحٍ عن تبدل حالهم من الإذعان للحق والاعتراف به، إلى الانقلاب عليه،
 كما يقبل رأس المرء أسفله وقدماه أعلاه! ³ والشاهد على أن الهوى هو الذي سبب هذا النكس على
 الرأس هو لفظ النكس نفسه، فإنه لا شيء يقبل الحقيقة رأساً على عقب، ولا شيء يطمس على
 العقول فيضلها عن اتباع ما أيقنت بصوابه إلا عين الهوى العمياء التي تضغط لإبقاء صاحبها في
 مرتع الشهوات والرغائب دون رادع من دين أو حارس من عقل.

وفيما رواه ابن أبي حاتم بسنده في تفسيره عن أبي جهل قوله: "والله إني لأعلم إنه لنبي، ولكن متى
 كنا لبني عبد مناف تبعاً" ⁴ وهو ما أكدته حادثة أخرى رواها ابن هشام في سيرته عن حوار لأبي
 جهل مع الأحنس بن شريق وقد التقيا وهما يسترقان السمع على قراءة النبي صلى الله عليه وسلم
 للقرآن ليلاً فقال أبو جهل: "تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا،
 وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحازينا على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من

¹ قطب، في ظلال القرآن، (2387/4)

² ابن عاشور، التحرير والتنوير، (103/17)

³ ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، (103/17). وينظر: الزمخشري، الكشاف، (125/3). وينظر: الخطيب، التفسير
 القرآني للقرآن، (916/9).

⁴ ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد ت: 327هـ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد الطيب، مكتبة
 مصطفى نزار الباز-المملكة العربية السعودية، (ط3)، (1419هـ)، (1283/4)، (7238).

السماء؛ فمتى ندرك مثل هذه، والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقها¹ إن في هذا الموقف الصريح من أبي جهل في إقراره بمعرفة الحق ثم إصراره على عدم الإذعان له بما برره من تنازع الشرف مع بني عبد مناف، لهو دليل ما ذهب إليه الباحث من كون الهوى مانعاً من العودة إلى الذات ابتداء لاكتشاف أخطائها أو تصحيحها، ثم هو مانع لها من أن تحقق نتائجها المأمولة فيما لو تمت هذه العودة. وهكذا يظهر الهوى كأحد أكبر المعوقات التي تحول دون العودة على الذات أو تمكين هذه العودة من تحقيق النتائج المأمولة منها.

المطلب الثالث: ثقل الموروث وصنمية الآباء

يقصد الباحث من هذا العنوان أن المرء يتأثر بما يرثه من مفاهيم وقيم وقناعات من أسرته، أو قبيلته، أو حزبه، أو بني قومه، ثم تصبح هذه المفاهيم جزءاً من كيانه وشخصيته وكيونته فيصعب عليه التخلي عنها لاحقاً فيما لو اكتشف خطأها، ومن هنا فإنها تشكل عليه ثقلاً، وحوله طوقاً يصعب عليه الفكاك منه. والآبائية الموروثة أو الثقل الثقافي القيمي الموروث من الآباء والأجداد ليس شراً كلُّه، كما أنه ليس خيراً كله؛ بل هو كأى إنتاج بشري تعتريه النسبية في الصواب والخطأ، بل حتى الصواب منه قد يكون صواباً لعصر الآباء ولا يناسب عصر الأبناء، ومن ثم فإن القرآن الكريم، وقد رأى تحجر الناس عند موروثات الآباء والأجداد دون استعداد للنظر والتمحيص، دعاهم للنظر والتأمل والتمحيص في ميراث الأجداد القديم ومقارنته بالأفكار الجديدة فأيهما كان أهدى وأصلح اتبعوه، فكانت دعوته لاتباع الأصلح في غير قطيعة مع هذا التراث الموروث الذي يمكن أخذ كل ما هو صالح ومناسب فيه. ويمكن أن يجد المرء هذا المعنى في مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الزخرف: 22-23]. والقصد من الاستفهام استدعاؤهم للنظر والتدبر والموازنة بين القديم الموروث والجديد المعروض واتباع أهداهما وأحسنه².

¹ ابن هشام، عبد الملك ت: 213هـ، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق طه سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، (276/1).

² ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (190/25).

وشن القرآن حملة شعواء على التحجر الفكري عند صنمية الآباء، ورفض الإصغاء أو التفكير والموازنة والمراجعة لهذا الموروث، واعتبره حاجبا عن سماع الحق والإيمان به، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنبياء: 52-53]. وما أبلغ هذا التعبير القرآني عن انعدام شخصياتهم، وتحجر تفكيرهم؛ إنهم لم يجيبوا على السؤال بمحاولة تعداد منافع هذه العبادة، بل عدوا أنفسهم مجرد آلات ومحركات يحركها الموروث الأبائي دون أدنى رأي أو إرادة أو نظر! فأى مسخ لإنسانية الإنسان أكبر من ذلك؟

وضرب المثل الأعلى للصالحين الذين تحرروا من ثقل الموروث الأبائي واستخدموا عقولهم لتمحيصه قبولا أو رفضا، ومقارنته بالجديد، واتباع الأصلح والأصوب، وذلك مثل قوله سبحانه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [الممتحنة: 4].

ومما تقدم يبدو ظاهرا كيف يعمل الموروث الأبائي كمحرك وموجه لسلوك صاحبه جاعلا منه أداة لا إرادة لها، إنما شأنها التقليد والاتباع دون أعمال للعقل، أو محاولة للنظر في السلوك بهدف مراجعته وتقييمه.

وفي هذه الفقرة سيحاول الباحث الإشارة إلى الأثر السلبي لهذا العائق على الجانب الجماعي من العودة إلى الذات، لتوسيع المدارك باتجاه خطورة الانحباس في إطار هذا الموروث على مجموع الأمة بعد أن تبين خطره على الفرد.

إن الارتهان للموروث الأبائي دون تمحيص نفعه من ضاره، وجيده من سقيمه، يشكل حالة مرضية للأمة تنتقلها من الولاء للأفكار، إلى الارتداد للتمحور والولاء للأشخاص. وذلك بخلاف منهج القرآن الذي يعلي من قيمة الفكرة والانضواء تحت لوائها والانتصار لها على حساب الشخص مهما كانت مكانته¹. ويبدأ دوران الأفكار في فلك الأشخاص، وتعدو قيم العصبية على

¹ كما تمت الإشارة سابقا لمراجعات القرآن للنبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام عليهم رضوان الله.

أفكار الرسالة فتحيلها إلى أدوات في خدمة الأشخاص، ومن مظاهر ذلك الباكورة في تاريخ الأمة، اختفاء الخلافة الراشدة القائمة على فكرة الشورى، لصالح الملك الجبري الذي يعظم مكانة الشخص والقبيلة والأسرة على حساب الفكرة. ثم يستمر التراجع بحلول الفقه العرفي الذي يؤول آيات الكتاب في ضوء أعراف القوم (إذ التمحوّر حول الأشخاص والولاء لهم)، محل الفقه السنني المستبصر بآيات الوحي في قراءة السنن الاجتماعية والكونية. ومع نمو الفقه العرفي على حساب الفقه السنني في الأمة ينحصر الفقه الاجتماعي والسياسي لصالح تضخم فقه العبادات والشعائر¹، وتتبدّل المفاهيم، فيتحول الصبر إلى خنوع، والعزة إلى بغي، والجهر بالحق إلى دعوة للفتنة تريد شق الصف.. وهكذا. ثم يتبدل سلم القيم فتغدو القوة فوق الفكرة، ويسود فقه المتغلب وما يتفرع عنه.. في سلسلة متوالية من الأمراض والتراجعات تفتك بجسد الأمة التي عظمت الأشخاص على حساب الأفكار والمبادئ.² ويصيب العطل مصفاة الأمة الفكرية فلا تفرق بين تقدير الموروث وتقديس الموروث، فالأول يعرضه على ميزان الحق فيقبل أو يرفض دون الانتقاص من قيمته أو التقليل من قدر صانعيه، والثاني يجمد عند الماضي مقدسا ومضفيا عليه العصمة مما يفصله عن الواقع ويعيشه مأسورا في الماضي، الأمر الذي يسلبه إمكانية الفعل الحضاري والتأثير اللازم في محيطه تحقيقا لمهمة الاستخلاف.

ومن ثم فإن عدم تصحيح هذا الخلل المفاهيمي في عقول الأجيال سينشئها مقدسة للموروث الأبائي، بآثاره التي تقدم بعضها، مما يشكل عائقا كبيرا أمام العودة الجماعية إلى الذات، فلا يسمح للأمة التي تدور في فلك أشخاصها ومصالحهم من أية مراجعات، ومن أية عودة للذات فاعلة، إذ نتيجتها المعروفة تصحيح الخلل، وهو ما سيهدد مصالح الأشخاص، الذين سيسعون للحيلولة دون هذه العودة، أو تفرغها من مضمونها لتتنشغل بمعالجة الشأن الخاص دون الانتقال إلى معالجة الشأن العام، الذي تهدد معالجته مصالح الأشخاص.

¹ هناك وجهة نظر أخرى تقول: إن تركيز السلف على فقه العبادات جاء لكونه شبه ثابت، فيما أن الفقه السياسي متغير، فلو كتب فيه لما نفع إلا أهل عصره، لذلك طبقوه عملا ولم يكتبوا فيه لأنه متغير.

² ينظر: الكيلاني، أهداف التربية الإسلامية، (391-422).

المطلب الرابع: تعطيل الحواس¹

لقد منح الله عز وجل الإنسان ملكاتٍ عظيمة تؤهله للقيام بمهمة الاستخلاف في الأرض، وإن أي تعطيل لهذه الحواس، ينزل بمستوى الإنسان إلى ما دون مرتبة الأنعام². وقد نبه القرآن الكريم في آيات عديدة على أهمية الحواس كمنافذ وأدوات توصل المرء -إن أحسن استخدامها وفق ما أمر الله- إلى معرفة الصواب واتباعه. ومن هذه الآيات الكريمة:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء:36]. "وفي الآية الكريمة دعوة أمرة، إلى إيقاظ مشاعر الإنسان، وتوجيه ملكاته إلى هذا الوجود، فلا يقول إلا عن علم، ولا ينطق إلا بما يمليه عليه عقله، ويوحى إليه به إدراكه.. فالآية الكريمة تنهى عن أن يكون الإنسان إمعة، يتبع كل ناعق، ويجرى وراء كل داع، دون أن يكون له رأى فيما يعمل ويقول.. وهذا معناه تعطيل لمدركاته، وعدوان على إنسانيته بحرمانها من حقها فى التزود بزداد العلم والمعرفة... [وفيها] إشارة إلى ما للسمع، والبصر، والفؤاد من قوة قادرة على المعرفة، وتحصيل العلم.. إنها أجهزة قادرة على أن تمكن للإنسان من أن يتهدى إلى مواقع الخير، وأن يصل إلى مواطن اليقين من كل أمر يعرض له، إذا هو أحسن استعمال هذه الأجهزة، وأصغى لندائها... [وفيها] إشارة إلى أن الإنسان سيسأل عن تلك الجوارح وهذه القوى التي أمدّه الله بها، ليتعرف بها إلى الحق والخير، فإن هو عطّلها أو وجهها إلى وجوه الشر والفساد، كان مسئولاً عنها، محاسباً على تفریطه أو إفراطه فيها"³.

ودعا القرآن الإنسان لإمعان النظر في كل ما حوله، فقال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ [عبس:24]. وقال تعالى: ﴿أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ [الأنعام:99]. وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:185]. ودعا أن يحرك سمعه باتجاه الأصوات لكي يميز فيقبل أو يرفض، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا

¹ أفكار هذا المطلب معتمدة بمعظمها على كتاب: تشكيل العقل المسلم، ينظر: عماد الدين خليل، حول تشكيل العقل المسلم، (55-78).

² قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ كَثُرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:44].

³ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (487/8، 488).

سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبِكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ [الأنفال: 21-23]. ثم حذرهم في أكثر من موضع، وبأكثر من صيغة، حذرهم من تعطيل هذه الحواس، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: 179].

لما كانت العودة إلى الذات تستلزم أن ينظر المرء فيما تقدم يده، وما يكسبه من عمل، فكيف يمكن لمن عطّل ما وهبه الله عز وجل من ملكات ومواهب ووسائل إدراك أن يقوم بهذه المراجعة الشاملة التي ستوصل لاكتشاف الأخطاء وعلاجها، ورؤية الحسنات وتطويرها؟

ولقد وصف القرآن الكريم حال نفر من الناس قرر - ويا بؤس ما قرر - أن يعطلّ حواسه فأصمّ أذنيه عن مجرد السماع، واستغشى ثيابه وغطى بها رأسه¹ عن مجرد النظر، فأنى لمثل هذا أن يهتدي؟ وأنى لمثله أن يعود إلى ذاته؟

قال تعالى عن قوم نوح عليه السلام: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْدِعُهُمْ فِيْءِ آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا﴾ [نوح: 7].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ [فصلت: 26]. والغوا فيه أي: "الغطوا بالباطل من القول إذا سمعتم قارئه يقرؤه كيما لا تسمعوه، ولا تفهموا ما فيه... لعلكم بفعلكم ذلك تصدون من أراد استماعه عن استماعه، فلا يسمعه، وإذا لم يسمعه ولم يفهمه لم يتبعه، فتغلبون بذلك من فعلكم محمدا².

وفي قصة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي حين قدم مكة فاستقبله كفار قريش وحرضوه على سد أذنيه لكيلا يسمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم ففعل، لكن الله عز وجل أبى إلا أن يسمعه، فسمع كلاما أعجبه، فلام نفسه على انخداعه بكلام قريش، فهو شاعر وعاقل ويستطيع تمييز

¹ ينظر: الطبري، جامع البيان، (631/23)

² الطبري، جامع البيان، (461-460/21).

الخير من الشر فلم يصم أذنيه؟¹ في هذه القصة شاهد على أن تعطيل الحواس عائق عن سماع الحق واتباعه، وإن من الحق العودة إلى الذات واكتشاف الأخطاء وتصحيحها نزولاً عند حكم الحق. وهكذا يتبين أن تعطيل الحواس عائق يحول دون العودة إلى الذات.

المطلب الخامس: الغفلة واللهو واللعب

يعجب المرء لأحوال أناس يولد أحدهم ويعيش ما شاء الله له أن يعيش ثم يموت، دون أن يسأل نفسه السؤال الفطري البدهي: لم جئت؟ ولماذا؟ وإلى أين المصير؟. هو عندما يبدأ يعي يرى غيره يأكل ويلعب ويلهو فيفعل مثلهم دون تفكير، ودون وقفة جادة مع الذات يسأل فيها نفسه أسئلة المصير! فكيف ينتظر من امرئ هذه حاله أن يعود إلى الذات؟ ولعل مثله هو من ينطبق عليهم قول الله عز وجل: ﴿تَسُوا اللَّهَ فأنَسَهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر:19].

صوّر القرآن الكريم الحياة الدنيا في أكثر من آية على أنها لهو ولعب! والحقيقة أنه تعبير لافت؛ فكل ما في هذه الحياة الدنيا من جدّ وتعب وهموم وحروب وسعي وكد.. الخ، أفع كل هذا هي لهو ولعب؟

قال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَلَدَارٌ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام:32].

واللعب هو العمل الذي لا يقصد صاحبه به دفع ضرر أو جلب نفع كما يلعب الصغار² وفيه خفة وسرعة وطيش وغايته راحة البال وتقصير الوقت بلا غاية مفيدة.³ واللهو هو ما يشتغل به الإنسان عما يهّمه ويعنيه⁴.

¹ ينظر: ابن سعد، محمد ت: 230هـ، الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، (1410هـ)، 1990م)، (4/179).

² ينظر: رضا، تفسير المنار، (303/7).

³ ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (193/7).

⁴ ينظر: رضا، تفسير المنار، (303/7).

ونقل الرازي اختلاف المفسرين في وصف الدنيا بأنها لهو ولعب على قولين¹:

1- المقصود أنها بالنسبة للكافرين وأعمالهم فيها هي لهو ولعب، فكما أن اللهو واللعب للأطفال بلا غاية مفيدة وهو منقض وزائل، فكذلك لهو الكافرين واستمتاعهم في الدنيا فهو بلا غاية ترجى بعدها، فهو عبث وقد نبه الله عز وجل أنه لا يمكن أن يخلق الدنيا عبثاً وفسر العبث بأن تكون هي الغاية النهائية بلا حساب بعدها². ثم إن متعتها زائلة كمتعة اللهو واللعب، وذلك بخلاف نعيم الآخرة، ويبين هذا المعنى تذييل الآية بأن الدار الآخرة للمتقين، فَعَلِمَ أن أعمال المؤمنين الصالحة ليست لعباً ولهواً³.

2- أن هذا الوصف للمؤمن والكافر، من حيث أنه كما تحصل الندامة بعد اللهو واللعب، فإن الدنيا كذلك لا يبقى بعد انقضائها إلا الحسرة والندامة، فضلاً عن المدة القصيرة التي يشعر اللاهي واللاعب أنه قضاها وكذلك الدنيا، وغير ذلك من أوجه التشابه التي عددها الرازي.

والذي يراه الباحث أنه إضافة لما تقدم فإن القرآن الكريم يشير إلى الحياة الحقيقية المتمثلة بالآخرة (الحيوان)⁴، في مقابل الوهم والخيال (اللهو واللعب)؛ فعندما يشاهد المرء ابنه الصغير يلهو على جهاز الحاسوب بلعبة قتال فيها قتل وجرح ودماء، ويكون منفعلًا مع ذلك، فإنما يعلم أن هذا لعب ولهو لا على حقيقته، فلا دماء ولا جراح ولا قتل، بل هو خيال ووهم. وقريب من ذلك الأحلام التي

¹ ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (516-515/12).

² قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ

الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿المؤمنون: 115-116﴾، فنبه سبحانه ذاته العلية من فعله، فتعالى الله الملك الحق أن يقوم بمثل هذا العبث.

³ وقال بهذا القول عدة مفسرين، ينظر: الطبري، جامع البيان، (329/11). وينظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة، (69/4). وينظر: الزمخشري، الكشاف، (17/2). وينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (194-193/7).

⁴ قال تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: 64].

والحيوان: أي الحياة الحقيقية. ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (31/21). وينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، (11258/18)

يكون الواحد منا فيها مسرورا أو حزينا متألما حتى إذا أفاق اكتشف أنها مجرد حلم!¹ والذي يبدو للباحث أن القرآن حين يصف الحياة الدنيا باللغو واللعب فكأنما يشير -فيما يشير- إلى هذا المعنى، وهذا ما سيكتشفه الناس يوم القيامة، إذ سيدركون أنهم ما لبثوا في الدنيا إلا ساعة!² وربما هذا ما أشار إليه قول بشر بن الحارث: "الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا"³. ولعل هذا بعض سر تسمية الله عز وجل للدنيا بأنها: متاع الغرور.

وربما يبدو معنى اللعب واللغو بهذا المفهوم جليا أكثر في قوله سبحانه: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ فِيهَا مَتَاعٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَلًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: 20]. حيث تقدم الآيات اللاحقة من السورة من [21-25] جزءاً من العلاج لهذه الغفلة المعجبة بالدنيا، والمغترية بزخارفها، وذلك بالدعوة إلى التطلع إلى نعيم الآخرة والسباق إليها، والصبر، والإنفاق، والعدل، وغير ذلك.

وبعد أن صور القرآن الكريم حقيقة الدنيا، بين أن قسما من الناس اتخذوا دينهم لها ولعبا، فقال تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [الأنعام: 70].

أي أنهم اتخذوا اللعب واللغو دينهم، فيكون في الآية تقديم وتأخير، أو أنه كما يتخذ الدين للأبد فلا يفارقه المرء وكذلك هؤلاء اتخذوا اللعب واللغو للأبد، أو أنهم إذ عبدوا ما لا يضر ولا ينفع فكأنما

¹ يرى ابن عاشور أن وصف اللعب واللغو لا يستقيم أن توصف به الحياة ذاتها، فهي عبارة عن زمن فلا توصف إلا بما يوصف به الزمن من قصر وطول، فالوصف إذا للأعمال في هذه الحياة، ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (7/193)، (194). والذي يراه الباحث أن الحياة الدنيا ذاتها هي الموصوفة إذ كأنها الوهم والحلم في مقابل الحقيقة. والله أعلم.

² قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُثْبِتُ وَعَيَّرَ سَاعَةَ﴾ [الروم: 55]. وقال تعالى: ﴿قَالَ كَرِهُوا لِي الْعِلْمَ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ ﴿قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَكَلِ الْمَعَادِينَ﴾ ﴿قَالَ إِنْ لَيْتُنَا إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنْكَمَ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: 112-116].

³ أبو الفضل الزهري، عبيد الله بن عبد الرحمن ت: 381هـ، حديث الزهري، تحقيق حسن البلوط، أضواء السلف، الرياض، (ط1)، (1418هـ-1998م)، (670/1)، (742). وقد نسب السيوطي القول لعلي بن أبي طالب. ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكرت: 911هـ، الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، تحقيق محمد الصباغ، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض، (197/1).

هم في عبث ولهو ولعب، وصار دينهم عبثاً ولهوا لعدم إيمانهم بالبعث، وتصور الحياة بدون بعث عبث بلا معنى.¹ أو أن الآية تشير إلى من نصر الدين من أجل الدنيا، والأصل أن يُنصر الدين لأنه الحق، فهي تشير إلى من يتوسل بدينه إلى دنياه.² أو أن يكون الدين بمعنى الملة فاتخذوا مجموعة من أحوال اللعب واللهو كالمكاء والتصدية فجعلوها ديناً وعبادة.³

ويجمع كل ما تقدّم وصفُ الحالة التي انتهت إليها حال فريق من الناس خدعتهم الحياة الدنيا، فلم يعرفوا فيها ومنها إلا اللهو واللعب، فهم عابثون بلا هدف ولا غاية. ومن ثم فإن الله سبحانه بيّن في آية أخرى جزاء هؤلاء العادل الموازي لجنس حالهم، فكما كانوا في غفلة ولهو ولعب ونسيان وإهمال لكل نعم الله عليهم وكرامته لهم، فإن جزاءهم ألا يُنظر لهم بعين الرحمة، إنما يعاملون بالنسيان والترك والإهمال.⁴ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَعَزَّوهُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَأَلْيَوْمَ نَسَلَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الأعراف: 51].

وهكذا، وما دام الغافل الناسي اللعب اللاهي، لا يفكر إلا بالمتاع والملذات، غير عابئ بمصير أو مستقبل، غير ملتفت إلى ما ينتظره في غد، فإن هذا المرض العضال لهو من أكبر العوائق في طريق عودته إلى الذات؛ إنه نائم بحاجة على من يوقظه أولاً، وغافل بحاجة إلى من يهزه بشدة أولاً كي ينتبه، وإلا فإنه إن ظل في سكرته فهو ابعث من أن يراجع نفسه ويعود على ذاته وهو في حالته المزرية تلك.

وبهذا المطلب الخامس ينهي الباحث حديثه عن المعيقات التي تقف في طريق عودة المرء لذاته، وعودة الأمة إلى ذاتها، ولا بد من العمل على إزالتها كي يكون بالإمكان العودة إلى الذات والاستفادة من نتائجها المرجوة على مستوى الفرد والجماعة.

¹ ينظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة، (120/4).

² رجح الرازي هذا المعنى، بعد ذكر الأقوال السابقة، (وهو معنى بعيد في نظر الباحث). ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (24/13).

³ ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (295/7).

⁴ ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (8 ب/150).

الفصل الخامس

دراسة تطبيقية على موضوع: العودة إلى الذات في القرآن الكريم

الفصل الخامس

دراسة تطبيقية على موضوع: العودة إلى الذات في القرآن الكريم

بعد الانتهاء من توضيح كل ما له صلة بموضوع العودة إلى الذات في القرآن الكريم، في الفصول الأربعة السابقة، بقي محاولة التعمق بشكل أكثر تفصيلاً في معرفة الطريقة التربوية القرآنية التطبيقية لهذا المنهج، فالقرآن الكريم طريقته المتميزة والعميقة في تبيان كيفية العودة إلى الذات، والتي - وإن تلاقى في جانب - فإنها تختلف وتتمايز في جوانب أخرى، بين العودة إلى الذات بعد النجاح، والعودة إلى الذات بعد الفشل، فلكل حالة مقالته المناسبة، ولكل محطة منهجها التربوي المتميز. وإن الهدف من محاولة معرفة الطريقة التربوية القرآنية في الحالتين هو وضع ملامح منهج تربوي يستصحبه التربويون والمختصون في كيفية العودة إلى الذات بعد كل محطة، وما الذي يجب التركيز عليه، أو تقديمه على سواه في الحالتين.

المبحث الأول

دراسة تطبيقية على موضوع العودة إلى الذات بعد النجاح من خلال آيات سورة الأنفال التي تحدثت عن غزوة بدر

تقدّما للتناول، ومراعاة للترتيب الزمني، يبدأ الباحث الحديث عن العودة إلى الذات بعد النجاح أولاً، وذلك من خلال استقراء النص التربوي القرآني الذي نزل على المسلمين بعد النجاح الكبير في بدر، ومن خلال آيات سورة الأنفال تحديداً.

المطلب الأول: غزوة بدر، من خلال آيات سورة الأنفال

أولاً: أحداث غزوة بدر

بعد أن راوحت الدعوة في مكة مكانها اصطداماً بصدود ملاً قريش، وهجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة يتخذها منطلقاً للدعوة ونشر الرسالة، كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أن العرب لن تدين له ما دامت مكة مستعصية عليه، وأن كثيراً من القبائل لن تعلن موقفها انتظاراً لنتيجة الصراع بين الفريقين. لذلك وضع النبي صلى الله عليه وسلم منذ أيام الهجرة الأولى، خطته الاستراتيجية لدفع قريش للإسلام أو الاستسلام. وكان يعلم أن قوة قريش نابعة من مكانتها الاقتصادية وتجارتها عبر إيلافها رحلة الشتاء والصيف، ومن مكانتها الدينية بسبب الكعبة وتعظيم العرب لها، فاستهدف المكانة الثانية يوم الحديبية، واستهدف الأولى عبر إرسال السرايا وقيادة الغزوات لقطع طرق التجارة على قريش، مما قاد المشهد إلى غزوة بدر الكبرى كما هو ملخصها الآتي¹.

ونظراً لأن أحداث الغزوة معروفة، فإن الباحث سيعرض لأهم محطاتها في نقاط²:

(1) في العام الثاني للهجرة خرج النبي صلى الله عليه وسلم في مائتي مقاتل لاعتراض طريق قافلة أبي سفيان أثناء توجهها للشام، فلم يدركها، فيما عرف بغزوة ذي العشيرة.

¹ ينظر: خنفر، الربيع الأول، (185-195، 201-221).

² ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية لابن هشام، (1/606-43/2).

(2) وصل الخبر أبا سفيان، فأدرك أن النبي صلى الله عليه وسلم سيكمن له في طريق العودة فأخذ احتياطاته.

(3) خرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثمائة وعشر صحابيا، لاعتراض القافلة أثناء عودتها.

(4) علم أبو سفيان بذلك، فأرسل إلى قريش يستحثها لحماية القافلة، وغير الطريق احتياطا خشية ألا يدركوه.

(5) استنفرت قريش بألف مقاتل، ولما نجا أبو سفيان بالقافلة أرسل يبشرهم ويخبرهم بعدم الحاجة للقتال، لكن أبا جهل -وبعد خلاف مع بعض قادة قريش- صمم ودفعهم للمعركة.

(6) علم النبي صلى الله عليه وسلم بنجاة القافلة وخروج قريش للقتال، فعقد مجلس الشورى يستشير المسلمين، وكان يريد رأي الأنصار خاصة، فقالوا ما يسره، فحشد للمعركة وسبق قريش إلى الموقع الأهم.

(7) أكثر النبي صلى الله عليه وسلم من الدعاء والابتهال إلى الله حتى أشفق عليه الصديق رضي الله عنه. ثم بشر الصحابة أن الملائكة نزلت تقاتل معهم.

(8) التحم الفريقان، فانتصر المسلمون انتصارا ساحقا، وقتل سبعون مشركا على رأسهم قادة قريش، وأسر سبعون. فيما لم يستشهد من المسلمين إلا أربعة عشر شهيدا. وسمّى الله المعركة يوم الفرقان.

(9) حدث خلل يسير بعد المعركة فاختلف الصحابة في حكم الغنائم وكيفية توزيعها.

ثانيا: آيات سورة الأنفال التي تحدثت عن المعركة

تكاد سورة الأنفال كلها، والبالغ عدد آياتها: 75 آية تتحدث عن معركة بدر، لذلك سيختار الباحث بعض هذه الآيات التي تتحدث عن جوانب متعددة من مشاهد الغزوة والتعقيب عليها، حيث سيأتي التعليق والشرح لاحقا:

- قال تعالى: ﴿يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:1].

- وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونَ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال:7-8].

- وقال تعالى: ﴿إِذْ يُوحَى رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْي مَعَكُمْ فَشَبِّهُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال:12].

- وقال تعالى: ﴿*وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمْسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّلَاقِ الْجُمُعَاتِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال:41].

- وقال تعالى: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَادَكُمُ كَثِيرًا لَفْشَلْتُمْ وَلَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّقِيْتُمْ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَالُ لَكُمْ فِي آعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [الأنفال:42-44].

المطلب الثاني: الخطوط العريضة في العودة إلى الذات بعد النجاح في غزوة بدر

بالتدبر في آيات سورة الأنفال، وجد الباحث أن ثمة ركيزتين أساسيتين توجهان كيفية العودة إلى الذات، رسمتهما وأصلتهما التربية القرآنية من خلال معالجتها لهذا النجاح العظيم المتمثل في نصر الفرقان، وهما:

أولاً: تسليط الضوء على أي خطأ يسير في ضوء النجاح

ربما لو ترك لأحدنا كتابة تاريخ هذا الإنجاز العظيم الذي كان له ما بعده على مستقبل الإسلام، لأعرض عن أي خلل يسير صاحب هذا الإنجاز الضخم، أو ربما أشار إليه لماماً، وذلك بعد سرد قائمة البطولات! غير أن التربية القرآنية اختطت طريقاً مغايراً تماماً.

لقد تجاوز القرآن كل البطولات العظيمة والبلاء الحسن الذي أبلاه المسلمون في المعركة، ليبدأ السورة ويفتحها بالحديث عن خلل يسير حدث بين الصحابة بعد المعركة، وهو اختلافهم على الأنفال، فقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:1]. بل إن الله عز وجل سمى السورة - وهو بمثابة عنوانها - بهذا الاسم! تسليطاً للضوء على هذا الخلل؛ حيث قال عبادة بن الصامت: "فيما معشر أصحاب بدر نزلت، حين اختلفنا في النفل، وساءت فيه أخلاقنا"¹.

ويبرز السؤال المهم عن سر ذلك: هل يستدعي هذا الخلل اليسير أن يذكر، فضلاً عن أن يسلط عليه الضوء بهذا الشكل؟

¹الطبري، جامع البيان، (370/13)، وينظر: ابن حنبل، مسند الإمام أحمد، (411/37)، (22748). وقال المحقق: حسن لغيره. وفي رواية مسلم عن سعد بن أبي وقاص أنه آية النفال نزلت فيه عندما ألح على النبي صلى الله عليه وسلم في أخذ سيف أصابه أن ينقله إياه، وفي كل مرة يقول له: ضعه. ينظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الأنفال، (1367/3)(1748). لكن ظاهر الآية الصريح بقوله سبحانه: (وأصلحوا ذات بينكم) تشير إلى حدوث تنازع أو اختلاف في موضوع الأنفال.

هذا ما سيحاول الباحث فهم حكمته، وفلسفته التربوية، وعرضه في نقاط، حيث يبدو للباحث ما يأتي:

(1) النفس البشرية بعد النجاح والإنجاز تكون في غمرة السعادة والفرح، وهذا شيء فطري، خاصة إذا كان النجاح باهرا لافتا. وسيكون وقع هذا النقد عليها هينا، ومن ثم فهي أدعى وأكثر تهيئة لقبوله والاعتراف به، ومن ثم يسهل الاستدراك.

(2) الخلل الذي يصاحب النجاح في العادة يكون يسيرا، إذ لو كان كبيرا لما كان هناك نجاح، ولأدى هذا الخلل الكبير للإخفاق والفشل. ولعل تسليط الضوء على هذا الخلل اليسير يهدف - فيما يهدف- إلى محاصرته وعلاجه قبل أن يستفحل، فإنه لو ترك دون علاج لأدى إلى فشل مؤكد في محطة قادمة.

(3) لا يوجد نصر تام ولا نجاح كامل بلا ثغرات، فالكمال لله عز وجل وحده، والإنسان مهما بلغ من الإتقان فسيظل نسبيا يتناسب مع بشريته التي يعترها النقص والخلل والقصور، ولكن النفس البشرية قد يحجب عنها بريق النجاح، وتغريها أضواؤه البراقة، فلا ترى في تلك اللحظات الغامرة من السعادة إلا مساحة الإنجاز والبلاء الحسن الذي أوصل إلى هذه النتيجة، فكان لزاما على الفلسفة التربوية الحكيمة أن تزيل الغشاوة عن سكرة العين، لترى ما يحجبه بريق النجاح، خاصة أن المتوقع في الأخطاء المواقبة للنجاح أن تكون يسيرة، إذ لو كانت كبيرة لكان الفشل لا النجاح، ولما احتيج أن يسقط عليها الضوء فهي مشاهدة رأي العين.

(4) ولكي لا تصاب النفس بالغرور فترفع صاحبها فوق شأنه البشري بتحقيقه النجاح غير المسبوق، فإن تسليط الضوء على الخلل اليسير يرده إلى بشريته وعيوبها ونقصها، فيتواضع.

ثانيا: رد الفضل في تحقيق النجاح إلى الله عز وجل

لاحظ الباحث أن سورة الأنفال لم تشر لأي إنجاز قام به الصحابة في غزوة الفرقان، إلا إشارة في جزء من آية واحدة سيشير لها الباحث بعد قليل. والملاحظة الواضحة أن القرآن رد الفضل لهذا

النصر وهذا النجاح لله عز وجل وحده؛ فمعظم الآيات التي تبدأ بقوله تعالى: "إذ" في سورة الأنفال، هي إشارة لهذا الفضل الإلهي الذي صنع هذا النجاح، وهذه بعضها:

- قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِيفٍ مِّنَ الْمَلَأِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:9].

- وقال تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ الْتُعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال:11].

- وقال تعالى: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَأِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال:12].¹

والجملة الوحيدة التي أشارت إلى إنجاز الصحابة جاءت في ثنايا الحديث عن الأخذ بالأسباب وتفويض الأمر لله، فكل شيء وفق إرادة الله. وفي سياق رد الفضل إلى الله عز وجل. وهي قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:17].

وهذه روح سورة الأنفال؛ فالله عز وجل هو الذي استجاب استغاثتهم وأمدهم بالملائكة، والله عز وجل هو سبحانه من ثبتهم وربط على قلوبهم، وقذف في قلوب عدوهم الرعب، وهو سبحانه -في الحقيقة- من قتل ورمى، أما الصحابة فقد أبلوا بلاء حسنا وانتهى! حتى رميهم هو في الحقيقة رمي الله عز وجل، فهو الذي رمى وقتل، وأعز ونصر. فلماذا اتخذ الخط التربوي القرآني العريض هذا المنحى، وبهذا الشكل الذي لا يتم فيه الحديث عن إنجاز الصحابة بشكل واضح رغم بلائهم وعطائهم، ويرد الفضل كله لله وحده؟

¹ وكذلك الآيات: 42-44 من سورة الأنفال وغيرها.

يبدو للباحث جملة من الأسباب هي:

(1) هذه هي الحقيقة، والقرآن الكريم -وهو كتاب الحقيقة- يقرر ذلك ببساطة، فالله عز وجل هو الفاعل الحقيقي في هذا الكون، والإنسان يرمي والله هو الرامي في الحقيقة-كما بين القرآن-. والله عز وجل حين ينسب الفعل لعبده ويشكره عليه، فإنما هو فضل عطائه سبحانه، وكمال جوده على عبده الضعيف، فهو من خلق فيه القوة، ومنحه الملكات، وسخر له الطاقة اللازمة، وهو من هدى ووفق وأعان وأرشد، فالفضل والمنة له سبحانه أولاً وأخراً.

(2) النفس البشرية خلقت محبة لذاتها، وهي ميالة للعجب بصنيعها بطبيعة خلقتها، الأمر الذي يقتضي المجاهدة الدائمة للنفس. والنفس حين تنجز الإنجاز الكبير، وتتجح النجاح المعتبر لتزهو ويأخذها الفخر، خاصة إذا ما سمعت الإشادة بالنجاح من ألسنة المادحين، أو رأتها في مدح أعينهم، فتتسى في تلك اللحظات الغامرة من التمتع بثمرات النجاح أنها لولا توفيق الله وفضله سبحانه ومعيته لما وصلت إلى شيء، وأنها لو وكلت لنفسها لصاحبها الخذلان، فتأتي التربية القرآنية من العليم الخبير في هذا المشهد لترد الأمور إلى حقيقتها، وتسكن من شموخ هذه النفس الطامح للتعالي في مثل هذه المواطن. وهذا يقود إلى النقطة التالية.

(3) المرء المعجب والمصاب بغرور القوة، وغطرسة النجاح، لن يفكر أبداً في النظر في فعله وتقييمه. ففيم ينظر وقد انتصر؟ وإن عدم النظر هذا سيعميه عن أخطائه التي إن كان قد سلمه الله من عواقبها مرة فلن يكون الحال مضطرباً في مرات قادمة. فسيكرر تلك الأخطاء اليسيرة التي لم تؤثر على نجاحه حينها، سيكررها لأنه لم يلاحظها ولم يتعلم منها، مما قد يكون سبباً في فشل قادم!

(4) المعجب بالنجاح لن يعمل على تطويره والمراكمة عليه، بل سيركن إليه بزعم أنه في القمة فماذا يريد أكثر؟ ناسياً أن الأهم من بلوغ القمة هو المحافظة عليها. وهكذا سيفرط بالتطوير والتقدم وسيرواح مكانه، فيما عدوه أو منافسه سيكون قد تعلم من خطئه فيصلحه ويتقدم، ليسبقه في أول محطة قادمة. وما قصة سبق السلحفاة المثابرة للأرنب المغتر الشهيرة في قصص الأطفال، إلا مثال على ما يفعله الغرور بصاحبه من إهمال وكسل وركون وعود.

وهذان هما الخطان العريضان اللذان جعلهما القرآن الكريم ركيزتيه المركزيتين في تبيان طريقة العودة إلى الذات بعد النجاح، وعلى التربويين ملاحظة ذلك، كما أن على الأفراد والجماعات عند عودتهم إلى الذات بعد النجاح أن ينتبهوا إلى ذلك فيكون هاديهم في ملاحظته والاهتمام به عند ذلك.

المطلب الثالث: التوجيهات التربوية في العودة إلى الذات بعد النجاح كما في غزوة بدر.

باستقراء آيات سورة الأنفال التي تتحدث عن بدر وتدبرها، وجد الباحث أن ثمة توجيهات تربوية قرآنية لافتة و متميزة وجّه القرآن الصحابة إليها بعد نجاحهم الكبير، وظفرهم المؤزر بالنصر على عدوهم يوم بدر، وتشكّل هذه التوجيهات سمات العودة إلى الذات بعد أي نجاح، وأهمها:

أولاً: تذكر الصعاب والمشاق السابقة التي قادت إلى النجاح لاستشعار حلاوته والتمسك به

يبدو أن النفس البشرية تتمسك أكثر بالشيء الذي حصلت عليه بعد تعب وجهد ومشقة، وإذ يسهل عليها -ربما- التفريط بما نالته دون تعب، فإنها لا تفرط بسهولة بما دفعت ثمنه غالياً.

قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبَصَرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال:26]. "ينبه تعالى عباده المؤمنين على نعمه عليهم وإحسانه إليهم، حيث كانوا قليلين فكثرتهم، ومستضعفين خائفين فقواهم ونصرهم، وفقراء عالة فرزقهم من الطيبات، واستشكرهم فأطاعوه، وامتثلوا جميع ما أمرهم. وهذا كان حال المؤمنين حال مقامهم بمكة قليلين مستخفين مضطرين يخافون أن يتخطفهم الناس من سائر بلاد الله... لقلنتهم وعدم قوتهم، فلم يزل ذلك دأبهم حتى أذن الله لهم في الهجرة إلى المدينة، فأواهم إليها، وقيض لهم أهلها، آووا ونصروا يوم بدر وغيره وآسوا بأموالهم، وبذلوا مهجهم في طاعة الله وطاعة رسوله"¹.

¹ ابن كثير، تفسير ابن كثير، (40/4).

ويمكن تخيل بلال وعمار وخباب وهم يتنعمون بنصر الله في بدر، حين تنزل عليهم هذه الآية فتذكرهم بأيام المحن والعذاب والابتلاءات التي أصبحت ذكريات في تلك اللحظة، ويمكن تخيل وقع مثل هذا التذكير بالصعاب التي أوصلت إلى مثل هذا النجاح، فهو -إضافة إلى ما يولده في القلب من حالة شعورية تعلقه بالله حمدا وشكرا- فإنه يدفعهم للتمسك بالنجاح والحرص عليه وعدم التفريط به؛ فالحمد والشكر شعور في القلب، وترداد باللسان، وتصديق بالفعل يتمثل بالحفاظ على النجاح وتطويره. قال تعالى: ﴿اعْمَلُواْ آءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبأ:13].

ثانيا: الانتباه إلى العناصر النفسية وغير الظاهرة التي أدت إلى النجاح

معرفة العوامل والعناصر التي أدت للنجاح ضرورية بهدف المحافظة عليها والبناء عليها وتطويرها، ولما كان الناس -في العادة- تلفت انتباهاتهم العوامل الظاهرة والمشاهدة، والتي غالبا ما تكون مادية محسوسة لا تحتاج كثير نظر وتمحيص لتكتشف، فإن القرآن الكريم يقرر أن عوامل النجاح متعددة، فمنها ما هو نفسي أو غير محسوس، كما أن منها ما هو مشاهد ملموس، لذلك فإن القرآن في دعوته للعودة إلى الذات بعد النجاح يلفت الانتباه إلى ضرورة التفقش عن تلك الجوانب غير المرئية والتي قد تغيب عن بال كثيرين، ويمكن استنباط ذلك من قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الأنفال:47]. فالآية تتحدث عن عامل النية والإخلاص كعامل حاسم ومهم في النجاح، وهو عنصر غير ملاحظ وقد لا يلتفت إليه، ولفت الانتباه إلى هذا العنصر -في نظر الباحث- إضافة إلى بعده الأخروي الذي يشترط الإخلاص لقبول العمل عند الله، فإنه يشير -في جانبه الدنيوي- إلى مسألة السمعة وحب الظهور، فهي قاتلة للإنجاز، ومقعدة عن تطوير الذات، وهو أحد متطلبات وأهداف العودة إلى الذات، وتجعل المرء أشبه ب (ما يطلبه الجمهور) يهيم في أودية رغباتهم وأهوائهم المختلفة فيتشتت وتضيع بوصلته! والآية تدعوهم "لأسباب النجاح والفوز عند اللقاء، بأن يتلبسوا بما يدينهم من النصر، وأن يتجنبوا ما يفسد إخلاصهم في الجهاد.

وجيء في نهيمهم عن البطر والرئاء بطريقة النهي عن التشبه بالمشركين إدماجا للتشيع بالمشركين وأحوالهم، وتكريها للمسلمين تلك الأحوال، لأن الأحوال الذميمة تتضح مذمتها، وتتكشف مزيد

الانكشاف إذا كانت من أحوال قوم مذمومين عند آخرين، وذلك أبلغ في النهي، وأكشف لقبح المنهي عنه...و «البطر» إعجاب المرء بما هو فيه من نعمة، والاستكبار والفخر بها... والرئاء... فيه مبالغة، أي بالغ في إراءة الناس عمله محبة أن يروه ليفخر عليهم.¹

ثالثا: النجاح بداية العمل والتعب لا بداية الراحة والسكون

من سلبيات النجاح اللامرئية أنه يصيب صاحبه بالركون إلى بريق فرحته وإنجازته، مما قد يسبب له القعود والراحة مكتفيا بما تحقق، أو على الأقل فإنه يقلل من اندفاعه صاحب الحماسية التي كانت قبل الحصول عليه، لذلك نبه القرآن الكريم إلى هذه السلبية المرضية، وهذا ما يمكن استنتاجه من قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظَلَمُونَ﴾ [الأنفال:60]. فهي حدود الطاقة إلى أقصاها.

بحيث لا تقعد العصبية المسلمة عن سبب من أسباب القوة يدخل في طاقتها². والدعوة للإعداد أخذًا بكل أسباب القوة التي في طوق الفرد والجماعة أمر مفهوم، لكن الدعوة إليه في سياق النجاح، وبعد تحقيق الإنجاز إنما يشير إلى الخصوصية التي ذكرها الباحث -والله أعلم- في هذه النقطة من لغت الانتباه إلى أن النجاح دعوة لمزيد من العمل، وليس وصفاً للقعود والراحة.

ويلفت انتباه الباحث التعبير القرآني المعبر بقوله سبحانه: ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال:60]. أي الخيل المربوطة في سبيل الله، وما يسببه هذا من ترهيب لعدو متربص يرى المسلمين على أهبة الاستعداد فيرتدع³.

ذلك أن الخيل خيلان، خيل سارحة يرسلها صاحبها لترعى سارحة مع الدواب فتخرج أول النهار للمراعي ثم تعود آخره، وهناك خيل رابطة يربطها صاحبها ويطعمها في بيته لاستخدامها سريعا وقت الحاجة. والقرآن ينبه لا إلى مجرد الخيل، بل إلى الخيل المربوطة المستعدة المتحفزة للجهاد

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، (32/10، 33)

² قطب، في ظلال القرآن، (1544/3)

³ ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (499/15)

في أية لحظة، فقد يدعو داعي الجهاد في أية لحظة، وكأن الذي أرسل خيلها لتسرح وترعى لا يريد الجهاد بخلاف صاحب الخيل الرابطة، كلما سمع هيعة أو فرزة طار عليه¹.

ومما يؤكد على ذلك حديث سلمة بن نفيل قال: كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رجل: يا رسول الله، أذال الناس الخيل، ووضعوا السلاح، وقالوا: لا جهاد قد وضعت الحرب أوزارها، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه، وقال: «كذبوا الآن، الآن جاء القتال، ولا يزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق، ويزيغ الله لهم قلوب أقوام، ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة، وحتى يأتي وعد الله، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وهو يوحي إلي أني مقبوض غير ملبث، وأنتم تتبعوني أفنادا، يضرب بعضكم رقاب بعض، وعقر دار المؤمنين الشام»².

وإن هذه الإشارة لكمال الاستعداد والجهوزية والتحفز الدائم لهي توجيه تربوي قرآني نبوي موحٍ بضرورة الاستعداد الدائم والتأهب المستمر للفرد والجماعة، ولكن مجيء هذا التوجيه في سياق الإنجاز والنجاح ليوحي أن النجاح طريق العمل والجد لا مدخل الراحة والدعة.

رابعا: البحث عن تفعيل الطاقات الكامنة من أجل تحقيق المزيد من النجاح

قليلًا ما يستخدم المرء كل ما آتاه الله من مواهب وإمكانات في طريقه لصناعة النجاح، وليس بالضرورة أن يكون النجاح نتاج استخدام جميع الملكات والقدرات التي يملكها المرء، وهنا ينبه القرآن الكريم المسلم أن يلتفت في قادم المرات إلى ملكات وإمكانات كامنة لم يستخدمها في صناعة النجاح السابق، وبإمكانه استخدامها في مرات قادمة. وهو ما يمكن فهمه من قوله تعالى:

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٥٥﴾ أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ

¹ عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «من خير معاش الناس لهم، رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله، يطير على منته، كلما سمع هيعة، أو فرزة طار عليه، يبتغي القتل والموت مظانه...» رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب: الإمارة، باب: فضل الجهاد والرباط، (1503/3)، (1889).

² رواه النسائي، سنن النسائي، كتاب الخيل، (214/6). وصححه الألباني.

عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ^١ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٥-٦٦﴾ [الأَنْفَال: 65-66]. والآيتان تتحدثان عن مستويين

أدنى وأعلى من مستويات القوة والإمكانات؛ فالواحد يقابله اثنان في الحد الأدنى أو عشرة في الحد الأعلى، وإن من معاني ذلك أن هناك إمكانية مستمرة لمراكمة القوة، واكتشاف ملكات ومواهب جديدة لدى الإنسان تمكّنه من تحسين فاعليته، وزيادة قوته. وهو ما عليه أن يبحث عنه باستمرار.

ورأى الخطيب أن الآيتين خبريتان فلا نسخ بينهما، وليستا خبريتين بمعنى الأمر كما قال بعض المفسرين، فقال: "وعلى هذا تظل الآيتين تتحدثان عن حالين من أحوال المسلمين، حالهم حين يكون إيمانهم على هذا المستوى الذي كان عليه المسلمون الأولون السابقون من المهاجرين والأنصار.. وحالهم حين يضعف إيمانهم فتعرض لهم عوارض الضعف والوهن في لقاء عدوهم. وهذا من شأنه ألا يقطع الأمل في نفوس المسلمين بأن ينشدوا القوة دائما، وأن يلتمسوها في الإيمان والصبر، وأنه كلما قوي إيمانهم وصبرهم قويت شوكتهم، واشتدت على العدو وطأتهم، وكان حساب الواحد منهم راجحا بعشرة من العدو المقاتل لهم"¹.

خامسا: المحافظة على النجاح والثبات عليه

وفي إطار العودة إلى الذات بعد النجاح يلفت القرآن الكريم انتباه الفرد والجماعة إلى أهمية المحافظة على الإنجاز، وعدم الركون إلى مجرد بلوغه، فإن المحافظة على النجاح لا تقل أهمية عن الوصول إليه، بل لعلها تكون المهمة الأشق والأصعب، ومن هنا فقد كانت الوصية القرآنية بالثبات.

قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الأَنْفَال: 12].

وقال تعالى: ﴿بَيَّأُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾ [الأَنْفَال: 45]. والآية تتحدث عن الثبات أثناء المعركة، وفي مواجهة الصعاب في الطريق للوصول إلى الإنجاز، لكن بحسب ظن الباحث - فإن هذا لا يمنع ضرورة انسحاب هذه الوصية بالثبات وأهميته في كل المراحل، قبل

¹ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (674/5).

مواجهة الاختبار، وأثناءه، وبعده أيضا. ولا شيء أكثر مساعدة على تثبيت الفرد والجماعة وثباتهم في البقاء على القمة والحفاظ على النجاح، لا شيء أكثر مساعدة على ذلك من السعي لتحقيق إنجاز جديد أكبر من السابق، والانتقال إلى نجاح جديد يساعد في تثبيت القدم على النجاح السابق، وهكذا تكون الدعوة للحفاظ على الإنجاز دعوة ضمنية لمزيد من النجاحات.

"والثبات: أصله لزوم المكان دون تحرك ولا تزلزل، ويستعار للدوام على الفعل وعدم التردد فيه، وقد أطلق هنا على معناه المجازي، إذ ليس المراد عدم التحرك، بل أريد الدوام على القتال وعدم الفرار"¹. ومثله الثبات بعد النجاح بالمحافظة عليه.

سادسا: بذل المزيد من الجهد والعمل لتحقيق النجاح

خلق الله عز وجل الحياة الدنيا بقانون الأسباب، ومن ذلك أن المقدمات تقود إلى نتائجها، ومن الجهل بقوانين الحياة الدنيا توقع الإنجاز الضخم من العمل اليسير. وإن ما وعد الله عز وجل المؤمنين من معية ومضاعفة للأجر وبركة للعمل تزيد في نتيجته، إن كل ذلك لا يعني أبدا أن يعمل الفرد أو الجماعة العمل اليسير متوقعين منه المردود الكبير، فالبركة التي تضاعف النتائج مشروطة ببذل الوسع أولا، ثم إن هذه الفوارق في زيادة النتيجة لن تكون خارقة للعادة.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: 7-8]. قال الزمخشري: "أى تتمنون أن تكون لكم العير، لأنها

الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة، ولا تريدون الطائفة الأخرى... يعنى أنكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف الأمور² وأن لا تلقوا ما يرزؤكم في أبدانكم وأحوالكم والله عز وجل يريد معالي الأمور، وما يرجع إلى عمارة الدين، ونصرة الحق، وعلو الكلمة، والفوز في الدارين. وشتان ما بين

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، (30/10).

² لست مع الزمخشري في هذه العبارة، فغير ذات الشوكة شيء مختلف، والقافلة ليست من سفساف الأمور، وإلا لما سعى وراءها النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه، بل كانت جزءا من خطة النبي صلى الله عليه وسلم في ضري الحصار الاقتصادي على قريش لدفعها للإسلام أو الاستسلام.

المرادين. ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة، وكسر قوتهم بضعفكم، وغلب كثرتهم بقلنتكم، وأعزكم وأذلهم"¹

فعندما تكون المقدمة (غير ذات الشوكة) فلن تكون النتيجة أكثر من السيطرة على بعض الأموال! أما حينما يكون الهدف إحقاق الحق، وإبطال الباطل، وقطع دابر الكافرين، فإن مقدمات ذلك لا يتوقع إلا أن تكون ذات الشوكة بجراحها وخوفها وتضحياتها. ولا يمكن تصور الفرقان إلا بدفع غالي الأثمان.

سابعاً: مواجهة المشكلة لا الهروب منها هو ما يقود إلى النجاح

من تزيين النفس للإنسان دفعه للهروب من المشاكل وعدم مواجهتها؛ ذلك أنها لا تحب المصاعب ولا تحب دفع الثمن! فتظل تدعوه للتسوية والتأجيل ممنية إياه أن الأيام كفيلة بإيجاد الحل!

وفي سياق التربية القرآنية بعد النجاح يوجه القرآن الكريم الفرد والجماعة إلى أن طريق النجاح إنما يكون بمواجهة المشاكل لا الهروب منها وتأجيلها، ويمكن ملاحظة هذا المعنى من قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْآدْبَارَ﴾ [الأنفال:15]. والآية تتحدث -كما هو واضح- عن مواجهة العدو أثناء المعركة، والتحذير من الفرار والهروب من ملاقاته. ذلك أن هذا الهروب سيغري العدو بمزيد من الملاحقة لاستئصالكم. فيفهم الباحث من ذلك، أن الفرار من مواجهة المشكلة لا يقود إلى حلها وإن أجلها قليلاً. وأن نجاح المرء منوط بمواجهة المشكلة لا الهروب منها. غير أن الآية تتحدث عن استثناءات، مما يعني جواز تأجيل بعض المسائل، ولكن في إطار المواجهة، لا في إطار الهروب. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤَلِّمِهِ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال:16]. و"التحرف لأجل الحيلة الحربية والانحياز إلى فئة من الجيش للاستئجاد بها أو لإنجادها."²

¹ الزمخشري، الكشاف، (200-199/2).

² ابن عاشور، التحرير والتنوير، (289/9).

ثامنا: التحذير من رفض الاستفادة من تجارب الآخرين

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَتَوَلَّوْا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢١﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنفال: 20-23].

لقد خلق الله عز وجل وسائل الإدراك في المرء من سمع وبصر لتساعده -إن أحسن استعمالها- على اتخاذ القرارات الصحيحة. وإن أي تعطيل لأحد هذه الوسائل سيعيق عملية اتخاذ القرار السليم. وفي غمرة إعجاب المرء بنجاحه قد يجد أنه لا يحتاج أي نصح، بل قد صار هو الملهم لسواه، فمن هو الجدير بتقديم النصح أو النقد له وقد سبق الجميع وحقق الإنجاز؟ وبتعطيله حاسة السمع يصبح أشبه بالجهاز الذي يرسل ولا يستقبل، مما يعزله شيئاً فشيئاً عن محيطه، الأمر الذي سيسبب الانتكاسات له في المحطات القادمة.

ولقد نبه القرآن الكريم المسلمين في غمرة النجاح إلى ضرورة حسن الاستماع إلى تعليمات الوحي بشكل عام، وهذه التعليمات التي جاءت بها هذه السورة فيما يتعلق بالعودة إلى الذات بعد النجاح بشكل خاص وذلك للمحافظة عليه. وحذرهم القرآن من أحوال أصحاب السماع الشكلي الذين يدعون السمع غير أنهم في حقيقتهم لا يسمعون! إذ كأنهم يسمعون من أذن ويخرجون من أخرى -كما يقال- دون المرور على العقل والقلب لتمحيص الفكرة، وتقليب الرأي. وسيتبين للقارئ الكريم أن التقصير في اتباع بعض تعليمات هذه السورة كان أحد أسباب هزيمة أحد، مما يعني أن خلا ما أصاب منهجية العودة إلى الذات بعد النجاح، فأسهم في حدوث الفشل في المحطة اللاحقة.

ولقد كان التحذير القرآني شديد الوقع بتشبيهه هؤلاء المعطلين وسائل الإدراك التي منحهم الله عز وجل إياها بالدواب بل هم شر الدواب! "فالبهائم لها آذان ولكنها لا تسمع إلا كلمات مبهمة، ولها لسان ولكنها لا تتطق أصواتا مفهومة، إلا أنها مهتدية بفطرتها فيما يتعلق بشئون حياتها الضرورية. أما هؤلاء الدواب فهم موكولون إلى إدراكهم الذي لا ينتفعون به. فهم شر الدواب قطعاً... [ولأن الله سبحانه] لم يعلم فيهم خيراً ولا رغبة في الهدى... فحتى لو أسمعهم سماع الفهم

لتولوا هم عن الاستجابة، والاستجابة هي السماع الصحيح. وكم من ناس تفهم عقولهم ولكن قلوبهم مطموسة لا تستجيب"¹.

وبهذه النقطة يختم الباحث الحديث عن بعض أهم الملامح التي أثار القرآن حس المسلم لمراعاتها وملاحظتها والأخذ بها، حين العودة إلى ذاته بعد أي نجاح ينجزه.

¹ قطب، في ظلال القرآن، (3/1493، 1494)، وما بين قوسين [] هو إضافة الباحث لوصل الجمل بعد الحذف الذي حصل. وينظر أيضا: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (5/586).

المبحث الثاني

دراسة تطبيقية على موضوع العودة إلى الذات بعد الفشل من خلال آيات سورة آل عمران التي تحدثت عن غزوة أحد

المطلب الأول: غزوة أحد من خلال آيات سورة آل عمران

أولاً: أحداث غزوة أحد

سيعرض الباحث أهم أحداث الغزوة عبر النقاط الآتية¹:

(1) بعد هزيمتها في بدر مكثت قريش حولاً كاملاً تعد العدة مالا وعتاداً، وتجمع الأحلاف للتأثر من هزيمتها في بدر، حتى جمعت ثلاثة آلاف مقاتل.

(2) بلغ النبي صلى الله عليه وسلم حشد قريش، فاستشار الصحابة فأشير عليه برأيين، رأي تبناه الشيوخ بالبقاء في المدينة والقتال في أزقتها وشوارعها وكانوا الأقل، ورأي يرى ضرورة الخروج لملاقاتهم وعدم السماح لهم بدخول المدينة تبناه الشباب خاصة ممن لم يشترك في بدر، وكانوا الأكثر.

(3) نزل النبي صلى الله عليه وسلم عند رأي المجموع خلافاً لرأيه هو، حيث كان رأي رؤيا تعزز رأيه بالقتال في المدينة، وأحس الصحابة أنهم أكرهوا النبي صلى الله عليه وسلم على رأي لا يحبه فأرادوا التراجع لكنه أبى وأنفذ ما عزم عليه، فخرج لملاقاة المشركين بألف مقاتل.

(4) في طريقهم للخروج رجع زعيم المنافقين ابن سلول بثلاث الجيش بحجة أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل على رأي الشباب، ولم يأخذ برأيه.

(5) اختار المسلمون موقع المعركة قريباً من المدينة وخارجها عند جبل أحد، وصفت النبي صلى الله عليه وسلم الجيش ووزعه.

¹ ينظر: ابن هشام، سيرة ابن هشام، (60/2-100).

(6) وضع النبي صلى الله عليه وسلم على تلة قريبة عرفت لاحقا بجبل الرماة خمسين من رماة الأسهم أمر عليهم عبد الله بن جبير، وأمرهم أن يردوا خيل قريش بالنبل إن هم حاولوا الالتفاف لتطويق المسلمين، وكان أمره واضحا بعدم النزول مهما كانت نتيجة المعركة.

(7) بدأت المعركة ودارت دائرتها لصالح المسلمين حتى انهزم المشركون، فتبعهم المسلمون يعملون فيهم القتل ويجمعون الغنائم. وخلال ذلك كله كان خالد بن الوليد -وكان كافرا آنذاك- على رأس خيالة المشركين يحاول الالتفاف من وراء جبل الرماة ليضع المسلمين بين فكي كمامشة لكن سهام الرماة كانت ترده في كل محاولة.

(8) رأى الرماة هزيمة المشركين فظنوا المعركة قد انتهت فنسوا أمر النبي صلى الله عليه وسلم، وعصوا أمر أميرهم ابن جبير، فنزلوا عن الجبل ولم يبق معه إلا عشرة تقريبا.

(9) انتبه خالد لتلك الثغرة فعاود الكرة ووصل جبل الرماة فقتلهم ثم التف من وراء المسلمين الذين كانوا حينها يطاردون المشركين فصاروا محاصرين ووقعوا بين فكي كمامشة، حيث استدار المشركون الفارون واستدركوا وهاجموا.

(10) انقلبت المعركة في لحظات من نصر مؤزر إلى هزيمة واضطراب، حيث أصيب النبي صلى الله عليه وسلم، وأشيع خبر مقتله، وانهارت معنويات المسلمين.

(11) صعد النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبل أحد، وانتهى القتال باستشهاد سبعين صحابيا على رأسهم حمزة، وأصاب المسلمين كرب عظيم.

(12) في صباح اليوم التالي علم النبي صلى الله عليه وسلم أن قريشا تريد العودة لمهاجمة المدينة، فأمر الخروج لهم على أن يقتصر ذلك على من شارك في غزوة أحد فحسب، فوصلوا حمراء الأسد، لكن المشركين جبنوا وآثروا الاحتفاظ بما حققوه من نصر ورجعوا إلى مكة، فرجع المسلمون للمدينة.

13) كان درس أحد قاسيا على المسلمين، فتنزل القرآن الكريم يرببهم ويعلمهم، ويربينا نحن
ويعلمنا معهم كذلك.

ثانيا: آيات سورة آل عمران التي تحدثت عن المعركة

يلاحظ المتدبر للقرآن الكريم، وبعملية مقارنة سريعة، الفرق الواضح بين آيات آل عمران عن أحد،
وآيات الأنفال عن بدر. فهنا هزيمة موجعة، وهناك نصر فرقان، وهنا الجراح وهناك الأفراح،
والنفوس هنا غيرها هناك، فكان من الطبيعي أن يختلف المنهجان التربويان في الحالتين اختلافا
واضحا. جاءت آيات آل عمران أطول، وأكثر عددا. كما أن روحيتها مختلفة تماما كما سيبتين.
وهذه بعض هذه الآيات، والتي كانت بدايتها من الآية: 121.

- قال تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعَدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ
هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ
بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران: 121-123].

- وقال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُكْذِبِينَ ﴿١٢٧﴾ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ
الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢٩﴾ إِنْ يَمَسُّكُمْ كَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ كَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ
نُذِرُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الظَّالِمِينَ ﴿١٣٠﴾ وَلِيَمْجِزَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا
الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٣٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمُوتُونَ الْمَوْتَ مِنَ
قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٣٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ
أَفَاِئِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا
وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٣٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا
وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٣٥﴾

أَسْتَكَاثُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا
وَوَثِّبْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَّنَ ثَوَابِ
الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿آل عمران: 137-148﴾.

- وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا
فَشَلْتُمْ وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا يُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ
يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا
عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ * إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلُوتَ عَلَى
أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَتَّبَكُمُ غَمًّا بَغِيًّا لِكَيْ لَا تَخْزَنُوا عَلَى
مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ
بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُعَاسًا يَعْشَى طَآئِفَةً مِنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ
الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي
أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ
لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَجِّصَ مَا فِي
قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ
إِنَّمَا أَسْتَأْذَنُ الشَّيْطَانَ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
حَلِيمٌ ﴿آل عمران: 152-155﴾.

وقد أكثر الباحث الاقتباس من النص القرآني مقاطع طويلة ليقارن القارئ ويلاحظ الاختلاف
الواضح بين السياق القرآني في التعقيب على نصر بدر الذي مثلته سورة الأنفال، وسياقات
التعقيب على الهزيمة الذي مثلته سورة آل عمران.

المطلب الثاني: الخطوط العريضة الكبرى في العودة إلى الذات بعد الفشل في غزوة أحد

بتدبر آيات آل عمران التي عقب فيها القرآن الكريم على غزوة أحد، وجد الباحث أنها تقوم على
ركيزتين اثنتين، أو محورين كبيرين لافتين، أراد القرآن أن يرسخهما في نفس كل فرد أو جماعة

تمر ويمر بمحطة من الفشل أو الهزيمة أو الانتكاسة، لتكون هاتان الركيزتان نصب عينيه عند عودته إلى الذات بعد محطة فشل أو إخفاق يمر بها، وهذان الخطان العريضان هما:

أولاً: المصارحة بالحقيقة حول سبب الهزيمة رغم ألمها وقسوتها.

الهزيمة مُرّة، والفشل ثقيل الوقع على النفس، لذلك تسعى في تلك اللحظة للتعلق بما يخفف آلامها ويمسح جراحها، وإن أسهل شيء عليها في تلك اللحظات الصعبة أن ترفع اللوم عن صاحبها وتلقي التبعة على سواها؛ فهي قد فعلت كل ما ينبغي فعله، وليس بالإمكان أبدع مما كان، لكن الظروف كانت أكبر منا!

لكن القرآن الكريم لا يريد للمسلم أن يخضع لهذه الحالة المرضية الفتاكة، ويعلمه أن أول خطوات العلاج، وأول ما يجب أن يلتفت إليه بعد الفشل هو الصراحة مع النفس مهما كان ذلك مؤلماً؛ لقد كان القرآن صريحا مع خير أهل الأرض من أحبابه الذين يحبهم ويحبونه فقال لهم بعد أحد وهم يتساءلون من هول الصدمة: لم حدث معنا هذا؟ لم أصابنا ما أصابنا؟ فأجابهم دون مواراة وبكل صراحة: **﴿أَوْلَمَّا أَصَبْتُمْ مَّصِيبَةً قَدِ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾** [آل عمران: 165]. "لقد تغيرتم أنتم أيها المسلمون، وتغير ما بأنفسكم، فغير الله مكانكم من النصر الذي كان دانيا لكم، قريبا من أيديكم."¹ وفي أولى خطوات مواجهة الفشل والتعامل معه للنهوض والاستدراك من مصارحة صادمة مؤلمة مع النفس يمكن تسجيل الملاحظات الآتية:

1) قانون الآخرة غير قانون الدنيا؛ ففي الآخرة يسامح الله المؤمنين ويتجاوز عن سيئاتهم وأخطائهم إن تابوا، أما في الدنيا فإن عليهم أن يدفعوا ثمن هذه الأخطاء! ففي أحد قال الله عز وجل لهم: **﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾** [آل عمران: 152] هذا في الآخرة، أما في الدنيا ففي الآية ذاتها يبين لهم أخطاءهم التي عفا الله عنها في الآخرة، لكنهم دفعوا ثمنها في الدنيا هزيمة بعد نصر كان في متناول اليد: **﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ**

¹ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (637/2).

وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ
 الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَّفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿آل عمران:152﴾. وفي قانون الدنيا لن ينفعكم إن أسأتم قريبكم من الله عز
 وجل: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ ۚ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء:123]. كما أنه لن يزرى بالمشركين عدوانهم لله
 إن هم أخذوا بأسباب النجاح.

(2) إن سابقة الإنجاز لا تبرر لاحقة الانتكاس، والإيمان وسابق الفضل والعطاء لا يعطي للمسلم
 الحق ليفعل ما يشاء اعتمادا على سابق هذا الفضل¹، ولا تلازم بين المنزلة العالية للمؤمن
 التقى عند ربه، وبين نتيجة العمل أن يكون نجاحا في كل مرة لأنه مؤمن فحسب. ولقد وضح
 لهم القرآن الكريم ذلك بصراحة، في سياق تعقيبه على ما أصابهم من هول ما أشيع عن مقتل
 النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد، فقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ
 الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ
 شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 144]. إن النكوص انقلابا على العقبين حتى
 لو كان تحت وقع صدمة خبر كهذا، لن يشفع له سابق فضل أو عطاء.

(3) يمكن لأي أحد أن يخفي ما في نفسه فيخدع الجميع، لكنه في نفسه يعلم الحقيقة: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ
 عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة:14]. ثم إنه صفحة مكشوفة أمام خالقه. وفي إطار المصارحة
 بالحقيقة كركيزة أساسية تحدد معالم العودة إلى الذات بعد الفشل، كان القرآن الكريم صريحا
 معهم في أن قسما منهم كان يخفي خلاف ما يظهر، وما يمثل هذه المواربة تنهض الأمم من
 فشلها. إن المصارحة مع النفس بكامل الحقيقة -مهما كان ألمها- هو سبيل النهوض. قال
 تعالى: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا

¹ يرى الباحث أن قصة حاطب بن أبي بلتعة، والحديث الصحيح حولها استثناء لا يقاس عليه، وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعلموا ما شئتم فقد غفرت لكم". البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: الجاسوس، (4/60)، (3007). والدليل أن مسطح من أهل بدر لكنه تم حده في حادثة الإفك، ثم إن المسلمين تعرضوا للعديد من الهزائم حتى بوجود البدرين بينهم.

مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا
مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا ﴿١٥٤﴾ [آل عمران: 154]. يصارحهم بما تخفي أنفسهم ليرببهم على
مصارحة النفس بالحقيقة مهما كانت قاسية.

(4) وهذه المصارحة مع النفس ضرورية مهما كان ألمها، ذلك أن التستر على الأخطاء لا يلغيها، بل يؤجلها لتظل تكبر وتكبر، فيكون السقوط الذي لا قيامة بعده، والعياذ بالله. وقيمة هذه المصارحة تأتي بعد التجربة المريرة التي عاشوها، حيث علموا من أنفسهم ما لم يكونوا يعلمونه من قبل. "ولقد يظن الإنسان في نفسه القدرة والشجاعة والتجرد والخلص من الشح والحرص.. ثم إذا هو يكشف -على ضوء التجربة العملية، وفي مواجهة الأحداث الواقعية- أن في نفسه عقابيل لم تمحص، وأنه لم يتهياً لمثل هذا المستوى من الضغوط! ومن الخير أن يعلم هذا في نفسه، ليعاود المحاولة في سببها من جديد"¹.

ثانياً: الفشل محله الميدان، ومحذور أن ينفذ إلى الروح والنفس

وهذا هو الخط العريض الثاني الذي لاحظته الباحث في سياق توجيه القرآن للمسلمين كيف يعودوا إلى الذات بعد الفشل، وما هي المعاني والعناصر التي عليهم أن يركزوا عليها في إطار هذه العودة. وهذا الخط التربوي العريض يلزم الخط السابق ويتكامل معه، فهما خطان متوازيان، وركيزتان متكاملتان، لا تغني فيهما واحدة عن أختها أبداً.

إن الفشل مدمر للفرد، وإن الهزيمة ثقيلة على الجماعة توقع بينها الشجار والتلاوم والعتاب وتحميل المسؤوليات. وقد يؤدي ذلك كله إلى الإحباط المميت، واليأس القاتل الذي يقود إلى سلسلة من الهزائم المتوالية، والإخفاقات المتكررة. وللشيطان مداخلة هنا من إلقاء في الروع أن التحديات أكبر من سبل المواجهة، وأن الكف لا تتأطح المخرز. أو أن الفرد أو الجماعة كتلة من الفشل، لا تصلح لشيء، ولا يمكن أن تصنع نجاحاً أبداً!

¹ قطب، في ظلال القرآن، (482/1-483).

وإن المتدبر للقرآن الكريم ليجد هنا يدا حانية رحيمة تمسح جراح الروح، وتطيب آلام النفس، وتأخذ بالمهزوم ترفع من همته. أجل، لقد كان القرآن صريحا معهم في أنهم سبب الهزيمة، لكنه بالمقابل يأخذ بأيديهم لينهضوا من جديد، فالهزيمة محلها الميدان، لا نفس الإنسان وروح الإنسان. انتهت المعركة إن دخلت الهزيمة الروح والنفس. والقرآن - كل القرآن - يبني النفس المنتصرة على الدوام، وفي سياقات آل عمران تعقيا على الهزيمة كان القرآن الكريم يقول للصحابه ما يرفع من معنوياتهم ويشد من أزرهم وينهض عزائمهم من جديد، وليتدبر المتأمل في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَهَوُّوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٩) **إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ** **وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** (١٤٠) **وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ** ﴿آل عمران: 139-141﴾.

وحين يلقي القرآن في روح المؤمن أنه الأعلى وإن هزم أو فشل، وأنه حبيب الله وإن عصاه فوكله لنفسه فأخفق، وأنه جزء من سنة الله التي جعل أيامها دولا بين الناس، فإن كانت الدولة لعدوه اليوم، فمؤمل أن تكون له غداً فلينهض، وأن ما أصابه ليس تخليا من ربه عنه بل هو تمحيص وتربية ليخرج من الإخفاق والفشل والهزيمة، أقوى شكيمة، وأصلب عودا، وقد تعلم جيدا من درسها المر. فحينئذ لا يسمح المسلم للهزيمة أن تدخل روحه، ولل فشل أن يستقر في نفسه، فينهض من جديد.

ومن معززات هذا المعنى، هذه المعية الإلهية التي يحيط الله عز وجل بها عباده، ويبينها لهم حتى وهم يفشلون ويعصون! وهذه المعية يجدها المتدبر لآيات آل عمران في مثل قوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ^ط وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ **سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا** **الرُّعْبَ** ﴿آل عمران: 150-151﴾.

وقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُبَاسًا يَعِشَى طَائِفَةً **مِّنْكُمْ** ﴿آل عمران: 154﴾. وغير ذلك من الآيات.

وهكذا بيني القرآن إنسانه وينشئه ويذكىه ويربيه، ويعلمه أن يعود إلى ذاته بعد الفشل فيصارعها، لتبحث عن مكامن الخلل، وتعلم أن النفس هي مصدره، ويحذر من أن يدخل الفشل إلى نفسه، والهزيمة إلى روحه، فيأخذ بيد روحه، ويشد من أزر نفسه استعلاء على جراح الفشل المقعدة المثبّطة.

وهذان خطان تربويان عريضان يطالب الفرد كما تطالب الجماعة بالتركيز عليهما بالتوازي والتكامل بعد كل محطة إخفاق أو فشل.

المطلب الثالث: التوجيهات التربوية في العودة إلى الذات بعد الفشل في غزوة أحد

وهذه بعض الملامح الهامة، والعناصر الضرورية الواجب الالتفات إليها في سياق العودة إلى الذات بعد الفشل، للفرد وللجماعة، كما بينها التوجيه القرآني الكريم.

أولاً: البحث عن السبب الحقيقي للفشل وعدم التعلق بالأوهام الخادعة

قد تولد صدمة الفشل لدى صاحبه ضبابية في الرؤية، فتضطرب معها تصوراتهِ للأمر، ويصبح عاجزاً عن تحديد سبب الخلل. ومن هنا حرص القرآن الكريم في سياق دعوته المسلم للعودة إلى الذات أن يحرص على عدم انحراف بوصلة تفكيره نحو التعلق بأسباب واهمة وتحميلها مسئولية الفشل، وترك الأسباب الحقيقية، والخطأ في التشخيص سيؤدي إلى الخطأ في العلاج، مما يعني استمرار الحالة المرضية وتفاقمها. ويمكن ملاحظة هذا التوجيه القرآني الموجّه لبوصلة التفكيرية نحو قبلة الحقيقة دوماً، عبر النقاط الآتية:

1) أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم، بعد هزيمة أحد، بالتزام الشورى، فقال تعالى:

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159]، وذلك حتى لا يظنن ظان

أن سبب الهزيمة هو نزولهم عند رأي الشورى، فيعلق الفشل على سبب خاطيء ناسيا السبب الحقيقي. ويحمل الأمر القرآني للنبي صلى الله عليه وسلم بضرورة التزام الشورى بعيد المعركة التي تبين أن رأي الأقلية فيها والمتمثل بالبقاء في المدينة هو الأصوب، يحمل دلالاته البليغة على أهمية مبدأ الشورى وكونه غير قابل للتفريط به حتى وإن تبين مرة أن اجتهاد الأقلية كان

هو الأصوب. وفي موضوع العودة إلى الذات يلفت القرآن الكريم انتباه المسلم إلى ضرورة البحث عن السبب الحقيقي للفشل، ويحذره من التعلق بأسباب وهمية. ذلك أن الفشل ثقيل الوقع على النفس، وقد يؤدي إلى ضبابية الرؤية، واضطراب التفكير، فيأتي التوجيه القرآني ليحذر من التشويش الفكري، وينذر من خطورة دخول (فيروسات) على برمجة العقل المسلم تفقده البوصلة نحو النهوض بإتباع السيئة الحسنة لمحوها. قال قطب: "ولقد كان من حق القيادة النبوية أن تنبذ مبدأ الشورى كله بعد المعركة. أمام ما أحدثته من انقسام في الصفوف في أخرج الظروف، وأمام النتائج المريرة التي انتهت إليها المعركة، ولكن الإسلام كان ينشئ أمة، ويربها، ويعدها لقيادة البشرية... ليقدر المبدأ في مواجهة أخطر الأخطار التي صاحبت استعماله... وليسقط الحجة الواهية التي تثار لإبطال هذا المبدأ... كلما نشأ عن استعماله بعض العواقب التي تبدو سيئة"¹.

(2) قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأْوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: 168]. وهنا أيضا توجيه رباني لعدم التعلق بالأسباب الوهمية، فهؤلاء ظنوا أن خروج من خرج للقتال هو الذي أدى لفقده حياته، ويصحح القرآن لهم هذه المغالطة سائلا إياهم بإنكار: فهل بقاؤكم في بيوتكم يمنع عنكم الموت؟ والجواب المعروف والواضح: لا. إذا فالخروج للقتال ليس سبب انتهاء الأجل. وفي إطار العودة إلى الذات بعد الفشل، يجد المتدبر للقرآن مثل هذه الآية تربيته على ضرورة البحث وراء السبب الحقيقي للفشل.

(3) من سلبيات الفشل والهزيمة، اضطراب الفلاتر العقلية التي تسمح بمرور نصح الصديق وتحجب وسوسة العدو، فيصاب الفاشل والمهزوم باضطراب يحول بينه وبين إمكانية تمييز العدو من الصديق. فنبه القرآن إلى خطورة ذلك في سياق دروس الهزيمة التربوية، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 149]. فقد يدخل العدو مشوشا ومقدما معلومات مغلوطة

¹ قطب، في ظلال القرآن، (501/1-502).

تساهم في تعميق الفشل، أو قد لا يكون عدوا لكنه ليس محل نصح، فيكون نصحه متلاقيا مع هدف العدو من حيث لا يدري، فمن الضرورة الانتباه ممن يزين الأمر بعرض المساعدة، غير أن طاعته تقود إلى الهاوية. وفي الآية التالية يوجه القرآن الكريم البوصلة العقلية نحو القبلة الصحيحة حتى لا تتحرف، يقول تعالى بعد ذلك مباشرة: ﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ الْمَوْلِيْنَ﴾ [آل عمران: 150].

4) تصحيح التصورات الأساسية، والالتفات إلى جذور المشكلة لا أعراضها، توجيه قرآني لافت في ذات السياق، فالمسلم مطالب بأن يضع يده على مكان الجرح كي يتمكن من علاجه، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: 156]. فأولئك قوم اضطربت بوصلتهم في معرفة الحقائق الأساسية كحقيقة الحياة والموت، فحذار أن يدفعكم الفشل لمثل هذا الاضطراب!

5) ويأتي التوجيه القرآني بعدم الحزن على خسارة موهومة، كخسارة من ليس منك، ومن لا يزيدك وجوده معك إلا وهنا وضعفا مما كنت تحسبه في صالحك، يأتي التوجيه القرآني هذا في سياق التحذير من التعلق بأسباب وهمية للفشل. قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يَسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوْا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِزْبًا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: 176].

ثانيا: الفشل هو الحلقة الأخيرة في سلسلة تراكمية من الأخطاء

من العناصر الهامة التي يوجه القرآن الكريم العقل المسلم للنظر فيها وهو يعود إلى ذاته بعد محطة فشل، كي يفتش عن الأخطاء التي أدت إليه، تفتيح آفاق ذهنه ليمتد عبر الزمان والمكان، فيتجاوز زمان الفشل ومكانه، ويعود للوراء يفتش عن أخطاء سابقة تم التهاون في متابعتها وعلاجها بالتوبة، فتراكمت وتزايدت، وكان لها أثر كبير في نتيجة الفشل الحاصل؛ فالفشل لم يكن نتاج خطأ أي لحظة الاختبار، لكنه كان نتيجة سلسلة من الأخطاء ممتدة عبر الزمان والمكان.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 155]. إنها ذنوب سابقة تلك التي قادت للفرار، ومن ثم الفشل. فليراجع كل مسلم صفحة أعماله السابقة، ويتجاوز ضغط اللحظة، ليفهم الخطأ كمنظومة متكاملة كان التفريط والتهاون في علاج حلقات سلسلتها الأولى هو الذي أدى إلى عاقبة الفشل الحاصل. والآية "في عمومها تصوير لحالة النفس البشرية حين ترتكب الخطيئة، فتفقد ثقتها في قوتها، ويضعف بالله ارتباطها، ويختل توازنها وتماسكها، وتصبح عرضة للوساوس والهواجس، بسبب تخلخل صلتها بالله وثقتها من رضاه! وعندئذ يجد الشيطان طريقه إلى هذه النفس، فيقودها إلى الزلة بعد الزلة، وهي بعيدة عن الحمى الأمن الركن الركين. ومن هنا كان الاستغفار من الذنب هو أول ما توجه به الربيون الذين قاتلوا مع النبيين في مواجهة الأعداء. الاستغفار الذي يردهم إلى الله، ويقوي صلتهم به، ويعفي قلوبهم من الأرجحة، ويطرد عنها الوسواس ويسد الثغرة التي يدخل منها الشيطان... هذه الثغرة التي يدخل منها فيزل أقدامهم مرة ومرة، حتى ينقطع بهم في التيه، بعيدا بعيدا عن الحمى الذي لا ينالهم فيه"¹.

ويقول الخطيب: "إن المعاصي التي يرتكبها المؤمن، هي قذائف مدمرة، تدك حصون إيمانه، فيجد الشيطان طريقه إليه، ثم يرميه الرمية القاتلة. وفي قوله تعالى: «ولقد عفا الله عنهم» إعلان كريم، من رب كريم، بالصلح الجميل، والمغفرة الواسعة، التي تصحح إيمان المؤمن، وتعيد بناءه أقوى قوة، وأشد صلابة! وفي قوله سبحانه: «إن الله غفور حلِيم» إعلان آخر عن سعة رحمة الله ومغفرته، وأنها تسع العصاة كما تسع الطائعين.. فحلمه يستدعي مغفرته أن تغفر للمذنبين، ولا تأخذهم بما اقترفوا، حتى يعذروا بهذا الصفح وتلك المغفرة، مرة، ومرات"². وعلى هذا، فالتوجيه التربوي القرآني للمسلم في عودته إلى الذات بعد الفشل يريد منه مراجعة شاملة تمتد عبر الزمان والمكان لاستدراك الفشل وتصحيح الخل.

¹ قطب، في ظلال القرآن، (497/1).

² الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (622/2).

ثالثاً: النجاح سلسلة متكاملة في كل الميادين

إذا كان البحث عن النجاح هو هدف المسلم، وذلك بالعمل على إنباع سيئة الفشل، بحسنة النجاح كي تمحوها، فإن القرآن الكريم يوجه انتباهه بعد محطة الفشل، أن النجاح سلسلة متكاملة في كل الميادين، والنجاح في ميدان منفصل نجاح معزول لا يلبث أن يفقده صاحبه، فلا بد من تدعيم النجاح بنجاحات أخرى، ويمكن استنباط هذا المعنى من تضمين القرآن الكريم في سياق حديثه عن المعركة هذه الآيات والتوجيهات التي تبدو خارجة عن سياق معركة أحد، ودروسها، وأسباب الفشل فيها. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ اللَّهُ لَنُوبِهِمْ وَإِن يَدْعُوا إِلَى مَعُونَةٍ أَوْ نَصْرٍ مِن دُونِ اللَّهِ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُنُودٌ مُّؤْتَمِنَةٌ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: 130-135]. وقبل هذه الآيات وبعدها حديث عن غزوة أحد، وهو أمر لافت، غير أن القرآن الكريم يلفت انتباه المسلم إلى ميدان أوسع وأفق أرحب، فالانتصار والنجاح يتجاوز محطة الحدث الراهن، ومطلوب من المسلم أن ينظر له على أنه نجاح في عدة ميادين تتكامل في حلقاتها لتصل بصاحبها إلى النجاح الكبير.¹

رابعاً: التركيز على النفس في علاج الفشل

لقد نبه القرآن الكريم المسلمين بعد هزيمة أحد إلى أخطاء في الاعتقاد والتصور، كالظن بالله غير الحق ظن الجاهلية، كما نبههم إلى أخطائهم في الميدان، والسبب في ذلك - والله أعلم - أن الأخطاء النفسية قد لا تكون ملاحظة، أو أنه قد يستهان بها، أو أن الخطأ النفسي إنما يسبق خطأ الميدان، كما أن في ذلك إشارة إلى أن بداية العلاج إنما يكون من داخل النفس، بتصحيح الأفكار

¹ ينظر: قطب، في ظلال القرآن، (458-459).

والمعتقدات أولاً، ويجد المتدبر للقرآن الكريم هذا المعنى في مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُبُوءًا يُعْشَىٰ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: 154]. إن ثمة ما تخفيه النفس من أفكار وتصورات

واعتقادات خاطئة، فإن لم تكن بداية التصحيح من هذه الأفكار والقيم والمعتقدات، فإنه لا أمل في النهوض بعد الفشل الذي سيتكرر لأن أسبابه ما زالت قائمة. ثم إن الأفكار والمعتقدات هي التي توجه سلوك الناس وتحدده، ومتى أصاب الخلل هذه المعتقدات والأفكار، فإن ذلك سينسحب لا محالة على السلوك والممارسات، فمن اعتقد خاطئاً أن الأجل تقربه الشجاعة والإقدام، ويؤخره الجبن والخور، فلن يكون منه إلا سلوك الجبن والخور، ومن ثم كان التوجيه القرآني في سياق الفشل كمعلم للعودة إلى الذات بعد الفشل، ينبه إلى ضرورة الانتباه إلى عالم الأفكار والمعتقدات، فإنها صانعة النجاح أو الفشل، ومحددة السلوك. يقول الدكتور إبراهيم الفقي: "من المحتمل ألا تستطيع التحكم في الظروف، ولكنك تستطيع التحكم في أفكارك، فالتفكير الإيجابي يؤدي إلى الفعل الإيجابي والنتائج الإيجابية"¹.

خامساً: المجموع يدفع ثمن خطأ القلة

في سياق العودة الجماعية إلى الذات بعد الفشل يبين القرآن عنصرين متكاملين في المسألة قد يبدو -للوهلة الأولى- أن بينهما تعارضاً، هما:

(1) التفريق بين من أحسن ومن أساء؛ فإن الناس أثناء الأداء الجماعي متفاوتون في البلاء. ولما كان العدل صفة الله سبحانه وتعالى، فإن القرآن الكريم يبين بداية هذا التفاوت في الأداء،

¹ الفقي، إبراهيم، قوة التفكير وتأثيره على أحاسيسك وسلوكك ونتائجك وواقع حياتك، شركات الدكتور إبراهيم الفقي للتنمية البشرية، (2007م)، (227). وللمزيد حول تأثير الأفكار والمعتقدات على سلوك الإنسان ومصيره ينظر: روبينز، أنتوني، أيقظ قواك الخفية، مكتبة دار جرير، (ط2)، (2001).

ويجد المتدبر للقرآن الكريم ذلك في قوله سبحانه: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ [آل عمران: 152].

(2) أن المجموع يدفع ثمن أخطاء القلة، وهي مسألة تحتاج إلى توضيح؛ فهل من العدل أن يتحمل المرء وزر غيره؟ أو ما الحكمة الإلهية في هذه المسألة؟ وقبل الإجابة فإنه ليس من نافلة القول التوضيح أن هذا الاستنتاج كان مثاله الواضح في (أحد)، أن الرماة وكان عددهم خمسين فقط، هم من أخطأ وكان سبب الهزيمة، بل ليسوا كلهم، إنما معظمهم، حيث ثبت حوالي عشرة صحابة مع أميرهم عبد الله بن جبير، غير أن جميع الجيش المسلم وعلى رأسهم النبي صلى الله عليه وسلم دفعوا الثمن! فما هي الحكمة من ذلك؟. وهنا يمكن الإشارة لما يأتي:

إن الإسلام يريد المؤمنين صفا كالبنيان المرصوص، إذا اشتكى منه عضو تداعى سائرهم، فلا مكان في هذا المجتمع المنشود المتماسك لباحث عن خلاص فردي لا يعبأ بمصير المجموع، ومن وصايا القرآن الكريم لتربية المجتمع المسلم على هذه الحيوية، قوله سبحانه وتعالى لهم محذرا: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً^ط وَأَعْلَامُ^ط أَنْتَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 25]. فالآية تقرر سنة ربانية ماضية في أن العقاب الدنيوي قد يشمل المجموع لا الظالمين فحسب. غير أن الشاهد المهم هنا أن هذا التحذير كان في سورة الأنفال، أي بعد غزوة بدر، فهل كان من أسباب هزيمة أحد أن تقصيرا جماعيا ما حدث من البدرين الذين تنزلت عليهم دروس بدر فلم يندروا قومهم إذا رجعوا إليهم بفحواها؟ لقد سلط القرآن الكريم الضوء على مسألة اختلاف الصحابة يوم بدر على الأنفال، وسمى السورة كلها بهذا الاسم تنبيها لهذا الخطأ. لكن الملاحظة أن خلل الرماة النازلين عن الجبل كان متعلقا بالغنائم التي نزلوا لجمعها؟ وهذا يدل دلالة واضحة على أن درس الأنفال، وتحذير القرآن من الخلل الذي وقع بعد ذلك النجاح الباهر، لم يترك فعله المراد منه في نفوس أولئك الرماة، وهذا يعني -فيما يعنيه- أن هناك خلافا في المجموع تمثل في تقصيرهم في غرس هذا الدرس في نفوس جميع أفراد الصف المسلم، مما أدى إلى أن أربعين صحابيا من الرماة وقعوا في الخلل ذاته.

لقد أكد الله عز وجل في سورة الأنفال، وبعد النجاح مباشرة على مسألة طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال:20]. ونبههم إلى خطورة التشوف للغنيمة فقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:1]. لكن الرماة في أحد عصوا الرسول صلى الله عليه وسلم، ونزلوا يطلبون الغنيمة¹. فهناك أوامر واضحة، ودروس تربوية صريحة، كانت بعد النجاح، لكن عدم الأخذ بها في المحطة اللاحقة أدى إلى الفشل، ولو أنه تمت الاستفادة منه لثم تجنب الفشل. وهذا يشير إلى أهمية العودة إلى الذات لمعرفة مواطن الخلل وتجنبه.

سادسا: استخلاص العبر والعظات من الفشل

هناك دروس لو ظل المرء يقرأ عنها وعن أهميتها، فإنها لا تتأصل في نفسه مثلما تتأصل حين يخوض تجربتها، ويعيش حيثياتها، ومن ثم فإن الله عز وجل يدرّب المسلم ويربيه في قلب المحنة ليفقه الدرس الذي ما كان له أن يفقهه لولا تلك المحنة. والله عز وجل يحب عباده المؤمنين، ويريد أن يكرمهم في الدنيا والآخرة، وإن من كرامته لهم في الدنيا أن يصقل شخصياتهم عبر التجارب العملية المرعبة. وفي آيات سورة آل عمران التي عالجت غزوة أحد، يبرهن الله عز وجل للمسلمين أن ما أصابهم من آلام الهزيمة وغمها وقرحها إنما هو في محصلته لتربيتهم وتركيتهم وتعليمهم، وإلا فإنه لولا فضل الله ورعايته لكان لهذه الآلام أن تكون قاتلة، ولكن الله سلم ولطف.

¹ حاول الباحث أن يبحث عن جواب سؤال: هل كان أحد من الرماة الذين نزلوا عن الجبل من البدرين الذين تنزلت عليهم دروس الأنفال في بدر، فلم يصل إلى نتيجة، ففي حين اهتمت مصادر السيرة والتاريخ بالبدرين فأحصت أسماءهم وتاريخهم، لم يجد الباحث في كل المصادر التي اطلع عليها أحدا يذكر أسماء الرماة في أحد. ولكن وعلى الرغم من رجحان أن أيا من البدرين لم يكن من الرماة، إذ لو كان لأشارت المصدر لذلك بسبب اهتمامها بالبدرين. ولكن عدم وجود أحد ممن تنزلت عليهم دروس الأنفال ضمن الرماة، لا يعفي أولئك البدرين من مسئولية التقصير في غرس دروس النصر في كامل الصف المسلم، مما أدى إلى ذلك الخلل، والله أعلم.

قال تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُهُمَا﴾ [آل عمران: 122]. فالفشل والإخفاق كان يمكن أن يكون أكبر، لكن الله عز وجل دفع ما كان أعظم. فهو الولي سبحانه الذي لا يتخلى عن أوليائه.

وعن حكمة وفلسفة دروس أحد، يقول سيد: "وغزوة أحد لم تكن معركة في الميدان وحده؛ إنما كانت معركة كذلك في الضمير.. كانت معركة ميدانها أوسع الميادين، لأن ميدان القتال فيها لم يكن إلا جانبا واحدا من ميدانها الهائل الذي دارت فيه.. ميدان النفس البشرية، وتصوراتها ومشاعرها، وأطماعها وشهواتها، و دوافعها وكوابحها، على العموم.. وكان القرآن هنالك يعالج هذه النفس بألطف وأعمق، وبأفعل وأشمل ما يعالج المحاربون أقرانهم في النزال! وكان النصر أولا، وكانت الهزيمة ثانيا، وكان الانتصار الكبير فيها بعد النصر والهزيمة.. انتصار المعرفة الواضحة والرؤية المستنيرة للحقائق التي جلاها القرآن، واستقرار المشاعر على هذه الحقائق استقرار اليقين. وتمحيص النفوس، وتمييز الصفوف، وانطلاق الجماعة المسلمة بعد ذلك -متحررة من كثير من غبش التصور، وتميع القيم، وتأرجح المشاعر، في الصف المسلم. وذلك بتميز المناققين... ووضوح تكاليف الإيمان. وتكاليف الدعوة إليه، والحركة به، ومقتضيات ذلك كله من الاستعداد بالمعرفة، والاستعداد بالتجرد، والاستعداد بالتنظيم، والتزام الطاعة والاتباع بعد هذا كله، والتوكل على الله وحده، في كل خطوة من خطوات الطريق، ورد الأمر إلى الله وحده في النصر والهزيمة، وفي الموت والحياة، وفي كل أمر وفي كل اتجاه... وصنع بهذه الجماعة ما تصنعه يد الله، عن علم وعن حكمة، وعن خبرة، وعن بصيرة."¹

وفي سياق عودة المسلم إلى ذاته بعد الفشل، يبصر يد الله الحانية التي تريد أن تسمح جراحه لتتهض به، فينهض ويطلب الجراح، ولا يقنط من رحمة الله.

¹ قطب، في ظلال القرآن، (1/458-459).

سابعاً: المقارنات الصحيحة المطلوبة بعد الفشل

نظراً لثقل الفشل على النفس، وصعوبة الملامة التي يخلفها الإخفاق، مع ما يصاحب ذلك من تحميل للمسئوليات، فإن النفس -فراراً من هذه المرحلة القاسية- تغري صاحبها بعمل مقارنات مغلوطة؛ بحيث تدفع نظره وتفكيره باتجاه المقارنة مع النماذج الفاشلة الأخرى، التي خاضت التجربة ذاتها ففشلت فيها، فيقول صاحب التجربة الجديدة الفاشلة في نفسه: لقد تعرض فلان وفلان للموقف ذاته ففشلوا فيه، فلا لوم علي! ويظن المرء أن إزاحة عبء اللوم عن كاهله إنما هو في مصلحته، ويتوهم أن في هذه الراحة المؤقتة خيره. فيما الحقيقة أنه يقود نفسه لتجربة جديدة من الفشل والإخفاق!

ولكن القرآن الكريم المربي والمزكي والمعلم للإنسان يأبى عليه هذا التخدير الفكري، ولا يرضى له تبدل الإحساس، بل يحرك فيه الرغبة والدافعية للنهوض من جديد، وما ألم هذا التحريك الضروري للدافعية والانطلاقة من جديد، إلا مرارة الدواء الشافي الذي لا بد منه حتى لو كان علقماً! ومن هنا فإن القرآن الكريم يوجه المسلم نحو المقارنات الصحيحة اللازمة بعد محطة الفشل؛ إنها مقارنته بنماذج النجاح التي تعرضت للموقف ذاته، فكان أداؤها خيراً من أدائه. وإن مثل هذه المقارنات لكفيل بأن ينهض همته، ويحفز عزمته، ويبعث في نفسه الأمل الفعال.

قال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّن نَّبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيبُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٦٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٦٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ [آل عمران: 146]. فلئن كانت الآيات السابقة لهذه الآيات فيها:

"من الله، هذا العتاب الرفيق، الذي يحمل الإعتاب والرضا، ويسوق الإحسان والرحمة، ويبعث في صدور المسلمين دفاء الأمل بالنصر للإسلام، والإعزاز للمسلمين، فيجدون في هذا كله العزاء الجميل لما أصابهم من جراح، في أجسامهم، ولما وقع في نفوسهم من مرارة الهزيمة، وعلو يد الكافرين عليهم في هذه المعركة، معركة أحد..وهنا، في قوله تعالى «وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير» صورة أخرى من صور العزاء والتسرية عن المسلمين، بما تحمل إليهم كلمات الله

من مواقف الإيمان والصبر، للمؤمنين في الأمم التي خلت، ممن صدق الرسل وجاهد في سبيل الله¹.

ثم هناك مقارنة أخرى، لكنها في المعسكر المضاد، معسكر الأعداء، وإن مثل هذه المقارنة فيها من التحفيز ما فيها، فإذا كان العدو الذي لا يؤمن بالله الذي تعرض لأكثر مما تعرضت له، قام ونهض حتى نجح، أفأكون أنا أعجز منه؟ وإن المتدبر لكلام الله عز وجل يجد ذلك في قوله سبحانه وتعالى للمؤمنين: ﴿أَوْلَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدَّ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 165]. وإن موضع الشاهد في الآية قوله سبحانه: ﴿أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدَّ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا﴾ [آل عمران: 165]. فما هم أعداؤكم المشركون قد أصيبوا في بدر بضعف ما أصبتم به اليوم، لكنهم نهضوا واستدركوا وأعدوا حتى استطاعوا تحقيق النجاح، أفأفكون هؤلاء المشركون الذين لا يرجون من الله ما ترجون من معية ولطف وعناية وأجر، أقدر منكم على النهوض؟ ألا إنها مقارنة محفزة تجعل المسلم يهتف من أعماق قلبه: ﴿يَوَيْلَئِيَّ أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْعَرَابِ﴾؟ [المائدة: 31].

كما يجد المتدبر للقرآن مثل هذا المعنى من المقارنات أيضا في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِن يَمَسَّكُمْ فَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: 140].

وهكذا يعلم القرآن الكريم المسلم وهو يعود إلى ذاته بعد الفشل أن يحسن عقد المقارنات مع النماذج الناجحة في صفه وفي صفوف الأعداء، كي يكون ذلك حافزا له على النهوض من جديد.

ثامنا: الندم الفعال وليس الحسرة القاتلة

"الندم توبة"² لكن الحسرة ذنب. والندم فعّال، لكن الحسرة مقعدة.

¹ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (608/2)

² حديث شريف رواه أحمد، وقال المحقق: صحيح. ينظر: ابن حنبل، مسند الإمام أحمد، (113/7)، (4012).

والندم يكون على خير فات لكن يمكن تداركه، أما الحسرة فهي الأسى على ما فات مما لا يمكن تداركه، لذلك كان يوم القيامة بالنسبة للكافرين يوم الحسرة.¹ قال تعالى: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: 39].

وإن من تلبيسات إبليس على الإنسان أن يعوّده التحسّر أسفاً على ما لا يمكن استدراكه أو تعويضه، ويحول بينه وبين الندم الذي يحفزه لاستدراك ما يمكن تصحيحه وتعويضه. لذلك فإن القرآن الكريم يوجّه المسلم في عودته إلى الذات بعد الفشل، أن يتقن الندم مفكراً بالممكن لاستدراكه، ويحذره من الحسرة التي تجعله يتعلق بالمستحيل فييأس ويقعد!

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ يُحْيِي ۖ وَيُمِيتُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: 156]. وأعجب الباحث رفض الخطيب لأقوال من قال من النحاة والمفسرين أن اللام في قوله سبحانه: (لإخوانهم) هي بمعنى: (عن)، فهم قالوا عنهم لا لهم، ذلك أن هؤلاء أحياء وأولئك أموات، فهم يقولون عنهم لا لهم. لكن الخطيب أكد أنها لام التعديّة فهم قالوا لهم على وجه الحقيقة، ثم يفسر ذلك بقوله: "هؤلاء المنافقين أو الكافرين... قد تلقوا مصرع من مات منهم في ميدان القتال، أو في طريقه إليه، قد تلقوه جزعين مدهولين... فتشتد حسرتهم، ويتضاعف ألمهم، ويخرج بهم ذلك إلى شيء من الهلوسة والخبيل، فيندبون موتاهم هؤلاء، وينادونهم منقريب نداءات منكرة محمومة: ألم أقل لك يا فلان لا تذهب إلى القتال؟ إنك لو أطعنتي لما أصابك سوء.. ألم أحذرك يا فلان عاقبة الأمر الذي انطلقت إليه؟ إنك لو استمعت إلي نصحي لما قطعت حبل حياتك وأنت في ريعان الصبا، وفتاء الشباب؟؟ وهكذا يظنون أيما وليالي ينادون، ويناجون، ويندبون موتاهم، ويستحضرونهم في تصوراتهم المريضة، ويرونهم في مصارعهم تنهشهم السباع وتتخطفهم الطير، فيزداد حزنهم، وتشتد حسرتهم"² لكنها حسرة مقعدة لأنها أسى على ما لا يمكن استدراكه. وهو ما حذر منه القرآن الكريم.

¹ ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، (9088/15).

² الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (625-624/2).

المطلب الرابع: استصحاب المنهج التربوي القرآني

بعد عمل مقارنة سريعة بين منهج العودة إلى الذات بعد النجاح، ومنهج العودة إلى الذات بعد الفشل، حسب الفلسفة التربوية القرآنية، يجد المتأمل الفروق الواضحة بين العودتين، فلكل عودة سماتها التي تميزها عن أختها، وما أحوج الأفراد والجماعات للانتباه لهذا التمايز، فيستصحب التربويون في الأمة المنهج التربوي القرآني، ويجعلونه هادياً في تربيتهم وتركيتهم لأنفسهم، ولمن يتولون رعايتهم وتنشئتهم من أبناء الأمة.

ويرفق الباحث الخطوط العريضة، والتوجيهات التربوية للعودتين في جدول واحد ليتبين التمايز الواضح بينهما. وبهذا الجدول يختم الباحث هذا الفصل، الذي يختم به هذا البحث.

جدول (1): مقارنة بين غزوة بدر وغزوة أحد من حيث العودة إلى الذات بعد النجاح أو الفشل.

غزوة بدر: (نموذج العودة إلى الذات بعد النجاح)	غزوة أحد: (نموذج العودة إلى الذات بعد الفشل)	
أولاً: تسليط الضوء على أي خطأ يسير في ضوء الإنجاز	أولاً: المصارحة بالحقيقة حول سبب الهزيمة رغم ألمها وقسوتها.	الخطوط العريضة
ثانياً: رد الفضل في تحقيق النجاح إلى الله عز وجل	ثانياً: الفشل محله الميدان، ومحذور أن ينفذ إلى الروح والنفس	
1/ تذكر الصعاب والمشاق السابقة التي قادت إلى النجاح لاستشعار حلاوته والتمسك به	1/ البحث عن السبب الحقيقي للفشل وعدم التعلق بالأوهام الخادعة	التوجيهات التربوية
2/ التركيز على العناصر النفسية وغير الظاهرة التي أدت إلى النجاح	2/ الفشل هو الحلقة الأخيرة في سلسلة تراكمية من الأخطاء	
3/ النجاح بداية العمل والتعب لا بداية الراحة والسكون	3/ النجاح سلسلة متكاملة في كل الميادين	
4/ تفعيل الطاقات الكامنة من أجل تحقيق المزيد من النجاح	4/ التركيز على النفس في علاج الفشل	
5/ المحافظة على النجاح والثبات عليه	5/ المجموع يدفع ثمن القلة	

6/ استخلاص العبر والعظات من الفشل	6/ بذل المزيد من الجهد والعمل لتحقيق النجاح	
7/ المقارنات الصحيحة المطلوبة بعد الفشل	7/ مواجهة المشكلة لا الهروب منها هو ما يقود إلى النجاح	
8/ الندم الفعال وليس الحسرة القاتلة	8/ التحذير من الغرور وعدم الاستفادة من تجارب الآخرين	

الخاتمة

وفي كل آخر يليق استئناف الحمد لرب كريم، أعان ووفق وهدى ويسر، فله الحمد في الأولى وفي الآخرة، وبعد:

فما زال القرآن كريما يعطي، وهاديا ليرشد، ومعلما ليربي، وملهما ليقود، لم نغترف من نبع عطائه الذي لا ينضب إلا غرفة واحدة: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف:109]. ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ﴾ [القمان:27]. وقد حاول الباحث في هذه الدراسة أن يبين بعض هذا العطاء التربوي القرآني لهذا الإنسان، من خلال تعليمه كيف يعود إلى ذاته بعد كل حدث، ليبحث عن نقاط الضعف فيصححها، ونقاط القوة فيراكمها ويبنى عليها. وكان من أهم النتائج التي توصل إليها الباحث ما يأتي:

1. العودة إلى الذات في جانبها الفردي تعني رجوع المرء إلى نفسه بكل مكوناتها العقلية والقلبية، وتعني في جانبها الجماعي رجوع الأمة بحكامها ومحكومياتها، ونظمها ومؤسساتها إلى نفسها، حيث البحث دوما في فعالية الأداء والممارسة بهدف التصحيح والارتقاء بشكل مستمر.
2. العودة إلى الذات مصطلح لم يستخدمه القرآن لفظا، لكن مفهومه ومعناه كان حاضرا بقوة في آياته الكريمة، ومن الألفاظ القرآنية الدالة على معنى العودة إلى الذات: التوبة، والاستغفار، والإنابة، والرجوع إلى النفس، والنفس اللوامة، والاعتراف بظلم النفس، والنظر، والتغيير.
3. العودة إلى الذات تساعد الإنسان في رسم مستقبله بالاستفادة من ماضيه، وهذا المعنى لا يتعارض مع مفهوم الإيمان بالقدر بل يتكامل معه؛ حيث الإيمان بفعل الله المطلق وتقديره المسبق للخلق وأحداثه، لا ينفي مسؤولية المرء عن أفعاله وبالتالي مسؤوليته عن تحديد مستقبله ومصيره في الدنيا والآخرة.

4. تزكية الإنسان وتعليمه، ومساعدته على النجاح في حمل الأمانة والقيام بمهمة الاستخلاف في الأرض، محور القرآن الكريم، وتبرز أهمية تربية الإنسان على العودة إلى الذات بعد كل حدث

على مستوى الفرد والجماعة، من خلال معرفة استحالة قدرة الإنسان على تحقيق هذا النجاح الذي يسعده في الدارين إلا باعتياده العودة إلى ذاته فرداً وجماعة في كل وقت وبعد كل حدث.

5. خلق الله الإنسان ضعيفاً، لكنه سبحانه منحه ملكات ومواهب، وسخر له الكون طوعاً أو تطويماً. وحين أمره بالسعي والبحث، علمه كيف يعود إلى ذاته ليكتشف مواهبه التي تمكنه من التغلب على نقاط ضعفه كي يكون سيد الأرض كما أراد له ربه عز وجل.

6. رغب القرآن الكريم المسلمين بالعودة إلى الذات عندما ضرب لهم نماذج المثل الأعلى من الأنبياء والصالحين الذين يعودون إلى ذواتهم بعد كل حدث وموقف، ويراجعون سلوكهم وممارساتهم. في حين بين القرآن أن إلقاء التبعة على الغير وتبرئة الذات هو منهج إبليس الرجيم.

7. من الأمثلة التي يجدر الانتباه لها أثناء العودة الفردية إلى الذات، الحذر من مرضي الاستضعاف والطغيان، وأن قدسية المبادئ مقدمة على مكانة الأشخاص، بالإضافة إلى ضرورة ملاحظة البعد المقاصدي في التكاليف وربطه بالقيم.

8. وفي العودة الجماعية للذات يلزم على القيادة التميز بسعة الصدر والاستماع للنصيحة، ورفع مستوى الوعي عند الأمة، وبناء وتفعيل المؤسسات للقيام بمهمة التقييم والمراجعة، وإعادة الاعتبار لمفهوم التزكية.

9. حفز القرآن الكريم المسلم على العودة إلى الذات من خلال حثه على التزام القيم والأخلاق الآتية: التقوى، والإحسان في العمل وإتقانه، وبيان الأجر العظيم للعودة إلى الذات.

10. نبه القرآن الكريم المسلم إلى وجود معيقات تمنع عودته إلى ذاته، أو تحول دون تحقيقها نتائجها المأمولة، منها: العجب والكبر، والهوى، وثقل الموروث وصنمية الآباء، وتعطيل الحواس، والغفلة واللهو.

11. بين القرآن الكريم أن للعودة إلى الذات بعد النجاح ملامح وسمات، تختلف عنها حين العودة إلى الذات بعد الفشل. وباستعراض آيات سورة الأنفال عن غزوة بدر، وآيات سورة آل عمران

عن غزوة أحد تتضح هذه الفروق الملهمة لكل مرب يريد أن يستصحب المنهج التربوي القرآني في تربيته وإصلاحه.

12. تقوم الخطوط العريضة للعودة إلى الذات بعد النجاح على أساس تسليط الضوء على الخل اليسير المصاحب للنجاح، ورد فضل النجاح إلى الله عز وجل. بينما تقوم الخطوط العريضة للعودة إلى الذات بعد الفشل على أساس المصارحة بالحقيقة رغم ألمها وقسوتها، والتحذير من دخول الفشل إلى النفس والروح لأن محله الميدان فقط.

13. من التوجيهات القرآنية التربوية في العودة إلى الذات بعد النجاح: تذكر الصعاب التي قادت للنجاح بهدف التمسك به، والانتباه إلى العناصر غير الظاهرة التي أدت للنجاح، والنجاح بداية العمل لا الراحة، ومواجهة المشكلة لا الهروب منها هو ما يقود إلى النجاح، والتحذير من الغرور وعدم الاستفادة من تجارب الآخرين.

14. من التوجيهات القرآنية التربوية في العودة إلى الذات بعد الفشل: البحث عن السبب الحقيقي للفشل وعدم التعلق بالأوهام الخادعة، والفشل هو الحلقة الأخيرة في سلسلة تراكمية من الأخطاء، والتركيز على النفس في علاج الفشل، والمجموع يدفع ثمن خطأ القلة، وضرورة معرفة المقارنات الصحيحة بعد الفشل، والمطلوب هو الندم الفعال لا الحسرة القاتلة.

التوصيات:

يوصي الباحث بضرورة توجيه أنظار التربويين لاتباع المنهج التربوي القرآني في تعقيباته على الأحداث والوقائع، واستخلاص الدروس المرعبة الخاصة بكل حدث، وملاحظة التمايز في توجيه التربوي بما يلائم طبيعة الحدث، وذلك لاستصحاب المنهج التربوي القرآني في معالجة أحداث مماثلة، الأمر الذي قد يقود إلى استخلاص نظرية تربوية قرآنية متكاملة.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
1	28	﴿يُرِيدُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾	النساء
1	165	﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾	آل عمران
49، 3	14	﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾	الملك
9	69	﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى﴾	الإسراء
9	21	﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾	طه
47، 11	15	﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُمِينُ﴾	الزمر
14	160	﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَاُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾	البقرة
14	143	﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾	الأعراف
14	8	﴿يَتَّيَّبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ جَارِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾	التحريم
16	199-198	﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	البقرة

17	17	﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الظُّلُمَاتِ أَن يعبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبَشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾	الزمر
17	75	﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾	هود
17	124	﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾	البقرة
18	13	﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾	غافر
21	64-58	﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِإِلَهِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَدُكُرُّهُ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِإِلَهِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾	الأنبياء
22	64	﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾	الأنبياء
22	65	﴿ثُمَّ نَكَّسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾	الأنبياء
22	2-1	﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾	القيامة
23	46	﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ﴿٤٦﴾ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾	فصلت
23	15	﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ﴿١٥﴾ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾	الإسراء
24، 50، 72	23	﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا	الأعراف

		لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٦﴾	
24	16	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾	القصص
24	44	﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسَأْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	النمل
18	18	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَاتَّقُوا نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾	الحشر
19	19	﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفٰلِسِقُونَ﴾	الحشر
20	11	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾	الرعد
20	53	﴿ذٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾	الأنفال
25	3	﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾	البقرة
26	2	﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ وَتَقْدِيرًا﴾	الفرقان
26	38	﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾	الأحزاب
26	107	﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾	هود
27	23	﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَا تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾	الفتح
85، 29	29	﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾	الكهف
31	8-7	﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾	الزلزلة
153، 31	123	﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ	النساء

		﴿وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾	
31	40	﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾	التوبة
135، 31	17	﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	الأنفال
33	32	﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾	التوبة
33	30	﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ﴾	الأنفال
33	46	﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾	إبراهيم
35	165	﴿أَوَلَمَّا أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾	آل عمران
35	120	﴿وَإِن تَصَبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾	آل عمران
39	1	﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾	إبراهيم
39	129	﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	البقرة
39	151	﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾	البقرة
40	164	﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ	آل عمران

		الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٠﴾	
40	2	﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤١﴾﴾	الجمعة
43	54	﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٤٢﴾﴾	الروم
45	33-30	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴿٤٣﴾ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٥﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٤٦﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٤٧﴾﴾	البقرة
45	13-12	﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَارْتَبَعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٨﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾	الجمعة
46	56	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٠﴾﴾	الذاريات

46	124	﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾	طه
46	77	﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾	القصص
47	38	﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾	التوبة
48	232	﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرْضَوْنَ بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾	البقرة
48	45-44	﴿لَا يَسْتَعِذُّكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَعِذُّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾	التوبة
49	286	﴿لَا يَكُفُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾	البقرة
49	118	﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾	التوبة
50	37-35	﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَازْلَمَ الشَّيْطَانُ عَنَّهُمَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾	البقرة
51	136-135	﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾	آل عمران

		ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَعِمْ أَجْرُ الْعَمِلِينَ ﴿١٣٦﴾	
51	53	﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾	الزمر
54	134	﴿ وَالكَافِرِينَ الْغَائِقِينَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾	آل عمران
54	159	﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾	آل عمران
98، 54	79	﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾	المائدة
55	4-3	﴿ الَّذِي خَلَقَ سَمْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾	الملك
59	194-190	﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا	آل عمران

66	142	﴿وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾	الأعراف
66	88	﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾	هود
66	152-151	﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾	الشعراء
66	25	﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾	الأنفال
61	246	﴿الْمَرْتَرِ إِلَى الْمَلَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذِ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أبعثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾	البقرة
61	143	﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾	آل عمران
61	2	﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ أَنِمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾	الملك
62	41-38	﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ﴿٣٩﴾ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِيُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٤٠﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ﴿٤١﴾ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴿٤٢﴾ وَوَقَّاتٌ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾	طه

		وَفَتَّتَكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَمْوَسِي ﴿٥٠﴾ وَأَصْطَبَعْتِكَ لِنَفْسِي ﴿٥١﴾	
62	11-10	﴿إِذْ جَاءَهُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾	الأحزاب
62	12	﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾	الأحزاب
62	22	﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾	الأحزاب
63	13	﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَعِجْفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ ﴿١٣﴾ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقِيلَ لَهُمْ مِنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾	سبأ
63	40	﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴿٤١﴾ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴿٤٢﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾	النمل
66	37-35	﴿إِنَّهَا لِأَحَدَى الْأَكْبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾	المدثر
67	6	﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾	فاطر
68	120-117	﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مُنِيْنَهُمْ﴾	النساء

		<p>وَلَا مَرْتَبَهُمْ فَلْيَبْتِكُنَّ عَادَاتِ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْتَبَهُمْ فَلْيَغْيِرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمْنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾</p>	
68	105-103	<p>﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٣٠﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٣١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْنَ﴾</p>	الكهف
72	47-46	<p>﴿قَالَ يَنْفُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَأْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطَكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾</p>	هود
73	17-16	<p>﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾</p>	القصص
73	24	<p>﴿وَطَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾﴾</p>	ص
73	35-34	<p>﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ﴿٣٥﴾ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٦﴾﴾</p>	ص
75	17-16	<p>﴿قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأَتَّبِعَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا يَجِدُ أَكْثَرُهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾</p>	الأعراف
75	40-39	<p>﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أُغْوَيْتَنِي لَأُرِيَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ</p>	الحجر

		﴿وَأَغْوَيْتَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٦﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾	
75	50	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴿١٧﴾ فَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾	الكهف
78	128	﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴿١٣٧﴾ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾	الأعراف
78	137	﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾	آل عمران
79	4	﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَخْتَمْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا أوثَاقًا فِيمَا مَنَّا بَعْدَ وَاثِمًا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أوزَارَهَا ﴿٤﴾ ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوًا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾	محمد
79	69	﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾	العنكبوت
79	9	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيَهُمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾	يونس
79	153	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾	البقرة
80	12	﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَوَعَّضْنَا مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَفِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ	المائدة

		ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٤٠﴾	
80	6-5	﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥٠﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥١﴾﴾	الشرح
81	31-30	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴿٣٠﴾ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴿٣٣﴾﴾	البقرة
81	72	﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾	الأحزاب
83	38-34	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿٣٤﴾ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٥﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٦﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴿٣٧﴾ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٩﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٠﴾﴾	البقرة
109 ، 83	222	﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿١٠٩﴾﴾	البقرة
84	3	﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٨٤﴾﴾	الإنسان
85	179	﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴿٨٥﴾﴾	الأعراف
85	46	﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴿٤٦﴾ أَوْ أذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴿٤٧﴾ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ	الحج

		تَعَمَّى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿١٠٠﴾	
86	89	﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾	النحل
87	60	﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ ۗ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	النحل
88	19	﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾	محمد
88	25	﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾	لقمان
88	3	﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾	يونس
88	13	﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَأَلَّهٖ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾	التوبة
89	11	﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾	الفتح
89	14	﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾	العلق
89	4	﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾	الحديد
89	1	﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾	العلق
89	7-6	﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿٦﴾ ۗ إِنَّ رِءَاةَ أَسْتَعْتَبَ ﴿٧﴾﴾	العلق
90	27	﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾	الشورى
90	13	﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾	لقمان
90	33-31	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ ۗ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ ۗ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ ۗ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرٌ آلِيلٍ ۗ وَالنَّهَارِ إِذْ	سبأ

		تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَعْتَلَّ فِيْ أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٠﴾	
90	97	﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمُتَكِبِينَ الظَّالِمِينَ أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا لِمَ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَأَسْعَىٰ فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٠١﴾﴾	النساء
91	11-1	﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٤﴾ أَمَا مِنْ أَسْتَعْتَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنْتَ لَهُ صَدِّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَا مِنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَجْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾﴾	عبس
91	153-152	﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِأَذْنِهِ ﴿١٥٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُشِلْتُمْ وَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ﴿١٥٤﴾ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفْنَا عَنْهُمْ غَضَبَنَا لِنِيبَتِكُمْ ﴿١٥٥﴾ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٦﴾﴾ * إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَىٰكُمْ فَأَثْبِتْكُمْ غَمًّا بَعِمَ لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴿١٥٧﴾ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٨﴾﴾	آل عمران
93	45	﴿وَاقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴿٤٥﴾﴾	العنكبوت
95	31	﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾	النور

		﴿تُفْلِحُونَ﴾	
96	21	﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾	الأحزاب
96	4	﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾	المتحنة
96	84	﴿وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾	التوبة
97	110	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾	آل عمران
99	83	﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾	النساء
41	10-7	﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾	الشمس
100	70	﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾	الإسراء
100	34	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾	البقرة
101	8	﴿لَا يَنْهَدِكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾	المتحنة
101	3-1	﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾	العصر
105	7	﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	المجادلة

112، 105	201	﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَإِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾	الأعراف
105	19-18	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفٰلْسِفُونَ﴾	الحشر
106	56	﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾	الأعراف
108	27-25	﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّذَبِّحِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذٰلِكَ جَزَاءُ الْكٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	التوبة
108	11	﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَبِيرٌ لَّكُم لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَّا اَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	النور
110	28-26	﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ۗ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾	النساء
110	70	﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾	الفرقان

110	82	﴿وَلِيٍّ لِّعَقَابٍ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ أَهْتَدَى﴾	طه
111	146	﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾	آل عمران
111	76-75	﴿وَمَن يَأْتِهِ مَوْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّى﴾	طه
111	14	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى﴾	الأعلى
111	103	﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَيُزَكِّيهِم بِهَا﴾	التوبة
112	112	﴿التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمَلَكُوتِ الْمَرْكُومُونَ الْمَلَكُوتِ الْمَلَكُوتِ الْمَلَكُوتِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾	التوبة
112	135	﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾	آل عمران
112	148-146	﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِيشُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾	آل عمران

113	34	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾	البقرة
113	25	﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعَجَبْتَكُمْ كَثُرَتْكُمُ فَلَئِمَّ تَغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾	التوبة
114	21	﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَايِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾	الفرقان
116	14	﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾	النمل
125، 116	7	﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْدِعُهُمْ فِي عَادَتِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾	نوح
114	146	﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُفْلَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾	الأعراف
115	14	﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾	المطففين
116	30	﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾	المائدة
117	18	﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾	يوسف
118	68-58	﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَدْعُهُمْ يُقَالُ لَهُوَ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦١﴾ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٣﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ	الأنبياء

		هَذَا فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾	
119	23-22	﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أُولُو عِثْتِكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٦٤﴾﴾	الزخرف
120	53-52	﴿إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَائِلُ إِلَيَّ أَنْتُمْ لَهَا عَلَيْكُمْ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾	الأنبياء
120	4	﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَهْرَبَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ﴿٤﴾﴾	الممتحنة
122	36	﴿وَلَا تَقَفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْعُولًا ﴿٣٦﴾﴾	الإسراء
122	24	﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾﴾	عبس
122	99	﴿أَنْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ﴿٩٩﴾﴾	الأنعام
122	185	﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴿١٨٥﴾﴾	الأعراف
123	23-21	﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ *	الأنفال

		إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبِكْرُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾	
123	179	﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ ﴿٢٥﴾﴾	الأعراف
123	26	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾	فصلت
124	19	﴿تَسُوا اللَّهَ فأنَسَهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴿٢٧﴾﴾	الحشر
124	32	﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾	الأنعام
126	20	﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطْلَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٩﴾﴾، ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطْلَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٣٠﴾﴾	الحديد
126	70	﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتَهُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا ﴿٣١﴾﴾	الأنعام
127	51	﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَعَرَّتَهُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا ﴿٣٢﴾﴾	الأعراف

		فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٣٢﴾	
132، 133، 161	1	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٣﴾﴾	الأنفال
132	8-7	﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾	الأنفال
132، 135	12	﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾	الأنفال
132	41	﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمْسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّلَاقِ الْجَمْعَانِ ﴿٤١﴾ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٢﴾﴾	الأنفال
132	44-42	﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوقِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدُوقِ الْفُصُوصِ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنِنَا وَيُخَيَّرَ مَنْ حَتَّ عَن بَيْنِنَا ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٣﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ أَرَدْنَا لَهُمْ فَشَلَمٌ وَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ	الأنفال

		بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّمَيُّمِ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾	
135	9	﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾	الأنفال
135	11	﴿إِذْ يُعْشِيكُمُ النَّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهَبَ عَنْكُمُ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾	الأنفال
137	26	﴿وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعِفُونَ فِي الْأَرْضِ مَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبَصَرِهِ وَرَزَقَكُمُ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	الأنفال
138	13	﴿أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾	سبأ
138	47	﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾	الأنفال
139	60	﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مَن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾	الأنفال
139	60	﴿وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾	الأنفال
141	66-65	﴿يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِّنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ۗ وَإِنْ يَكُنْ مِّنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۗ إِنْ يَكُنْ مِّنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ۗ وَإِنْ	الأنفال

		يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَعْلَبُونَ أَلْفِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٠﴾	
141	12	﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾	الأنفال
141	45	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾	الأنفال
142	8-7	﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾	الأنفال
143	15	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُلُوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾	الأنفال
143	16	﴿وَمَنْ يُؤَلِّهْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾	الأنفال
144	23-20	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَأنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾	الأنفال
148	123-121	﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَايْتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ	آل عمران

		تَشْكُرُونَ ﴿١٤٢﴾	
149	148-137	<p>﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِنْ يَمَسُّكُمْ فَجْءٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَجْءٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أُنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِثِيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾</p>	آل عمران

149	155-152	<p>﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَّا نُحِبُّونَ مِّنكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفْنَا عَنْهُمْ لِبَتْلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلُوتَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثْبَكُمْ غَمًّا بِغَمٍ لَّكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٦﴾</p>	آل عمران
150	165	<p>﴿أَوَلَمَّْا أَصَبْتَكُمْ مُّصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ﴾</p>	آل عمران
150	152	<p>﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾</p>	آل عمران

151	152	﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ ۚ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۚ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾	آل عمران
151	144	﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾	آل عمران
151	14	﴿بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾	القيامة
152	154	﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾	آل عمران
153	141-139	﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِنْ يَمَسُّكُمْ فِي ذَلِكَ مِنَّ الْقَوْمِ فَزُجْرٌ مِثْلَهُ ۗ وَتِلْكَ الْآيَاتُ نُنزِّلُهَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ لَعَلَّكَ تَتَّقِي ۗ وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيَمَّحَصَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ﴾	آل عمران
153	151-150	﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلَاقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾	آل عمران
154	154	﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُبَإًا يُغَشِي طَائِفَةً مِنْكُمْ﴾	آل عمران

154	159	﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾	آل عمران
155	168	﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَتَلُوا قُلًّا فَأَذْرُوهُ عَن أَنْفُسِكُمْ أَلَمْ تَكُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	آل عمران
156	149	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾	آل عمران
156	150	﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾	آل عمران
165، 156	156	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَىٰ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكُ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	آل عمران
156	176	﴿وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَصُرُوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	آل عمران
157	155	﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۖ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾	آل عمران
158	135-130	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ * وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا	آل عمران

		اللَّهُ فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَعْفُرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٥٩﴾	
159	154	﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّو كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٦٠﴾	آل عمران
160	152	﴿مِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴿١٦١﴾	آل عمران
160	25	﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٦٢﴾	الأنفال
161	20	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿١٦٣﴾	الأنفال
162	122	﴿إِذْ هَمَّتْ طَآئِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا ﴿١٦٤﴾	آل عمران
163	146	﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِيشُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٦٥﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٦٦﴾ فَغَاتَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَّ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦٧﴾	آل عمران
164	165	﴿أَوَلَمْآ أَصَبْتَكُمْ مُّصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ	آل عمران

		هَذَا قَوْلٌ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٤﴾	
164	165	﴿أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا﴾	آل عمران
164	31	﴿يَوَيْلَ لِيَ أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغَرَابِ﴾	المائدة
164	140	﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ فَجْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَجْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْآيَاتُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾	آل عمران
165	39	﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	مريم
165	156	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّئُ وَيُمَيِّتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	آل عمران
168	109	﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾	الكهف
168	27	﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ﴾	لقمان
32	30	﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾	الإنسان
66	17	﴿يَبْنَئِ أَقِيمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾	لقمان
79	17	﴿وَالَّذِينَ هَتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى﴾	محمد

الحديث الشريف

الصفحة	طرف الحديث
15	"والله إنني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة"
30	"أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم والناس يتكلمون في القدر..."
31	"ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما"

31	"نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله"
34	"كان يوم بعث، يوماً قدمه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم..."
52	"له أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحته بأرض فلاة..."
74	"كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا صلى قام حتى تفطر رجلاه..."
74	"رب اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري كله، وما أنت أعلم به مني..."
80	"قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني، والله له أفرح..."
83	"كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون"
84	"إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه يقول: ما أردت بكلمتي، يقول: ما أردت بأكلتي..."
85	"...ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد..."
89	"يا غلام، إنني معلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا..."
91	"إن عائشة قد سارت إلى البصرة، ووالله إنها لزوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم..."
94	"أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها، وإن قل"
96	"فمن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم، أنه قال: لما مات عبد الله بن أبي ابن..."
97	"فلم نعطي الدنيا في ديننا"
98	"أن عمر قال يوماً في مجلس وحوله المهاجرون والأنصار: رأيتم لو ترخصت..."
99	"ما هذا يا صاحب الطعام؟" قال أصابته السماء يا رسول الله، قال: «أفلا جعلته..."
106	"الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"
107	"اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد"
115	"إننا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: «وقد وجدتموه؟» قالوا: نعم..."
140	"من خير معاش الناس لهم، رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله، يطير على..."
151	"إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر..."
164	"الندم توبة"

الكتب

- الأثري، أكرم بن محمد، معجم شيوخ الطبري الذين روى عنهم في كتبه المسندة المطبوعة، تقديم: باسم الجوابرة، وسليم الهلالي، وعلي الحلبي، وآخرين، الدار الأثرية، الأردن- دار ابن عفان، القاهرة، (ط1) (1426هـ-2005م).
- آر كوفي، ستيفن، العادات السبع، مكتبة جرير، (ط10)، (2005م).
- الأسدي، محمد علي هاشم، الحسبة هيكلها الإداري وطبيعتها القضائية، كلية الإمارات للعلوم التربوية، مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع المحكمة، (ع3) (فبراير 2016).
- الألباني، محمد ناصر الدين ت:1420هـ، صحيح الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي.
- الألوسي، محمود بن عبد الله ت:1270هـ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، (1415هـ).
- الأمير، بهاء، شفرة سورة الإسراء: بنو إسرائيل والحركات السرية في القرآن، مكتبة مدبولي، القاهرة، (ط1)، (2015م).
- الأنصاري، فريد، مجالس القرآن: مدارسات في رسالات الهدى المنهاجي للقرآن الكريم من التلقي للتنفيذ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، (ط2)، (1431هـ-2010م).
- البخاري، محمد بن إسماعيل ت: 256هـ، صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير، دار طوق النجاة، (ط1) (1422هـ).
- البخاري، محمد بن إسماعيل ت:256هـ، التاريخ الكبير، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد-الذكن، (98/2). ورواته ثقات وكلهم روى له البخاري في صحيحه.

- أبو البقاء، أيوب بن موسى ت:1094هـ، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر ت:885هـ، نظم الدرر في تناسب الآي والسور، دار الكتب الإسلامي، القاهرة.
- بكار، عبد الكريم، تشكيل عقلية إسلامية معاصرة، دار الأعلام، عمان، (ط1) (1423هـ-2003م).
- بكار، عبد الكريم، جدد عقلك، دار الأعلام، عمان، (ط1) (1423هـ-2003م).
- بكار، عبد الكريم، مدخل إلى التنمية المتكاملة رؤية إسلامية، دار القلم، دمشق، (ط1) (1420هـ-1999م).
- الترابي، حسن، السياسة والحكم: النظم السلطانية بين الأصول وسنن الواقع، دار الساقى، (ط1)، (2003م).
- الترمذي، محمد بن عيسى ت:279هـ، سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاکر، ومحمد عبد الباقي وآخرين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي، مصر، (ط2)، (1395هـ-1975م).
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم ت:728هـ، العبودية، تحقيق: محمد الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، (ط7) المجددة، (1426هـ-2005م).
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم ت:728هـ، مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، (1416هـ-1995م).
- جبل: محمد حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، (ط1)، (2010م).

- الجرجاني، علي بن محمد ت: 816هـ، التعريفات، تحقيق وضبط وتصحيح جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية-بيروت، (ط1)، (1403هـ-1983م).
- الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي ت: 597هـ، صيد الخاطر، بعناية: حسن سويدان، دار القلم، دمشق، (ط1)، (1425هـ-2004م).
- ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد ت: 327هـ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد الطيب، مكتبة مصطفى نزار الباز-المملكة العربية السعودية، (ط3)، (1419هـ).
- حسنة، عمر عبید، مقالات في التفكير المقصدي رؤية في إطار معرفة الوحي، المكتب الإسلامي، (ط1)، (1420هـ-1999م).
- ابن حنبل، أحمد بن محمد ت: 241هـ، الزهد، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، (1420هـ-1999م).
- ابن حنبل، أحمد بن محمد ت: 241هـ، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد وآخرين، مؤسسة الرسالة، (ط1)، (1421هـ-2001م).
- أبو حيان، محمد بن يوسف ت: 745هـ، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي جميل، دار الفكر، بيروت، (1420هـ).
- الخطيب، عبد الكريم يونس ت: بعد 1390هـ، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة.
- خليل، عماد الدين، حول تشكيل العقل المسلم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، (ط4)، (1412هـ-1991م).

- خليل، عماد الدين، *دور المفكرين والمثقفين في بناء منهجية علمية للتعامل مع الأزمات*، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر المحكمة، (ع100)، (1441هـ-2020).
- خنفر، وضاح، *الربيع الأول: قراءة سياسية واستراتيجية في السيرة النبوية*، جسور للترجمة والنشر، بيروت، (ط1)، (2020م).
- ابن أبي خيثمة، أحمد أبو بكر ت: 279هـ، *التاريخ الكبير المعروف بتاريخ ابن أبي خيثمة-السفر الثاني*، تحقيق صلاح هلال، الفروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، (ط1)، (1427هـ-2006م).
- الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن ت: 255هـ، *سنن الدارمي*، تحقيق: حسين الداراني، دار المغني، المملكة العربية السعودية، (ط1)، (1412هـ-2000م).
- الرازي، محمد بن عمر ت: 606هـ، *مفاتيح الغيب = التفسير الكبير*، دار إحياء التراث العربي، بيروت (ط3)، (1420هـ).
- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد ت: 502هـ، *المفردات في غريب القرآن*، تحقيق: صفوان الداودي، دار القلم، الدار الشامية-دمشق، بيروت (ط1)، (1412هـ).
- رضا، محمد رشيد ت: 1354هـ، *تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (1990م).
- الرفاعي، ضيف الله بن عيد، *ضعف الإنسان في القرآن الكريم*، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، مجلة كلية دار العلوم المحكمة، (ع108)، (نوفمبر، 2019).
- روبينز، أنتوني، *أيقظ قواك الخفية*، مكتبة دار جدير، (ط2)، (2001).
- الزبيدي، محمد بن محمد ت: 1205هـ، *تاج العروس*، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.

- الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، (ط2)، (1418هـ).
- زرمان، محمد، وظيفة الاستخلاف في القرآن الكريم دلالاتها وأبعادها الحضارية، مجلة حولية كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية، قطر، (ع16)، (1419هـ-1998م).
- زكي، رمضان خميس، مفهوم السنن الربانية: دراسة في ضوء القرآن الكريم، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالبحرين، جامعة الأزهر، (ع23، ج1)، (2005م).
- الزمخشري، محمود بن عمرو ت: 538هـ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت (ط3)، (1407هـ).
- أبو زهرة، محمد بن أحمد ت: 1394هـ، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي.
- زيدان، عبد الكريم، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، (ط1) (1413هـ-1993م).
- ابن سعد، محمد ت: 230هـ، الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، (1410هـ-1990م).
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، ت: 1376هـ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان = تفسير السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، (ط1)، (1420هـ-2000م).
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر ت: 911هـ، الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، تحقيق محمد الصباغ، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض.
- شاولي، أحمد توفيق، الإنسان في القرآن الكريم، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ندوة خبراء أسس التربية الإسلامية المحكمة، (جمادي الثاني، 1980م).

- شعب، محمد جواد، *التنمية في القرآن الكريم*، جامعة الكوفة، كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية المحكمة، (مج4)، (ع6، 7)، (حزيران، 2010م).
- الشعراوي، محمد متولي ت: 1418هـ، *تفسير الشعراوي-الخواطر*، مطابع أخبار اليوم، مصر
- الشنقيطي، محمد الأمين ت: 1393هـ، *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (1415هـ-1995م).
- الشنقيطي، محمد مختار، *الخلافات السياسية بين الصحابة رسالة في مكانة الأشخاص و قدسية المبادئ*، مؤسسة أم القرى للنشر والتوزيع، (ط1) (1432هـ-2011م).
- الشوكاني، محمد بن علي ت: 1250هـ، *فتح القدير*، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب-دمشق، بيروت، (ط1)، (1414هـ).
- صالح، حمزة سليمان، *أثر القرآن في بناء القدرات العقلية وتنميتها: دراسة تطبيقية عصرية على البرمجة اللغوية العصبية*، جامعة أفريقيا العالمية، المركز الإسلامي الإفريقي، مجلة دراسات دعوية المحكمة، (ع 27)، (يناير، 2014).
- الضليمي، أحمد عبد الفتاح، *التربية بالتوبة في ضوء القرآن الكريم*، مجلة الجامعة الإسلامية للعلوم الشرعية، المدينة المنورة.
- الطبري، محمد بن جرير ت: 310هـ، *جامع البيان في تأويل أحكام القرآن*، تحقيق أحمد شاکر، مؤسسة الرسالة، (ط1)، (1420هـ-2000م).
- الطبري، محمد بن جرير ت: 310هـ، *تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك*، وصلة تاريخ الطبري، دار التراث، بيروت، (ط2)، (1387هـ).

- طهماز، عبد الحميد محمود، أسباب النصر في سورة الأنفال، دار القلم، دمشق، الدار الشامية بيروت، (ط1)، (1421هـ-1992م).
- ابن عاشور، محمد الطاهر ت: 1393هـ، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس (1984م).
- ابن عاشور، محمد بن الطاهر ت: 1393هـ، مقاصد الشريعة الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة - دار الكتاب اللبناني، بيروت، (ط: 2011).
- ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو ت: 287هـ، الأحاد والمثاني، تحقيق: باسم الجوابرة، دار الراجعية، الرياض، (ط1)، (1411هـ-1991م).
- عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مطبعة دار الكتب المصرية، (1364هـ-1945م).
- عبد الرحمن، طه، دين الحياء من الفقه الائتماري إلى الفقه الائتماني، 1 أصول النظر الائتماني، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، (ط1)، (2017).
- عبد الرحمن، طه، من الإنسان الأبر إلى الإنسان الكوثر، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، جمع وتقديم رضوان مرحوم، (ط2)، (2016).
- العسكري، الحسن بن عبد الله ت: 395هـ، الفروق اللغوية، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع-القاهرة.
- العقاد، عباس محمود، الإنسان في القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (ط4)، (2005م).
- عقل، بدر بن علي، تكريم الإنسان في ضوء القرآن الكريم، جامعة عين شمس-كلية الآداب، مجلة حوليات آداب عين شمس المحكمة، (مج47)، (مارس، 2019).

- عمر، أحمد مختار ت:1424هـ، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم النشر (ط1)، (1429هـ-2008م).
- العمري، شوكت محمد، أساليب القرآن في تنمية التفكير: نموذج سورة الشورى، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية المحكمة، مج18، ع 52 (مارس-ذو الحجة 2003).
- العمودي، أبو بكر بن عبد الرحمن، المضامين التربوية المستنبطة من غزوة أحد، إشراف: محمد خياط، 1431هـ.
- غريب، محمود، منهج القرآن في القضاء والقدر، دار القلم للتراث، القاهرة، (ط2) (1419هـ-1998م).
- الغزالي، محمد بن محمد ت:505هـ، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت.
- ابن فارس، أحمد ت:395هـ، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، (1399هـ-1979م).
- أبو الفضل الزهري، عبيد الله بن عبد الرحمن ت:381هـ، حديث الزهري، تحقيق حسن البلوط، أضواء السلف، الرياض، (ط1)، (1418هـ-1998م).
- الفقي، إبراهيم، قوة التفكير وتأثيره على أحاسيسك وسلوكك ونتائجك وواقع حياتك، شركات الدكتور إبراهيم الفقي للتنمية البشرية، (2007م).
- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب ت:817هـ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (1416هـ-1996م).
- القرضاوي، يوسف، الإيمان بالقدر، مكتبة وهبة، القاهرة، (ط2)، (1430هـ-2009م).
- القرضاوي، يوسف، التوبة إلى الله، مؤسسة الرسالة.

- القرضاوي، يوسف، في فقه الأولويات دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة، مكتبة وهبة، القاهرة، (ط2)، (1416هـ-1996م).
- القرضاوي، يوسف، كيف نتعامل مع القرآن العظيم، دار الشروق، القاهرة، (ط4)، (1425هـ-2005م).
- القرطبي، محمد بن أحمد ت: 671هـ، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، (ط2)، (1384هـ-1964م).
- قطب، سيد ت: 1386هـ، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، (ط25) (1417هـ-1996م).
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر ت: 751هـ، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، دار المعرفة، بيروت، (1398هـ-1978م).
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر ت: 751هـ، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، (ط3)، (1416هـ-1996م).
- ابن قيم الجوزية، محمد ت: 751هـ، الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط2)، (1393هـ-1973م).
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر ت: 774هـ، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي سلامة، دار الطيبة للنشر والتوزيع، (ط2)، (1420هـ-1999م).
- الكيلاني، ماجد عرسان، أهداف التربية الإسلامية في تربية الفرد وإخراج الأمة وتنمية الأخوة الإنسانية، طبعة مركز بيت المقدس للأدب، فلسطين، (1427هـ-2006م).

- الكيلاني، ماجد عرسان، أهداف التربية الإسلامية في تربية الفرد وإخراج الأمة وتنمية الأخوة الإنسانية، مركز بيت المقدس للأدب، فلسطين، (1427هـ-2006م).
- الكيلاني، مناهج التربية الإسلامية والعاملون المربون فيها، عالم الكتب، بيروت، (ط1)، (1416هـ-1995م).
- الماتريدي، محمد بن محمد ت: 333هـ، تأويلات أهل السنة = تفسير الماتريدي، تحقيق: مجدي سلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، (1426هـ-2005م).
- ابن ماجة، محمد بن يزيد ت: 273هـ، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل البابي الحلبي.
- الماجد، ناصر بن محمد، المعية الإلهية في ضوء القرآن الكريم: معانيها ودلالاتها، الجمعية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، مجلة تبيان للدراسات القرآنية المحكمة، (ع10)، (2012م).
- مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عمر مسقاوي، وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، (1406هـ-1986م).
- مرشود، عبد اللطيف حسن، النصر والهزيمة دراسة قرآنية، إشراف: محسن الخالدي، 2007م.
- المزي، يوسف بن عبد الرحمن ت: 742هـ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط1)، (1400هـ-1980م).
- مسلم، ابن الحجاج النيسابوري ت: 261هـ، صحيح مسلم، تحقيق: محمد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- ابن منظور، محمد بن مكرم ت:711هـ، لسان العرب، دار صادر -بيروت، (ط3)، (1414هـ).
- الننتشة، جواد بحر، عالم الأنفس: حركة العلاقة بين النفس والقلب والسلوك، مطبعة بابل الفنية، لحول-فلسطين، (1427هـ-2006م).
- النجار، عبد المجيد، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، دار الغرب الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، (ط2)، (1413هـ-1993م).
- النجار، عبد المجيد، في فقه التدين فهما وتنزيلا، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، مركز البحوث والمعلومات.
- النووي، يحيى بن شرف ت:676هـ، رياض الصالحين، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط3)، (1419هـ-1998م).
- ابن هشام، عبد الملك ت:213هـ، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا والأبياري والشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، (ط2)، (1375هـ-1955م).
- الهاللي، مجدي، العودة إلى القرآن: لماذا وكيف؟، دار الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، (ط1)، (1429هـ-2008م).
- الواقدي، محمد بن عمر ت:207هـ، المغازي، تحقيق مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت، (ط3)، (1409هـ-1989م).
- ياسين، عبد السلام، المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، (ط2)، (1410هـ-1989م).

المراجع الإلكترونية:

- سلطان، جاسم، قيم التقدم وإنسان المستقبل، محاضرة على اليوتيوب،

<https://youtu.be/ISUsAbyo4tU>

- العلي، وليد، نقد المجاهدين بين الإفراط والتفريط، مقال للباحث في مركز حضارات للدراسات السياسية والاستراتيجية، (2020/5/30)،

<https://2u.pw/mDHrw>

- الكحيل، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم،

<https://2u.pw/gGtYe>

- المسيري، عبد الوهاب، الموضوعية والذاتية، مقال منشور في موقع إسلام أون لاين،

<https://islamonline>

<https://2u.pw/ExwIT> -

<https://2u.pw/vDikw> -

الملاحق

ملحق رقم (1)

مرفق في الملحق جدولان:

الجدول الأول: من موقع منظمة الصحة العالمية باللغة الإنجليزية (الرابط في آخر الملحق) عن أعلى (60) دولة في نسب ومعدلات الانتحار، وذلك لعام: 2016م. حيث كانت هذه هي الإحصائية الأخيرة لمنظمة الصحة العالمية حول ذلك، ولم يصدر عنها إحصاءات بعد ذلك.

الجدول الثاني: في ظل وجود اختلاف على معايير الرفاهية والغنى، فقد وجد الباحث موقعا معتمدا هو (NUMMBEO)، حيث وضع عدة معايير لتحديد نوعية الحياة هي:

1. تكلفة المعيشة والقوة الشرائية لدخل الفرد (مؤشر على كفاية الدخل للمواطنين).
2. توفر السكن في متناول المواطنين.
3. مؤشرات التلوث في الماء والهواء وغيرها.
4. معدل الجريمة.
5. جودة نظام الرعاية الصحية.
6. التعليم من حيث الجودة والتوفر.
7. الاكتظاظ وأزمات المرور.

حيث قارن الباحث بين الدول الستين الأوائل في الجدولين، فوجد أن (30) دولة من أعلى (60) دولة في نسب الانتحار، هي ضمن الدول الستين الأوائل أيضا في الرفاهية ونوعية الحياة. وهذا مؤشر واضح على ما ذهب إليه الباحث من كون غياب الهدف المستمر (الآخرة) لدى هؤلاء الأغنياء يوصلهم للشعور بالعدمية واللامعنى؛ حيث حصلوا على كل ما يرغبون وما يتمنون من ملذات وشهوات ومطالب، فلم يعد ثمة ما يبحثون وراءه، فيقومون بإنهاء حياة عبثية عدمية بلا معنى -في رأيهم- وهم في قمة الغنى والصحة والمجد!!!

ولمزيد من التوضيح الرابط بين مستوى الحياة وعلو نسب الانتحار قام الباحث بهذا

الملخص:

مقارنات بين مستوى الحياة المرتفع لبعض الدول، ونسب الانتحار العالية فيها، حسب ترتيب

الجدول في الأسفل

اسم الدولة	الترتيب العالمي من حيث ارتفاع مستوى الحياة	الترتيب العالمي حسب ارتفاع نسب الانتحار
سويسرا	1	18
ألمانيا	4	38
الولايات المتحدة	14	28
اليابان	16	14
سلوفينيا	17	13
فرنسا	18	17
كوريا الجنوبية	21	4

جدول رقم (2) /ترتيب الدول حسب مؤشر نوعية الحياة	معدل الانتحار	جدول رقم (1) ترتيب الدول حسب معدلات الانتحار والدول المظلمة موجودة في جدول نوعية الحياة الثاني أي ضمن الدول الغنية
	لكل 100	
مؤشر نوعية الحياة	ألف شخص	الدولة
208.54	31.9	ليتوانيا
206.49	31	روسيا
201.06	29.2	غويانا
199.7	26.9	كوريا الجنوبية
198.79	26.2	روسيا البيضاء
192.4	22.8	سورينام
192.4	22.5	كازاخستان
188.9	22.4	أوكرانيا
186.41	21.2	لاتفيا

ليستوتو	21.2	السويد	185.81
بلجيكا	20.7	فنلندا	184.01
هنغاريا	19.1	الولايات المتحدة	183.96
سلوفينيا	18.6	البرتغال	181.18
اليابان	18.5	المملكة المتحدة	180.25
أوروغواي	18.4	كندا	177.23
إستونيا	17.8	اليابان	176.06
فرنسا	17.7	سلوفينيا	175.93
سويسرا	17.2	فرنسا	173.56
كرواتيا	16.5	كرواتيا	172.39
غينيا الإستوائية	16.4	إيرلندا	171.92
الهند	16.3	كوريا الجنوبية	170.29
بولندا	16.2	الجمهورية التشيكية	167.38
فنلندا	15.9	إسرائيل ¹	166.63
مولدوفا	15.9	اليونان	165.43
النمسا	15.6	بلجيكا	162.29
صربيا	15.6	إيطاليا	159.28
الولايات المتحدة الأمريكية	15.3	المملكة العربية السعودية	159.18
السويد	14.8	جنوب أفريقيا	156.7
سيرلانكا	14.6	بولندا	153.61
ساحل العاج	14.5	تشيلي	147.26
كيريباتي	14.4	البوسنة والهرسك	146.7
تايلند	14.4	رومانيا	146.13
آيسلندا	14	الإمارات العربية المتحدة	144.09
البرتغال	14	بلغاريا	141.61
كوبا	13.9	هنغاريا	140.74
السلفادور	13.7	الأرجنتين	138.48
ألمانيا	13.6	صربيا	138.26
ترينيداد وتوباغو	13.6	تركيا	137.31
لوكسمبورغ	13.5	المكسيك	137.01
إسواتيني	13.3	لتوانيا	134.33
أستراليا	13.2	كولومبيا	128.46
التشيك	13.1	مقدونيا الشمالية	115.03
مونغوليا	13	الهند	109.28
الدنمارك	12.8	هونج كونج	108.33

¹ دولة الاحتلال

سلوفاكيا	12.8	البرازيل	101.02
هولندا	12.6	الصين	99.03
كندا	12.5	إيران	96.93
بوليفيا	12.2	باكستان	93.99
الكاميرون	12.2	سنغافورة	93.09
نيكاراغوا	12.2	مصر	88.79
النرويج	12.2	روسيا	88.31
نيوزيلندا	12.1	أوكرانيا	85.56
هايتي	11.7	إندونيسيا	72.19
جنوب إفريقيا	11.6	الفلبين	65.83
بلغاريا	11.5	تايلاند	63.83
أيرلندا	11.5	ماليزيا	63.8
بوتان	11.4		
مصدر إحصائيات الانتحار			
			https://apps.who.int/gho/data/node.sdg.3-4-data?lang=en
مصدر إحصائيات نوعية الحياة			

- [Quality of Life Index by Country 2016 \(numbeo.com\)](https://numbeo.com/)

An- Najah National University
Faculty of Graduate Studies

Return to Self after Success or Failure In the Light of the Holy Quran

By
Walid Khaled Al-Ali

Supervisor
Pro. Odeh Abdullah

**This Thesis Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for
the Degree of Master of Fundamentals of Religion (Isul Al-deen),
Faculty of Graduate Student, Al-Najah National University, Nablus-
Palestine.**

2021

Return to Self after Success or Failure In the Light of the Holy Quran

By

Walid Khaled Al-Ali

Supervised by

Pro. Odeh Abdullah

Abstract

This study deals with some of the features of the Qur'an educational system, which focuses on the human being purification and development. It aims to try to identify one of the most important Quranic educational methods in preparing an Islamic educated person who is be able to succeed in the task of replacement in earth. The study shows that the Noble Qur'an educates the human being to return to himself after each stage or event, assessing his performance, which could never be perfect due to his imperfect humanity -no matter how successful he is-. Through this review, he discovers his mistakes, corrects them, and sees the potentials of his strength and doubles them.

The study also aims to show that there is a collective self-return practiced by the nation as a whole, in addition to an individual return practiced by the individual in his entirety. That happens in cases of success and failure, in order to direct the attention of educators to accompany the educational system of the Qur'an and to follow its instructions whenever dealing with situations of such cases.

To achieve this goal, the researcher used both inductive and analytical approaches, and identified the field of applied induction on the verses of Surah Al-Anfal that were revealed after the victory of the battle of Badr,

and the verses of Surah Al-Imran that were revealed in response to the defeat of the battle of Uhud.

One of the most important findings that the researcher concluded is that returning to the self is an authentic educational approach that has clear Qur'anic features in preparing the foundation and the ground for making it an inherent behavior in the soul, by clarifying its importance and encouraging people to learn it and love it. In addition, the Holy Qur'an clarifies the features of this return to the self and explains its obstacles in order to help overcome them. It was also found that the return to oneself after success focused on warning making mistakes in light of success, and returning the merit of success to God Almighty. As for returning to oneself after failure, it was characterized with genuine openness despite its pain, and with warning that failure would penetrate the soul.